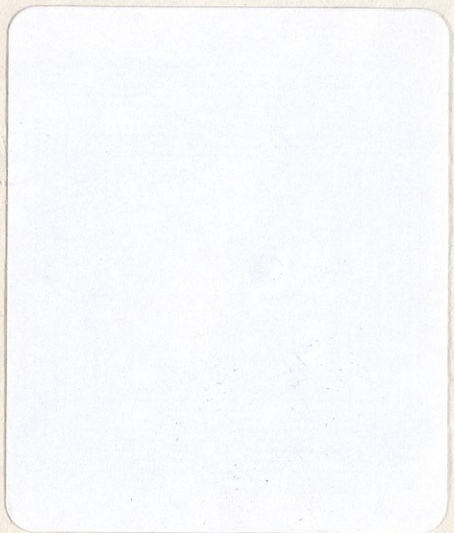
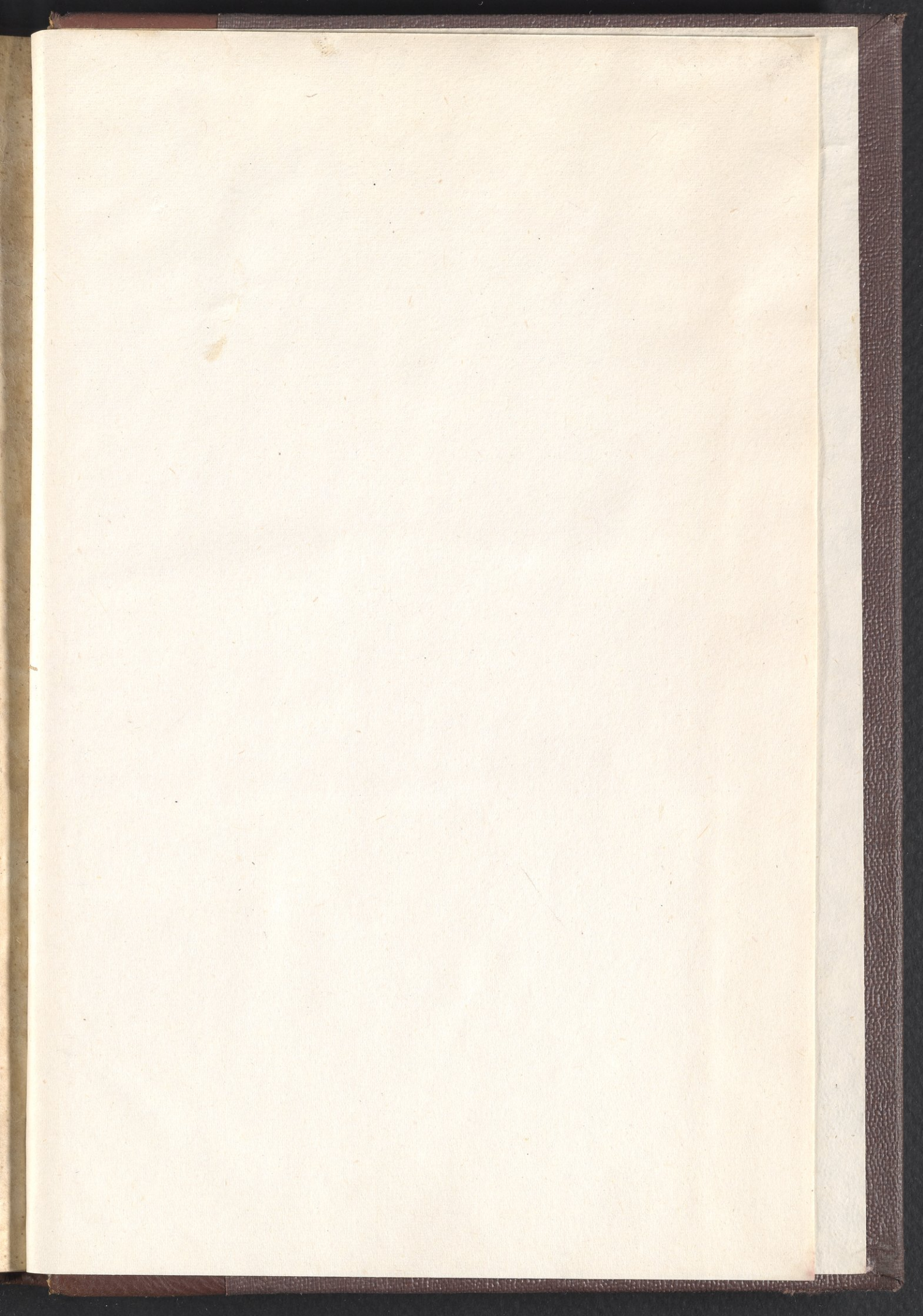


AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY

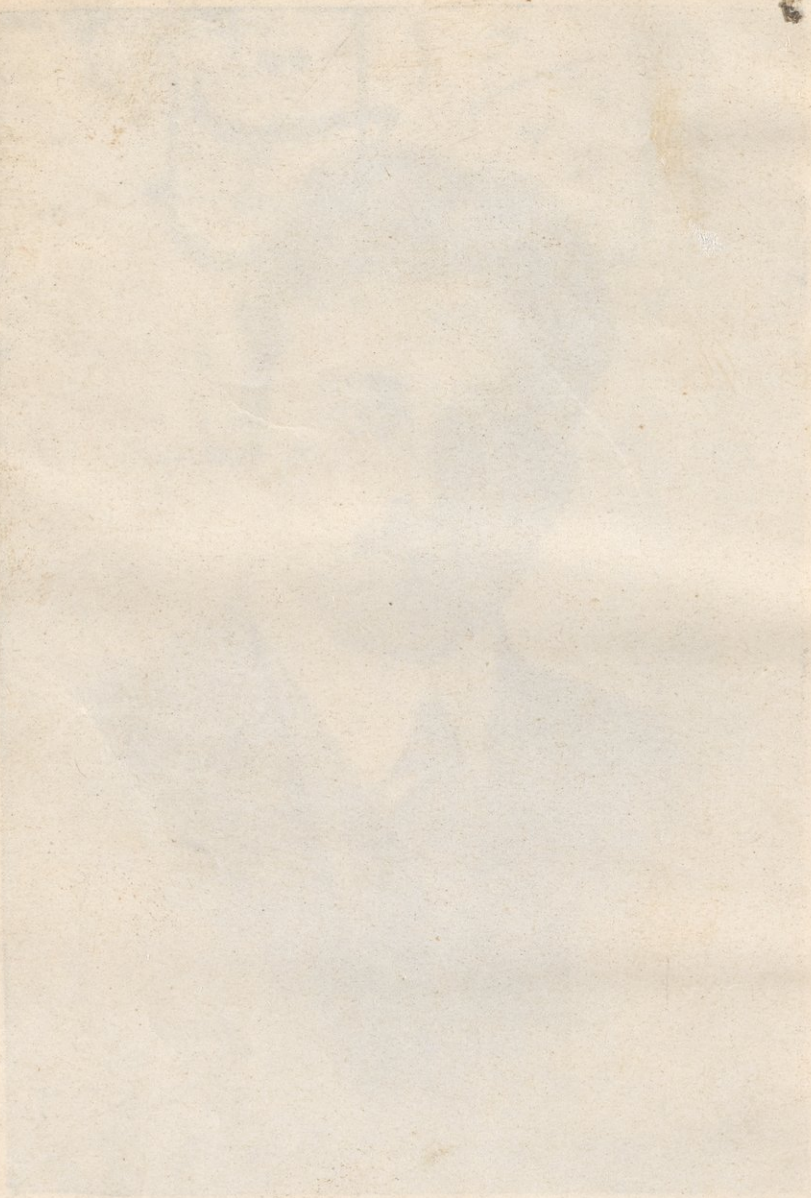
3 8534 00996 5686





the sup hand

55



[Faint, illegible handwritten text]

[Faint, illegible handwritten text]



امین
الحیاتی

بیروت سنه ۱۹۳۳

Rihani, Ameen Fares
al-Rihaniyat

PJ
7515
R5X
1910
v. 2



الريحانيات

وهي مجموعة مقالات وخطب
وشعر منشور

تأليف

أمين الريحاني

الجزء الثاني

يحتوي على خطب ومقالات انتقادية وشعر منشور

مزيناً بأفخر رسم للمؤلف

طبعة ثانية

طبع في المطبعة العلمية ابيوسف صادر في بيروت سنة ١٩٢٣

B12331863
13660500



~~892.7A~~
~~Am 54 n~~
v. 2

Al., n
/ . e

11806

في الباب

لا المجد ولا الشهرة امنيتي القصوى . ولا الجاه ولا الثروة
 ولا السيادة ولا العظمة . وانما امنيتي الجوهرية الاولى هي ان
 اكون بسيطاً في اعمالى . صادقاً في اقوالى . مستقيماً في مبادئى
 وآرائى . فطرياً في تصرفى وسلوكى . حراً فيما احب وما اكره
 وبكلمة اخرى اود ان اكون دائماً نظيف الجسم نزيه العقل والقلب
 بعيداً عن التصلف والزخرف والعجب والمصانعة . بعيداً عن
 الجبن والخوف والتذبذب . بعيداً عن الخجل الذي يذل النفس
 ويميت الحقيقة . بعيداً عن الكذب والجريزة والمداهنة والرياء .
 علي ان اقتبل ما يقابلنى من الصعوبات في مسالك الحياة باشأ
 جاداً ثابتاً صابراً متجلداً . علي ان اناهض الفساد والضلال في
 الناس وألاً أكره احداً من الناس . اود ان اعيش دون ان ابغض
 احداً . واحب دون ان اغار من احد . وارتفع دون ان ارفع
 على احد . واتقدم دون ان ادوس من هم دونى او احسد من هم
 فوقى . هذه هي سنتى وللغير ان يتخذوا لهم سنة توافقهم .
 للغير ان يسلكوا ذات المسلك اذا شاؤوا واستطاعوا . ليس من
 شأنى ان اتداخل في شؤنهم ولا ان ارشدهم منذراً او اعظهم

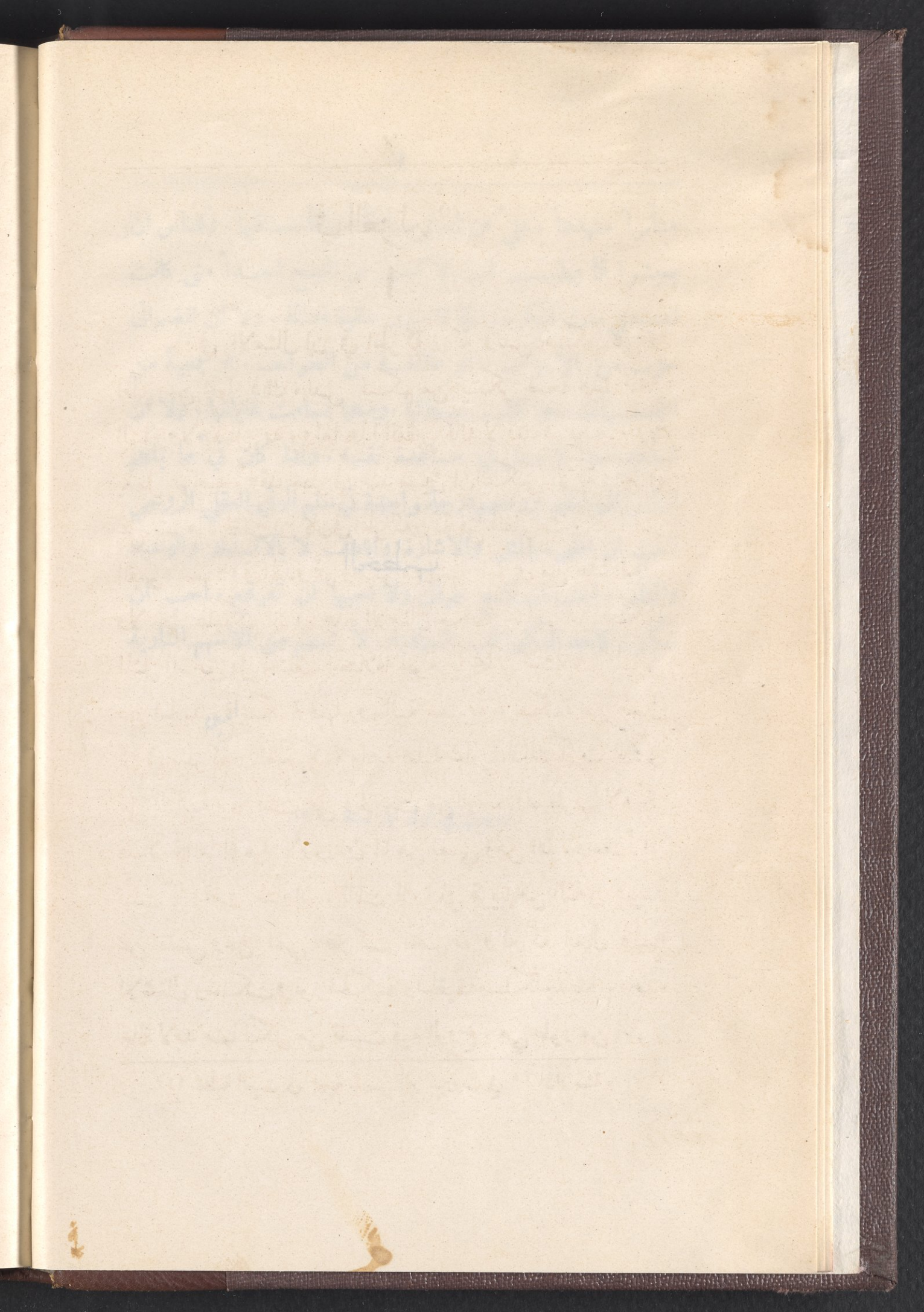
متأمراً متهدداً . عليّ ان اعيش صادقاً مسلماً مستقيماً . وللناس ان
يعيشوا كما يطيب لهم . لا احب ان انصح احداً . متى كانت
نصيحتي بنت فكرة زائلة لا بنت حقيقة دائمة . ولا ان انضم الى
حزب من الاحزاب . او طائفة من الطوائف . او جمعية من
الجمعيات . مهما كانت صيغاتها . ومهما تسامت غاياتها . ولا ان
اساعد احداً لا يعمل في مساعدة نفسه . واذا كان في ما يلهم
الناس الى الخير ويرفعهم درجة واحدة في سلم الرقي العقلي الروحي
احب ان اظهره بالمثل والاشارة والالطاف لا بالانذار والوعيد
والتأمر . احب ان تشع حياتي ولا احبها ان تفرقع . احب ان
تكون كاحد الكواكب السماوية . لا كسهم من الاسهم النارية

امين

بيروت في اول ايار سنة ١٩١٠

الخطب

LIBRARY



في العزلة^(١)

١

جاء في الامثال ان في الحركة بركة وليس فيكم على ما
اظن من يجهل ذلك . ليس فيكم من ينكر صحة هذا المثل
الساخر ولا يعمل به . واما هذا الفقير فانه لا يعتقد بصحته ولا
يعمل بموجبه . وقد خطر لي منذ سنين ان اعكس الآية واجري
علي ضدها . فقلت ان كان في الحركة بركة ففي الفلوات بركات . وفي
القيود سعور وفي الهدونمو وسمو . واشياء اخرى من هذا الباب
ولا ينبغي عليكم ان في هذه الامثال حكمة تختلف عن حكمة
المثل السابق بل تختلف اختلافاً جوهرياً يحاكي اختلاف النفس
عن الجسد . فالحكمة فيها روحانية معنوية وحكمة من يقول
ان في الحركة بركة حكمة مادية عملية تجارية . لذلك آثرت الاولى
على الثانية . فاقفت عملي وخرجت من الوسط المضطرب لافكر
قليلاً في ما انا فيه لارى ابن انا من نفسي ومن الله . وحقاً اني
تأملت لما وقفت متأملاً : تأملت لما رأيتني قريباً من الناس بعيداً
عن نفسي وعن الهي . فتركت الحركة والبركة للعمال ولبني
الاشغال وسلكت في نور الحكمة والحقيقة مسلكاً جديداً . وهذه
حالة لا بد منها لكل من تنبتهت فيه الروح . هي طور من اطوار

(١) خطبة التقيت في جمعية شمس البر ببيروت في ١٩ اذار سنة ١٩٠٨

الفيلسوف الاولى . هي اول ريشة في جناح الشاعر هي اول
 حادثة خطيرة في حياة الاولياء والانبياء . هي اول عقدة روحية
 عقلية يعجز عن حلها اكثر المفكرين . وجدت نفسي في هذه الحالة
 متألماً متحيراً متردداً . تألمت كثيراً لما رأيتني في الغربة بين شعب
 لا يعرف معنى السكينة ولا الراحة ولا الجمال . وجدت نفسي
 في بلاد فيها الحركة دائمة متواصلة . واما البركة فيقال فيها ما
 يقال في بعض الامراض انها حادة متقطعة . وجدت نفسي بين
 قوم يأكلون ماشين . ويقرأون آكلين . ويعدون النقود راكضين .
 ويعبدون الاوثان قائمين قاعدين . بل يقدمون ارواحهم واجسادهم
 ضحية لآلهة ماسمعت باسمائها العصور الغابرة . عشت زمنائين
 قوم يقال انهم مسيحيون ولكنهم في الحقيقة وثنيون . وثنيون
 بترفهم وبطرهم . وثنيون باخلاقهم وشعورهم . وثنيون بمطامهم
 واستشارهم . وثنيون بتعدد الهتم . واما هياكل هذه الآلهة
 واصنامها فانك لا تشاهدها قائمة في الاسواق بل ينبغي ان تنظر
 اليها بعين الروح فتراها في كل حي وجماد يتحرك هناك تعال اذا
 معي لاريك آلهة هذا الزمان الجديدة . آلهة هذا التمدن الحديث
 تعال معي لاريك من الهياكل والاصنام الواناً واشكالاً . فهذا
 صنم من القطن لآله البورص وذاك صنم من الفحم لآله المعادن .
 هذا صنم من السكر لآله الحقول وذاك صنم من الخشب لآله الغابات
 وهاهنا هياكل من المرمر والرخام لآله التجارة وهناك الهيكل

الاكبر المشيد من حجارة الذهب والفضة لاله الالهة. اله الامة. اله المال. والناس هناك يعدون اموالهم راكضين من هيكل الى آخر ومن اله الى اخيه. وابدأ تراهم لهذه الالهة الغريبة ساجدين. فيعبدونها ويخدمونها ويموتون في سبيلها. يعبدونها في كل حالاتهم. يخدمونها في حرقاتهم وفي سكناتهم. فخرجت من بين هؤلاء المشركين طالباً في البرية ربي مثل ابراهيم. خرجت من بينهم وانا على اعتقاد ان المرء اذا قرب من العالم الجديد يبعد عن الطبيعة وعن الشعر وعن الجمال الروحي وعن الله. ولذلك حولت وجهي الى مشرق الشمس، وعدت في طريقي الى ارض الانبياء. عدت الى وطني لاقترب من جمال الشرق الشعري وجماله الطبيعي وجماله الروحي بل الالهي. اي الجمال الدائم الابدي الذي لا تشينه الحالة السياسية المختلفة ولا الحالة الاجتماعية المعتلة.

عدت الى مسقط رأسي باحثاً عما اضعته هناك ايام الصبا. افلتت من اشراك التمدن والحمد لله وفررت هارباً الى الفريكة. على كتف الوادي وبالقرب من كروم اجدادي نصبت خيامي. فوق نهر الكلب وقبالة جبل صنين رفعت رايتي البيضاء عوضاً عن العلم الاحمر الذي وضعته في يدي احدى بنات الحرية في البلاد الاميركية. رفعت علم السلم فوق فلسفتي الاجتماعية بعد ان كان علمي علم القتال وكتبت على باي - في اصلاح الفرد اصلاح الامة وفي تهذيب الشعب اصلاح الرؤساء والحكام - .

نعم سادتي ان التهذيب خير من التحزيب والتخريب . على ان ذلك ليس من موضوعي هذه الليلة فالمجال ضيق لمثل هذا البحث واضيق منه منبر هذه الجمعية .

عدت الى وطني طالباً فيه راحة العقل وراحة النفس وراحة الجسد . بل طالباً فيه شيئاً اشرف من كل ذلك واسمى - طالباً في الطبيعة ومنها ما ينسي المرء عقله ونفسه وجسده . عدت ياسادتي لا كما عاد يوليوس قيصر الى رومية او هوجو الى باريس عدت قانعاً شاكراً راضياً وتذكرت السنديبادلما عاد من سفراته و ابا العلاء لما عاد الى معرفته . فشكرت الله كالسنديباد على سلامتي في الغربة ولجئت كابي العلاء الى العزلة في قريتي هرباً من الحضارة ومتاعبها وشغفاً بالطبيعة وجمالها . وحباً بالتأمل ولذاته . وتقرباً من الله وبركاته . فدخلت هذه المدينة كما يدخل الكهان الهيكل او اللص البيت . دخلتها من باب السر فلم يدري من الاخوان احد . وصعدت الى الجبل ولم يدري احد . وامت هناك زمناً في ظلال الصنوبر ولم يدري احد . فاضجعت على العشب وراسي في ظل وزالة زاهرة - انا للطبيعة وانا اليها راجعون - وشكرت الله شكراً جزيلاً ووددت لو يكون بيني وبين المدن اضعاف ما بيني وبينها من الوهاد والجبال والبحار .

واظني اخطأت مرة فرددت بصوت عال صدى صوت نفسي وما علمت ان للاشجار عيوناً وللصخور آذاناً . بل ما علمت ان النهر

يحمل الى المدينة صدى صوت الوادي وصدى ساكنيه . ففي صباح يوم من ايام فصل الشتاء سمعت حديثاً دار بين شجرة كبيرة من الصنوبر واخرى صغيرة او بين ام الغابة واحدى بناتها قالت الابنة : من هذا الغريب الذي لا يخاف السكنى معنا في هذا الشتاء فاجابت الام : ما هو بغريب يا بنيتي . وانما هو من نبات هذه الارض ومن سنديان هذه الجبال هو من ابنائنا يابنية . وقد طالما حملته وحملته من ثماري لما كان صغيراً . قد طالما فرشت له من ريشي وظلي ما يزيل تعب الجسد وهم الفؤاد وبعثت اليه من ارج نسيمي ما يروح النفس ويحييها ومع ذلك فقد هجرنا زمناً طويلاً وعاد اليوم ليكفر عن ذنوبه امامنا وفي ظلنا . حبيبه يابنتي فانه يجبتنا .

وبمثل هذا كانت الاشجار تفشي اسراري الى النهر والنهر يحملها الى البحر والبحر يلقيها بلا اكرات على شواطئ هذه المدينة . وقيل ان الصيادين سمعوا ذات يوم في هدير الامواج اصواتاً غريبة مطربة فظنوا ان احد الجن يكلمهم بلساننا العربي الشريف . وقيل انهم فهموا من الغاز الامواج شيئاً يسيراً واشاعوا في البلد اشاعات تحولت بعد ايام الى خرافات وخزعبلات تشير كلها الى ان في وادي الفريكة ناسكاً تسجد له الصخور وتخاطبه الاشجار وتكلمه السواقي وتستشير الطيور . فاستغربت الخبر كما استغربه الناس وبعد ان فتشت في الوادي عن الناسك واعيان

التفتيش كتبت الى احد الاصدقاء كتاباً هزأت فيه من هذه
 الخرافات التي قصها البعير على الصيادين واذا عاها الصيادون في المدينة
 فزاد الكتاب الطين بلة لان الادباء الذين سخروا مثلي بهذه الخرافات
 اعتقدوا بعدئذ صحتها وطفقوا ينشرونها في اندية الادب
 فتجسمت الاشاعة حتى استحالت الى خرافة واصبحت في اعتقاد
 الناس حقيقة راهنة . وكذلك تنشأ الخرافات وتستولي على الناس
 فاهتم بعض اعضاء هذه الجمعية بالامر وكتب احدهم الي لاصدقه
 الخبر . ثم جاءني من الجمعية نفسها كتاب تسألني به ان اتحفها بشي
 من اخبار الناسك واسفاره . وبعبارة اوضح دعيتني الى الخطابة
 في حفلتها السنويه منذ سنتين فلبيت الدعوة وبعثت الى الجمعية
 بشي من ثمار نفس الناسك المذكور (١) ولبثت انتظر جوابها
 وبينما انا اتوقع منها كتاب شكر جاءني الرسول بعد اسبوع ومعه
 الثمار التي بعثتها . ثماري اعيدت الي . ردت الجمعية هديتي بلا
 عذر ولا شبه عذر . أرجعت الثمار واغفلت الاعتذار وبعثت مع
 الرسول تقول قد فحس الطبيب ثمارك فوجدها مضره بصحة هذه
 الامة . وجد فيها مكروبات غريبة خبيثة عديدة فكانت هذه
 منها اهانة فوق اهانة لكنني قبلتها شاكراً وحسبتها من جملة ما
 ينبغي ان يعرض عنه المرء في عزلة . حسبتها مما ينبغي ان نترك
 وراءنا اذا حولنا وجهنا نحو شمس النفس الشارقة من وراء جبال

(١) وهي خطبة « هنا وهناك وهناك » التالية .

الحقيقة المرسله ما فاض من نورها فوق مروج الشعر وبحيرات
 الخيال . فظل الناسك والحال هذه هائماً في واديه . ولم يدر ان
 الجمعية لم تزل تناديه . على انه لم يكدر يرفع طرفه الى سماء الروح
 ويلبس بيده ما تجسم امامه من السعادة الروحية الحقيقية حتى
 جاء هذا الشتاء وفيه ما كتب له بل عليه من الشدة والبلاء .
 فهجر صومعته في الجبل مضطراً واعتاض عن شذا الاودية بروائح
 الادوية وعن الاولياء بالاطباء . مع ان الفرق بين الاولياء
 والاطباء قليل لا يستحق الذكر . فكم من طبيب فاضل يستحق
 ان يطوب قديساً او يدعى ولياً بعد موته . فقد تعرفت بفضل
 الآمي العصبية بعدد وافر من هؤلاء الافاضل وبان لي بالاختبار
 ما كنت اجله . تحققت ان الفرق بين الطبيب والكاهن كالفرق
 بين الكاهن والمحامي . كلهم نفعنا الله بعلمهم وبرهم يتعاطون
 الجزية . كلهم يتاجرون بشي . من الحقيقة وبكثير من الخزعبلات
 والاهام . على ان الطبيب ارفع درجة من الكاهن والكاهن
 ارفع درجة من المحامي . والثلاثة ياسادتي من سلالة واحدة ومن
 بطن واحد . نعم ان الطبيب والكاهن والمحامي ثلاثة عقبان من
 بيضة واحدة . ومن الشرور ما كان لازماً للبشر . من الشرور ما
 هو نافع للانسان . وقد كنت اسير شي منها في هذه المدينة لما
 جاءني رئيس هذه الجمعية فاسرني ايضاً بلطفه وجميل ادبه وكلمني
 مرة اخرى في امر الخطابة . الخ علي الرئيس وعدد من الادباء

باسلوب جعلني اظن ان الجمعية تنوي ان تحاصرني في الفريكة وتعتقد
جلستها هناك اذا كنت لا اتكلم في حفلتها هنا . فخفت من
المضايقة في عزاتي ونتيجة خوفي ايها الكرام وقوفي امامكم الان
خطيباً . عفواً سادتي ما جئتكم خطيباً الليلة بل محدثاً . وسأحدثكم
في موضوع العزلة ومنافعها ومضارها .

٢

العزلة اما داءٌ واما دواءٌ . واما غذاءٌ . هي داءٌ لمن لا يجد في نفسه ما
يغنيه عن معاشره الناس ولو زمناً قصيراً . وهي دواءٌ لمن سئمت
نفسه من ملاذ هذا المجتمع وموبقاته من سروره وشروبه فيعود
الى امه الطبيعة لتداويه بنور شمسها وعليل هوائها وشذا رياحينها
وهي غذاءٌ لمن يخرج من الهيئة الاجتماعية والنفس نافرة من محيط
هي غريبه فيه . يعتزل الناس طالباً في الطبيعة الراحة التي لا يعرفها
الناس . واللذات التي لا يشعر بها الناس . والتعزية التي قلما تعزي
عامة الناس . نفس الاول خامدة جامدة . ونفس الثاني سقيمة عقيمة
نفس الثالث من الانفس السامية الكبيرة التي قلما تنام . فهي تفيق
من هجعتها قبل صياح الديك فتفتح عينيها في ظلمة الليل الخالكة
وتقاسي قبل بزوغ الفجر من العذاب والحيرة اشدهما . تبتدى هذه
النفس بالمقاومة والتمرد فتقاوم القوات التي تعترضها في طريقها
وتتمرد علي كل من يحاول ابقائها في الظلمات الدامسة . تسير
بنور مصباحها الداخلي الى ان يخرج من الظلمات بفضل ما فيها

من الشجاعة والاقدام والثبات فتتدرج من الظلمة متمردة الى
العزلة هادئة وتعاني فيها بادي بدء، نوعاً جديداً من العذاب .
تعاني هناك عذاباً هو اس كل لذاتها الروحية بل هو العذاب الذي
يقاسيه من تعودت اعصابه المخدرات والمسكنات اذ ينقطع عنها
دفعة واحدة . ومن العزلة تعود هذه النفس المحررة المستتيرة
المتمردة الى المجتمع لتتم فيه ارادتها لتتير ولو زاوية صغيرة
فيه بما فاض من نورها .

شبهت الانقطاع عن الناس بالانقطاع دفعة واحدة عن
المسكنات التي يعتادها المريض . فهل خطر لأحدكم ان يستشير
ربه بواسطة الطبيعة في امر روحه المريضة كما يستشير الطبيب في
امر جسده . ايدهشكم قولي لكم اننا كلنا مرضى بوجه ما . وفي هذا
المجتمع وخصوصاً في هذا اليوم بما فيه من دواعي الامراض والهموم
والاحزان تنسينا الحركة الدائمة الآمنا . ولا اذكر الآن اي علماء
الامان قسم الناس الى ثلاثة اقسام فقال : قسم منهم يولد للمستشفى
وقسم للمرستان وقسم للبادية . اي ان ذلك العالم الالماني يقول
ان الناس اما عرضي واما مجانيين واما برابرة ومع ما في هذا القول
من الغلو والضلال والكفر - اذ كفر العالم بالنفس واساء فهم
نواميس الطبيعة وغالى في تقبيح الانسان - مع ما في قوله مما
ذكرت فهو لا يخلو من الحقيقة . غير انها حقيقة ناقصة متجزئة
واما الحقيقة كلها الحقيقة الشاملة الابدية فهي ان الناس كلهم

سواء من وجهة الفيلسوف . ومن هذه الوجهة ايضاً يمكننا ان
نقسم البشر الى قسمين اوليين . قسم الاحياء روحياً وقسم
الاموات . وهاتان الطبقتان نشاهدهما في كل شعب حضرياً كان
او بدوياً . ففي البداوة اناس تتنبه فيهم الروح وتنهض من سباتها
كما في الحضارة . بل في البدو تبلغ الروح المتفردة الكبيرة اعلى
درجة من السمو والقوة والجمال . فيخرج من البادية رجال كما
يظهر في المدن رجال . وان نبغ في نويزك المخترعون وفي لندرا
العلماء وفي برلين الفلاسفة وفي باريس الشعراء وفي فلورنسة
المصورون والنحاتون ففي البادية ينشأ الانبياء . لكل بلاد مزية
طبيعية ثابتة دائمة . وفي كل نفس بشرية شي من سماء البلاد التي
نشأت فيها ومن أرضها . فيها شي من تربة وطنها ومن ترابه . من
خير هوائها ومن شره . من فتوره ومن نشاطه . من هدوه ومن
هياجها . فالناس اذاً كلهم سواء من وجهة الفيلسوف . الانسان
واحد من بلاد الزولو الى شطوط النروج ومن ثلوج السكا الى
اطراف اليابان . الناس كلهم سواء من حيث ان الامراض
والجنون والتوحش كلها تنتاب كلاً منا في اوقات مختلفة وبدرجات
متفاوتة . ولا يفوتنا ان نذكر مع هذه الشدائد كلها نعمة واحدة
شاملة . فانا ممن لا يياسون ولا يقطعون الرجاء مهما توغل الانسان
في الجهل والجنون والتوحش لانني على يقين ان النفس في كل
منا تفيق ولو مرة واحدة من سباتها في سياحتها هذه العالمية .

تنهض النفس من غفلتها فتجبي ولو بعمل واحد شريف خالص
لوجه الله . ترىنا من النخوة والمعروف والاحسان مايزيل عن
وجه الحياة شيئاً من تقطبه وعبوسته . تنهض النفس من ظلماتها
من تحت اثقالتها المادية . من بين اغلالها الاجتماعية . من تحت
اهوائها وشهواتها واغراضها الذميمة لتقول للناس : - اني لم ازل
حية واعرف معنى الحب والتساهل والحنان . اني لم ازل حية
واعرف معنى الحق والعدل والحرية . فيمكنني ان اتسامى الى ما
فوق الشرف المتعارف بين الناس . الى ما فوق الفضيلة المصطلح
عليها . الى ما فوق القوانين والشرائع . الى ما فوق قداسة الاديان
وخزعبلات بدعها . اي لا بد لكل امرء من ساعة ولو في حياته
كلها يظهر فيها بمظهر الفضيلة الصادقة الفضيلة المجردة النامية الحقيقية
فيخضع للنفس الامارة بالخير لا بالسوء لتظهر فيه محاسنها الجليلة
ولذلك ينبغي ان نقول ان الامراض والجنون والتوحش وحسنات
النفس او يقظاتها تنتاب كلاً منا على الاطلاق . تنتاب كلاً منا
في اوقات مختلفة كما قلت وبدرجات متفاوتة . ومن هذه الوجة
المرتفعة وجهة الفيلسوف العمومية كلنا لاشك متساوون . اي
اننا كلنا مرضى بنوع ما وكلنا نتخذ الاشغال نلهو بها . نسكن
بها الآمانا . نخدر بها همومنا . نضمد بها جروح صبرنا ورجائنا .
ننعش بها آمالنا . وعند مايقف احدنا ليتنفس قليلاً ليتشوق
نسيم السحر الجميل او بالحري ليدع عمله هنيئة ويستريح تعاوده

الآلمه مضاعفة كما تعاود الاوجاع المريض عند انتها فعل المرفين
 وماهي هذه الآلم ياسادتي؟ اروحانية هي ام جسمانية؟ فالطبيب
 يقول لنا انها جسمانية والكاهن يقول انها روحانية. والحقيقة ههنا
 اقرب الى جانب الكاهن منها الى جانب الطبيب. الآلمنا روحية
 اكثر منها جسدية. يعود الرجل من اشغاله في المساء او من ملاحيه
 بعد نصف الليل فيستلقي على سريره متكرهاً متأففاً متذمراً.
 فيشكو وقد خارت قواه من ألم في اعصابه او في معدته او في
 رأسه. ويظن ان اوجاعه موضعية. يظنها جسدية. والحقيقة على
 ما ارى هي خلاف ذلك. فالجسد لا يمرض من العمل واعضائه
 ترداد قوة ومرونة ونشاطاً بالممارسة والتمرين وهذا ناموس طبيعي.
 من اين اذا الآلمنا واوجاعنا. ماهي اسبابها اين مصدرها. يمكن
 ان يكون لها مسبب غير مادي. يمكن ان تكون الآلمنا الجسدية
 ناتجة عن ألم اصلي اساسي جوهرى روحي؟ سؤال اجيبكم عنه
 حالاً بلا تردد وبالايجاب. نعم سادتي وسيداتي ان مصدر هذه
 الآلم الروح فالروح منا تثن وتتأوه وصدى انينها يظهر في كل
 جوارحنا وفي كل حواسنا. الروح تتألم من الضغط عليها. من
 احتقار الانسان اياها. من اهماله شؤونها. من اعتضامه حقوقها.
 الروح تتأوه من قيود السلطة كما انها تتألم من قيود العبودية.
 فالرئيس والمروؤس سواهم من هذا القبيل. الظالم والمظلوم يشكون
 من مرض واحد فالروح في كلٍ منهما تتألم من حيوانية الانسان

الخبیثة . من اهوائه من ظلمه من استشاره من بغضه من توحشه
من ذله من جهله من جنونه . فاذا كانت الاشغال تسكن الام
النفس فالعزلة تضعف شوكتها . ويستأصلها العود الى الطبيعة .
ورب قائل يقول اريد ان يكون الناس كلهم نساكاً وزهاداً
وكيف يتسنى ذلك . فالجواب ان ذلك غير ممكن وغير مطلوب .
فالعزلة انواع . وربما امتهنت حرمة القاموس وتوسعت قليلاً بمعناها
المحدود . فقد تكون شوقاً في النفس لسبر غور النفس . لادراك
كنه قواها . لكشف الحجاب عن بعض اسرارها . وهذي هي عزلة
الفيلسوف . او قد تكون اعتصام النفس بعالمي الخيال والجمال
فراراً من مسؤولية الحياة الاجتماعية وواجباتها الصناعية . وهذي
هي عزلة الشاعر . وهي ممكنة في المدينة وبين الجموع كما في
الصحراء . او في الجبال لان الشاعر وان خالط الناس وحدثهم فهو
دائماً فوقهم وبعيد منهم . ثم قد تكون العزلة طمعاً في النفس بفتح
ممالك عالم النفس . ورفع اعلام الحقيقة والحب والحق فوق صروحها
وهذه عزلة الانبياء . وهناك انواع اخرى من العزلة لا يهمننا
ذكرها لانها تغيرت عما كانت عليه حين قال المتنبى بيته المشهور
في وصف الاسد

في وحدة الرهبان الا انه لا يعرف التحريم والتحليلاً
قد اتضح لكم ان الميل الى الوحدة والاعتزال ينشأ في النفس
وعنها . وكما ان النفس تطلب المعرفة فكذلك تبغني شيئاً من

العزلة تتغذى اثناءها بالمعرفة . يقول الافرنج في السياحة تكملة
 التهذيب . اي ان المرء مهما درس وطالع وتعمق في العلوم وتغلغل
 فتهذيبه يظل ناقصاً اذا كان لا يعرف من العلم الا مسقط رأسه
 او عاصمة بلاده . فاذا كان في السياحة تتمه التهذيب ففي العزلة
 تتمه السياحة . لان المرء لا يكون قد ساح ابدأ اذا كان لا يعتزل
 قليلاً بعد سياحته في العالم ليحاسب نفسه . ليفحص بتأن
 وهدوء ما مخادعها . ليغربل ما فيها من الحقائق والخرافات والآراء
 السديدة المختلطة مع الخزعبلات . وبكلمة اخرى ليسقي النفس
 من ماء الفكرة الذي يتقطر ويتكرر في العزلة . ولا تظنوا ان
 كل من التجأ من المفكرين الى هذه الطريقة انتفع بها والذي لا
 ينتفع منها لا يستطيع نفع الناس .

لما كنت في نويك قصدت يوماً مدينة كُنْكَرد بالقرب من
 بُسْتُن (وهي المدينة الصغيرة التي تحفت العالم الجديد باكبر شعرائه
 وفلاسفته) لآزور فيها بيت الفيلسوف أيرسُن والخرج الذي بنى
 فيه الشاعر طورو مسكنه او بالحري كوخه للعزلة فعاش فيها
 متنسكاً سنتين والى هناك كتابه النفيس في فلسفة العمران
 وفلسفة الانفراد . والكاتب الذي كان رفيقي ودليلي في هذه
 الحجة - وهو شيخ جايل في الصحافة وفي السن - كان رفيقاً
 او صديقاً ايضاً لا كثر شعراء كُنْكَرد وفلاسفتها الغابرين فسألته عما
 اذا كان في المدينة اليوم من يعدُّ من طبقة هؤلاء الرجال العظام

فقال ان الطبيعة يا صديقي لا تجود علينا بالنوابغ كل سنة فهي لا تقدم للعالم الاً افراداً قلانل كل عصر وما كل من اعتصم بالعزلة يصل الى ذروة التفرد والذكا . فمذ سنين جاء هذه الاصقاع شاب انكليزي واختار بيت طورو هذا مقراً لعزله وعاش فيه كما عاش طورو بسنتين ولكنه ينس بعد ذلك وهجر كمنكره ومن ذلك الحين لم نسمع عنه شيئاً .

فعزلة طورو اذاً او عزلة النابغة اثمرت من الادب والشعر والفلسفة ما يعد من طبقة ما كتبه اكبر نوابغ العالم . وعزلة الثاني العقيمة اضرت بصاحبها لانه لم يتدارك الخطر قبل حلوله وفاته ان الوحدة الطويلة الامد ما اعدت لمثله وان نفسه لا تطلب مثل هذا الغذاء . لذلك لا اعمم في قولي ولا اغالي بحاسن العزلة ومنافعها اذ ما كل من اعتزل تفرد ولا كل من تفرد افاد الانسانية . على ان العزلة تنفع الكل اذا اخذ منها كل بقدر ما تطلبه نفسه او بالحري اذا عرف كل انسان كمية الجرعة التي ينبغي ان يأخذها فمن نفس متجمدة لا تطبق العزلة اكثر من اسبوع الى نفس متوقدة لا ترضى باقل من سنة او اكثر وبينهما تفاوت المدد كما تتفاوت العقول . هذي هي القاعدة . فمن جرب العزلة بحكمة واعتدال انتفع ولا شك منها فهو ينتفع عقلياً وجسدياً وروحياً اذا احسن استعمال الدواء .

وافضل ما في العزلة للمفكرين انها تقرب الفرد من نفسه .

فالحياة الاجتماعية كما اتضح لكم مما ذكرته تبعنا عن انفسنا حتى
 نجهلها جهلاً فاضحاً . لان معرفة المرء نفسه غير ممكنة في اي
 حال من احوال هذا المجتمع المضطرب . واذا جهل المرء نفسه
 بعد عنها بعداً شاسعاً . وان حاول خدمة الانسانية وهو بعيد
 عن نفسه اي جاهلها لا يستطيع الى ذلك سبيلاً . مهما اجاد بيانه
 وفصاحته ومهما بالغ في آرائه واكبر الناس دعواه . لا خير في
 مثل هذا مهما صاح ونادى ودعا القوم وادعى . وان صياح
 المصلحين ليذكرني دائماً بهدوء الفلاسفة . بل يذكرني بما جاء في
 التلمود من حديث دار بين اشجار الغابة واشجار البستان قالت
 اشجار الغابة لاشجار البستان : لماذا لا نسمع لاغصانك صوتاً
 ولا صدًى فاجابت اشجار البستان : لانني مشغولة عن الولة
 بانماء ثماري . ثم سألت اشجار البستان اشجار الغابة قائلةً . ولماذا
 نسمع لاغصانك هذا الدوي وهذه الجلبة فاجابت اشجار الغابة :
 لكي يشعر الناس بوجودي .

لذلك قلت ان كان في الحرة بركة ففي الفلوات بركات وفي
 الهدونمو وسمو . فالنور ياسادتي ينبثق على العالم هادئاً ساكناً .
 وان شمس الحكمة لتحتجب غالباً عند هبوب العواصف والزوابع
 فمن الانفس السامية المتفردة الهادئة ينبثق نور الحب ونور
 الحكمة ونور الحقيقة . وفي الانفس السامية المتفردة الهادئة ينبثق
 الجمال كلها . جمال الفنون وجمال الروح وجمال الحياة السعيدة .

والى الانفس المتفردة السامية الهادئة تعود حسنات التمدن
الحديث لترينا فيها اسبابها . لذلك كتبت فوق باي :

في اصلاح الفرد اصلاح الامة
وفي تهذيب الشعب اصلاح الرؤساء والحكام



هنا وهناك وهناك^(١)

ايها السادة والسيدات .

دعي مرة اديب للخطابة في حفلة مثل هذه فلي الدعوة فرحاً
 سروراً لانها كانت اول ما جاءه من القوم وكان الخطاب با كورة
 عمله فسود الاوراق وبيضاها واستعد خطابه استعداداً يليق بوقفته
 الاولى على المنبر . ولكن لما وقف امام القوم خائفة الحافظة وجمعت
 القريحة فاعتذر قائلاً : لما دخلت هذا المنتدى لم يكن احد يعرف
 من خطابي شيئاً سوى الله والداعي واما الآن فبأسف اخبركم ان
 لا احد يعرفه سوى الله . فاستحسن الحاضرون النكتة وعفوه من
 الخطابة . ولا تظنوا رعاكم الله ان الكلام الذي اعدته انا لهذه
 الحفلة لم يطلع عليه قبل هذه الساعة سوى العالم بذات الصدور
 كلا . فقد اضطرني اصدقائي الى مراعاة اصطلاحات البلاد وقالوا
 ابعث ابنك هذا الى المستشفى بلا عناد . فبعثته بعد ان دسمته
 من العين . وقرأت عليه التعويذتين وهناك استلمه مولانا الطبيب
 وكفى بذلك تلميحاً للبيب . وعاد الي بعد ايام حسبتها سنين . وعلى
 بدنه اثار الموضع والمشرط والسكين . فتصافحنا وكلانا يقول الحمد
 لله رب العالمين . ويجب ان اقف عند هذا الحد في التسجيع

(١) وهي الخطبة التي اعدتها حفلة جمعية شمس البر السنوية في السنة

الاخيرة من عهد عهد الحميد فرفضتها اللجنة خوفاً من المراقبة .

والكنايات خوفاً من ان تحسبوني اتلوعليكم شيئاً من سجع الكهان
او مقامة من مقامات بديع الزمان، وقد يتبادر لذهنكم اني اوردت
القصة ليكون حظي منكم حظ ذلك الخطيب من قومه ولكنني لا اطلب
كل هذا . انا ادفع الآن نصف ما علي من الدين لهذه الجمعية
بشرط ان تعفوني من النصف الآخر ولكنني اعدكم بدفعه مع
الفائدة متى تحسنت الاحوال على انني اود لو كنت مطلق الحرية
لا دفع كل ما علي الآن . ان قوتي يا سادتي في حريتي لا في شعري
اود لو تكون وقفتي هذه الاولى امام قومي في وطني غير مقيدة
بقيود التقية والاحوال . ولكن لسان الحال افصح من لسان البيان
وقد تكون الكلمة المحفوظة في الصدر اشد تأثيراً في النفس من
الكلمة المقولة

لقيت على شاطي، البحر وانا قادم ذات يوم الى المدينة شيئاً
ذكرني بما يليق ان افتتح به هذه الكلمات القليلة التي تحوم حوماً
حول موضوع يتعود من ذكره الناس . ذكرني ما لقيته على ساحل
هذه البلاد السورية وسأخبركم عما لقيته بعدئذ او لكم ان تنبهوني
اذا فاتني ذلك . ذكرني بمدينة في البلاد الاميركية قضيت فيها
خمس عشرة سنة بين قومي والاعجام فلم امل كل الميل الى اولئك
الاميركيين ولم اهجر كل المهجر اخواني السوريين . لم يكن جفاء
قومي ليقر بني من الاعجام ولا اكرام الاعجام ليبعثني عن قومي .
ولقد سمعت من اصدقائي الشعراء الاميركيين من الكلام ما

يضعف الشواعر الوطنية لو كان في مثل هذا الضعف استعداد .
وقد قال لي احدهم مرة بعد ان قرأ في احدي الجرائد الاميركية
خبر قيام النزلة السودرية علي بسبب كتابي الاخير دع ذكر الوطن
والامة والزم الشعر . الشاعر الحقيقي هو ابن العالم علي الاطلاق
وكل وطن صالح هو وطنه . فرنت هذه الكلمات في اذني ولا سيما
لان الناصح كان شيخ في السن وفي صناعته . وهجرت اذ ذاك
قومي الي حين ونفضت عن اوراق غبار لغتنا هذه الشريفة
واخذت انظم في اللغة الانكليزية وانقل الي الاعجام ما عثرت عليه
من كنوز العربية . وثبت عندي اذ ذاك ان الشاعر الحقيقي
يخلص الخدمة لوطنه اولاً ومن ثم يتدرج الي خدمة الانسانية .
او يخدم الوطن والانسانية معاً اذا كان من النوابغ الحقيقيين
النادرين في كل امة وبلاد . وبعد ان فكرت في امري هذا
وسمعت المباحثة التي جرت بين ذاتي السوري وذاتي الاميركي
حكمت للاول علي الثاني ورضيت ان اكون من الطبقة الاولى
في الوطنية ولو جعلني ذلك في الطبقة الوسطى من الشعر . وهكذا
عدت الي الكتابة من اليمين الي الشمال ولكنني حفظت في
قلبي زاوية للغة التي اكتسبتها في العالم الجديد . ولو اصنعت الي
قول صديقي الشاعر الاميركي لما كنت ظفرت بمشاهدتكم هذه
الليلة ولكم ان تعكسوا . نعم ان وامي بلغتي وبوطني لقوي شديد
ولو سألتموني ايراد الاسباب التي توجب هذا الروع لقلت لكم

احب لغتي لانني احب نفسي واحب وطني لانني احب قومي .
 وقد يحملني هذا الولع والحب الى الغلو احياناً . فقد قرأت مرة
 ان غالينوس كان يقول اجود هوا في الدنيا هوا بلاد اليونان .
 وقال ابن رشد ان اجود هوا لهرات قرطبة (بلده) وقال ملتن ان
 الهواء النقي المحيي لا يهجر ابداً لندرته واقول انا واظنكم كلكم تقولون
 معي ان هوا لبنان لهو نفس الالهة بالذات . وكلنا لاشك مصيبون
 وما غلوي انا الا جزء من غلواولئك الفلاسفة الكرام . هذه الثمرة
 من تلك الشجرة . ولكن حبذا هوا لبنان وبئس المتنشقون .
 حبذا ما الجبل وبئس الشاربون . لا والله هذا كثير . لا يجب ان
 الوم اللبنايين ولا ان أوأخذهم بما هم عليه من الجمود والانحطاط
 والاستكائة والضعفة . فالأكليروس وشيوخ القرى راضون عن
 مثل هذا الانحطاط والخمول ويجب ان يرضى المقلقون بما يرضى
 شيوخ القرى والأكليروس . يجب ان نرضى ونسكت . ولكن
 اذا نحن سكتنا فالهاجرون لا يسكتون . اذا نحن رضينا فالهاجرون
 المقلقون لا يرضون . نعم لا بد ان تشرق علينا شمس العلم والترقي
 من المغرب كما تشرق علينا شمس الله من وراء جبل صنين . لا بد
 ان يشرق على سوريا قر الاصلاح من وراء البحار مثلما يشرق عليها
 قر السماء من وراء جبل الشيخ . لا بد من التقاء الشمسيين واجتماع
 القمرين وقد يتأخر قر المغرب الى الهزيع الاخير من الليل . فلتنه
 الامة مطمئنة اذاً . ولكن اذكروا كلامي . لا بد من ان تعالينه

ذات ليلة من ليالي تموز وهو شهر جليل الذكركر عند اعظم جمهوريتين
في العالم .^(١)

واني لا ذكر يوم وقفت امام قومي في اميركا فذكرت قومي
في الوطن وها انا الان امام نخبة من قومي في الوطن العزيز اذكر
قومي في اميركا فتحلوا لي الموازنة بين الشعبين اذا لم اقل بين
البلادين ولكن الوقت قصير والحبل اقصر . فتي ياترى يعود
المهاجرون المنورون الى الوطن . وافطنوا انني لا اريد سوى
المنورين واما ما بقي من المهاجرين فسواء على الوطن اعادوا ام لم
يعودوا فهم لا ينفعون . الامة بافرادها لا بجرادها . ولكن حتى
م هذا الانقسام وهذا التشتيت وكيف تصان وتتعزيز الوطنية
والمنورون من السوريين ضاربون في اربعة اقطار العالم تائهون في
فيافي النزاع والجدال - فتراهم قائمين بعضهم على بعض في كل
صقع وفي كل قطر وفي كل بلاد . الشعب السوري في المهاجر
جاهل ولكنه ناهض عامل . والشعب السوري في الوطن منور
الى درجة ولكنه متقاعس متغافل . هناك ترى السوريين في
هرج ومرج وشغب ونزاع وجدال وقتال . تراهم ابداء قائمين
قاعدتين ضاربين شاكين . وهنا تراهم الى السكنينة والاستكانة
مخلدين . هناك تضعف الوطنية ويقوى التعصب الديني من عوامل

(١) ليطمئن انبياء اليوم بالآ فان صدق نبوءتي هذه لا يطعمني في ان
انافسهم وقلما يدعي النبوة من تصدق نبوءاته .

خارجية . وهنا قد ينتج ذلك عن عوامل داخلية . هناك
 نهاميون ووزارزة من الاكايروس عاكفون على جمع المال عاملون
 على اثاره الفتن . وهنا - ولكن قد فاتني ان البحث في شئون
 ذوي الرئاسة محظور في هذه الجمعية بل في هذه البلاد . هناك
 صحافة عربية نمت في ظل الحرية فوافقها الهواء الى حد ان صارت
 صحتها فيه بلية . وهنا - ولكن الصحافة بنت الزارزة
 والنهامين فكما راعينا خاطرهم يجب ان نزاعي ايضاً خاطر ابنتهم
 هذه العانس الفضفاضة الوهناة . الصحافة السورية في اميركا
 وما ادراك ما هي . سطور تلمع من خلالها الخناجر والحراب
 واعمدة تطفح بالحامض الكبريتيك . واما هنا فعندنا زناويل من
 القش ملونها قطن منفوش وبخور يحرق في مجامر التدليس حول
 الارائك والعروش . ولكن قد فاتني ان الخوض في امور السياسة
 محظور في هذه الجمعية بل في هذه البلاد . هناك قوم يقدمون
 على غير هداية . ويخبطون خبط العشواء في البداية . وهنا
 كرام يرون البقاء في الخيام . خيراً من الهيام في الظلام والجمود
 خيراً من التطواف خارج الحدود . هناك حرية يرافقها بطر
 واشر وحقاقة . وهنا تهذيب ناقص يتراوح بين المراعاة واللياقة .
 ويسير مستسلياً مكتئباً من الخمول الى الذبول . هناك قيل لا
 يتبعه عمل وهنا لا قول ولا عمل . ولعمري هذا الاخير احسن
 من ذلك . هناك ضجة وقعقة وضوضاء . وهنا هدوء وقناعة ورخاء .

هناك صحافي يقارع كاهناً وكاهن يصارم صحافياً وهنا . - كاد
 يطيش السهم ثانية او بالحري كاد يصيب كبسد الحقيقة لو لم ترده
 هذه الجمعية الزاهرة بمن التحضير : هنا وهناك وهناك -
 وهل ينطق من في فمه ماء ؟ نعم كدت انسى ما وعدتكم به . ماذا
 تظنون لقيت على شاطئ البحر ؟ اسمكة من ذهب او صدفه
 من الندى المتجمد على الصخور او لؤلؤة صفراء او مرجانة بيضاء
 او بنتاً من بنات الامواج الزرقاء اللاتي يحلم ويهيم بهن الشعراء
 او شيئاً اندر من كل نادر تحت السماء ؟ لا لا . ما لقيت شيئاً من
 هذا . ما لقيت على شاطئ البحر سوى الامواج ثم الامواج
 ثم الامواج . وهذا من مثل كلام المتصوف الذي يختلي بنفسه
 ويقول : قد وجدت روعي قد لقيت ذاتي ولك ان تسأل هل
 كانت روحه قدس الله سره ضائعة ام كان هو محجوب عن نفسه .
 ولكنني اعجز عن الجواب لان الله لم يفتح علي في مثل هذه
 الامور . وهو لا . المتصوفين ضروب من الكلام لا نلحنها نحن
 العوام . غير اني اهديك الى القشيري والسهروودي اذا كنت لا
 تخاف ان تضيع في براري شطحاتهم وسرادب اسرارهم . واذا
 اغلق عليك هناك فاليك فلاسفة الالمان الروحيين او براهمة الهند
 القانتين . واما كلامي فكلام شاعر مفتون . لا كلام متصوف
 مغبون . نعم ما لقيت على شاطئ البحر سوى الامواج القائمة
 القاعدة المرغية المزبدة الهاجمة الهاججة . سوى الامواج تلاعب

الرمل فتترك عليه اثر حنين البحر الى ما خرج من بطنه من
 سواحل وسهول وجبال . لقيت هذه الامواج او بالحري لقيت
 فكراً صغيراً في موجة صغيرة منها جاءت تلثم قدمي ضاحكة
 وعادت الى حجر امها راغبة راضية . ففكرت في نفسي اذ ذاك
 وقلت . ليست هذه الامواج من ذات البحر الذي تتلاطم
 امواجه حول جبل طارق ؟ او لا تنقل امواج البحر الواحد من
 مكان الى آخر في مدار الليالي والايام فتسافر الموجة الواحدة الى
 سواحل سوريا كما تسافر بواخر الميساجري ماريتيم . او لا تمتزج
 امواج البحر المتوسط بامواج البحر الاطلنטיكي عند مجتمع
 البحرين . او لا تسافر الامواج من مرفأ نوورك الى جبل طارق
 ومن ثم الى سواحل اسيا الصغرى ؟ اذن - وها قد وصلت الى
 بيت القصيدة - ما الموجة التي لثمت قدمي الارسل خير من
 بلاد العلماء الى بلاد الانبياء . ما هي الاموجة واحدة صغيرة من
 بحر النور والهدى يقذفها المغرب الى المشرق . ان هي الاموجة
 من امواج العقل والحجى يسوقها الله الى بلد ميت فيحييها بعد
 موتها . ان هي الاموجة من امواج النفس البشرية النبيلة تحملها
 الرياح والاعاصير الى المستضعفين المستذلين من العباد في كل بلاد
 ان هي الاموجة من امواج الحب والحنان يشحن بها الاصفياء
 الاحرار عزم اولئك المنقادين للهوان المستسلمين للامتهان . ان
 هي الاموجة من الامواج التي تغسل قدمي الهمة الحرية الرافعة

نبراسها في مدينة نويزك العظمى واني لاقول لكم الآن لا بد
ان يرى المستقبل مثل هذا التمثال الجليل الجميل في كل مدينة
كبرى من مدن الشرق الاقرب والاقصى . واذ لم يكن تمثالا
من نحاس اصفر او رخام ثمين . فتمثال من نور في قلوب الوطنيين
وهذه شبه نبوة بيد اني قصير الباع في هذه الصناعة ولكن قد
جاء في الحديث الشاعر جزءان من ستة واربعين جزءا من نبي .
ولعل احدكم يقول قد جاء ايضا والشعراء يتبعهم الغاؤون وهم في
كل واد يهيمون . نعم قد سمعت هذا الحديث ولكنني لا اسألکم
ان تتبعوني . اذكروا فقط كلامي . ودعوني واحلامي .



الحرية والتهديب^(١)

وزيدُ أن نمنَّ على الذينَ أَسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ
وَنَجْعَلُهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ (سورة القصص ٤)

أيها الوطنيون

انتم المستضعفون في الارض وانتم ان شاء الله الوارثون .
ويشهد على ذلك نير ماضيكم وحرية حاضركم . يشهد على ذلك
ظلام امسكم ونور يومكم . فانتم المثلحون والمحررون بفضل زعماء
الآراء الحرة وبفضل الجند العثماني الذي سيبرهن لاوروبا اليوم
ان الشرق لم يزل منبت المعجزات . ففي الماضي كانت معجزاته
دينية واليوم معجزاته سياسية . بالامس دهشت دول اوربا
بالمعجزة التي اتتها اليابان واليوم تدهشها المعجزات السياسية
والاجتماعية في دولة بني عثمان . فاوروبا لا تعرف حتى الآن معنى
الثورة السلمية وما رأت بين شعوبها المتباينة عناصرها السياسية
والمتضاربة مذهبها الاجتماعية مثلما يسود اليوم في امتنا من
التساهل والمساواة والاخاء^(٢) وهذا هو النور الذي ينشق من
الظلام . هذه وردة الونام التي تنبت على ضريح الشقاق والخصام

(١) القيت في حفلة من حفلات الدستور

(٢) واذا ماراني القانطون من الحال الحاضرة اردهم الى المستقبل

هذي هي الحرية التي تشيد الامة هيكلها في روضة الالفة والسلام .
 جاء في بعض الاسفار ان الاطباء الاقدمين اكتشفوا
 العقاقير القتالة قبل العقاقير الشافية . وكذلك يصح ان يقال في
 حكومات العالم باسرها فالقتالة منها وجدت قبل الشافية . ولا
 فرق بين ان تكون الحكومة ابوية كما في الصين او اميرية كما
 في الهند او استبدادية كدول اشور ومادي وفارس او كحكومة
 الروس ، بالامس فكلها من الادوية القتالة التي يسقيها الحاكم المحكوم
 ليقتل فيه الروح ويتمكن من ارهاب الجسد وتسخيره واستعباده .
 فالظالم مجرم اياً كان . والحكومة الاستبدادية ذاهبة الى البوار
 في كل مكان . ولنا في حكومتنا على هذا اقطع برهان فبالامس
 كانت الامة العثمانية تتقلب على فراش الموت واليوم ترح فرحة
 تحت سماء الحياة وفي ظل الحرية والدستور . لنهني . انفسنا اذا
 لاننا عشنا والحمد لله لنرى الظلم مدرجاً بكفنه والاستبداد
 هاوياً الى الجحيم .

بالامس كان خطيبكم يتسلم المنبر فيجمع الكلام ويوريه
 ويلغز ويرمز . ويعقد مقاله ويلويه . لتخفي على جواسيس الحكومة
 معانية . واليوم نراه كما لو كان في باريس او في نيويورك يصدع بالحق
 ويجاهر مصرحاً بآرائه ومبادئه . والفضل في ذلك عائد الى زعماء
 النهضة الاصلاحية النظرية . والى زعمائها العلميين . والى الرئيس
 الاكبر الذي انتهت اليه مطالب هؤلاء العثمانيين . بل الفضل عائد

الى كل من حرك قلما لبث روح الحرية والدستور . والى جلالة
السلطان الذي كلل النهضة بالنور فصان الدولة من الخطوب والمحن
وخلص الامة سن المزهز والفتن . فالامة التي كانت امس اسيرة
ظلمه اصبحت اليوم اسيرة فضله . وقد يكون الاسر اكبر من
الاسير ولكن العاتق ياسادتي اكبر من الاثنين فالسلام اليوم على
عبد الحميد . والسلام على عهده الجديد . سلام على عصر الحرية
المجيد . (١)

وجدير بنا بعد هذا التشبيب . الذي لا بد منه للخطيب .
البحث في ماهية الحرية واصولها باختصار يوجبه الوقت والمقام .
فالحرية اليوم كلمة تملأ افواه القوم . الحرية جمال يزدهي في اعمدة
الصحافة واندية الامة . الحرية مجد انسى التجار اشغالهم . والالتقياء
فروضهم وانفالهم . الحرية الهمة هجرت الامة معابدها لتعبدها .
كل ذلك جائز . كل ذلك حسن ان لم يكن مفيداً . ولكنني في
كل ما قرأته في الجرائد لمن كتبوا وخطبوا ما اطلعت على كلام
في الموضوع حري بالنظر والاعتبار . وقد يكون فاتي في عزلي
كثيراً مما كتب وفات الشعب في ابتهاجه وهو سه اكثر من ذلك .

(١) وذني صغير بالنسبة الى ذنوب الشعراء في هذا المقام . ثلاث
تسليمات يغفرها الله ولكن الثلاث مائة قصيدة . . . سبحان من لا تحده
الحوادث سبحان العالم بذات الصدور وبجفائيا الدستور

لان المعقولات في مثل هذه الايام تلفت انظار الناس والبحث
 الفلسفي في الموضوع لا يروق الشعب ولا يلائم الزينة في المدينة
 على انني دعيت الى الخطابة في هذه الحفلة الشائقة فينبغي لي ان
 اقول الكلمة التي يوجبها العلم ويقتضيها الضمير ويؤيدها الاختبار
 ولكم ان تنبذوها بعد ان تسمعوها او تردعوها فتستشروها .
 كل انقلاب في الحكومات لا يسبقه انقلاب في الافكار
 والآراء لا يرجى منه كبير فائدة . فالحرية السياسية جميلة واما
 وحدها فمنافعها قليلة ومن الواجب ان يتحرر عقل الامة وضميرها
 ليتعزز شأنها وشأن حكومتها . واعلموا ان ثورة روحية في بلاد
 الافرنج هي اصل هذه الحرية السياسية التي نتمتع بها اليوم
 فرحين مبتهجين . يقال ان للجند يداً في هذه النهضة الاصلاحية
 ولا ريب عندي في ذلك . ولكن الجند في الحكومات
 الاستبدادية اذا امتهنت حقوقه وحبس زمناً معاشه يقيم السيف
 في امره حجة قاطعة . وكثيراً ما حدث من مثل هذا الحادث في
 الحكومات الاستبدادية في سالف الزمان . واما الان فنرى ان
 الجند العثماني ينصر النهضة الفكرية الاصلاحية ويشق تمام الثقة
 بمواعيد زعمائها . والفضل في تغلب الفكر على القوة والعقل على
 السيف حتى في الجند عائد الى شي جميل في مدنيتنا ينتشر في
 العالم انتشاراً سريعاً . وهذا الشي الجميل يتجسد احياناً في دعاة
 الاصلاح الصادقين وغالباً في الفلاسفة والشعراء الحقيقيين . فالشورى

على وجهها البسيط قديمة في العالم . وطريقها من المشرق الى المغرب
يكاد يختفي في ظلمة التاريخ . واما من المغرب الى المشرق
فمسلكها واضح وآثارها جليلة . فمن المصلحين العثمانيين الى
المصلحين الروسيين مرحلة قصيرة . وتكاد اسباب مجلس المبعوثين
تتصل باسباب مجلس الدوما . وفي الدوما تتجلى لنا ارواح باكونين
وتورغانيف وتولتسوي وغوركي . وهو لا . منبثقون من فولتير
وروسو وديدارو وهوغو . وروسو وفولتير وهوغو مديونون
لكالفين وجون نكس ولوثيروس بكثير من الحرية التي تنبعث
اشعتها من اقوالهم . فالثورة الروسية اذا هي ابنة الثورة
الافرنسية و كلكم على ما اظن تعلمون ذلك . والثورة الافرنسية .
وهذا ما لا اظنكم تعلمون . هي احدى نتائج الثورة الروحية
التي اطلقت ضمير الانسان من قيود الخرافة السوداء . وعقله من
قيود السلطة الصماء . وقلبه من قيود الطاعة العمياء . فتدبروا
هذا واعلموا ان الحرية الروحية هي رسول الحرية السياسية .
واذا جاءت هذه قبل تلك يعد مجيئها نقصاً لا بد ان نحاسبنا عليه
الايام .^(١)

ورب قائل يقول وما معنى الحرية الروحية . فقبل ان اجيب
على هذا السؤال اوجه اليكم سؤالاً آخر . أتظنون ان كل من
(١) وما كنت اظن انها تسرع بالحساب هذا الاسراع .

عاش في ظل الدستور صار حراً . أتظنون ان كل من تمتع بحقوقه المدنية اصبح حراً . اتحسبون الفقراء والعمال في الجمهوريات من الاحرار . اتقوم الحرية بهذا الوهم الذي يدعونه في الحكومات الدستورية حق الاقتراع . اتعجبون اذا قلت لكم ان نصف سكان الولايات المتحدة لا يزالون مكبلين بسلاسل العبودية . فما الفائدة للخادم من الحرية التي تتوقف على ارادة سيده الخبيثة الجائرة . ما الفائدة من الحرية السياسية التي يكفلها له القانون اذا كان القانون في قبضة الاغنياء . افشل هذا يعد حراً وهو لا يستطيع ان يبدي رأياً مخالفاً رأي سيده . ايعد حراً من لا يملك نفسه . من لا رأي ولا روح له . ايجسب حراً من كان وجدانه مقيداً بوجودان من يتوقف عليه معاشه . فالتسكسك في الولايات المتحدة . اي بذل ماء الوجه امام ارباب المال هو مشتق من التسكسك في الشرق . اي تعفير الوجه امام ارباب السلطة والسيادة . والمتسكسك ياسادتي وان ملاً ماضيه فخراً بالحرية والاستقلال والمساواة فما هو الا عبد تُكَلِّم . لا رأي ولا نفس له .

الحرية الروحية اذا هي ان يكون الفرد مالكاً نفسه اي مطلقاً من القيود التي تضغط على روحه وعقله ان كانت هذه القيود عائلية او اجتماعية او دينية او سياسية . الحرية الروحية هي ان تكون روح كل امرئ بيده وتصرفه لا محجوزة ولا

موقوفة ولا مبيعة ولا رهونة . وطالب هذه الحرية يتدرج فيها
 من بيته الى دائرة اشغاله ومنهما الى معبده وحكومته . فينعتق
 اولاً من الواجب الكاذب الذي يفسد الحب في الاسرة ومن
 المصادقة التي تدعى لطفاً وصداقة ومن الخرافات التي تشوه وجه
 الدين . ومن التقاليد التي تفسد الحكومة . ان الحرية السياسية
 اذا هي فرع من الحرية الجوهرية الاصلية الروحية او هي نتيجة
 من نتائجها . وهذه الحرية يحددها ويقيدها الناموس من جهة
 التهذيب من الجهة الاخرى . وبدون الناموس يستبد الحاكم
 ويوغل في الطغيان . وبدون التهذيب يستبد الشعب ويمعن في
 العصيان . بدون الناموس يسود الظلم في الحكومة . وبدون
 التهذيب تسود الفوضى في الامة . فالناموس القويم الحي والتهذيب
 القويم الحي انما هما حصنا الحرية المنيعان . واما الناموس فتمثله
 الحكومة في الدستور ويمثله الدين في الايمان وتمثله الانسانية في
 الضمير . فالضمير الحي والايمان الحي والدستور الحي انما هي
 الدعائم الثلاث التي تقوم عليها الحرية الحقيقية المعنوية الجوهرية .
 الحرية الثالوثية التي هي واحدة اي الحرية الروحية والحرية
 الادبية والحرية المدنية . وان كان المرء حراً سياسياً ومقيداً دينياً
 وادبياً فحرية ناقصة . والحرية الجوهرية الروحية الكاملة لا تسود
 ولا تنتشر في الامم الا بواسطة العلم الصحيح والتهذيب الصحيح
 فعلياً اذن ان ننادي باصلاح المدارس بعد ان فتج لنا الباب

في اصلاح الحكومة . فان اصلحنا الحكومة وظل التعليم تحت
سيطرة من يقتلون في الناشئة العثمانية عزة النفس . وروح الاستقلال
وعاطفة حب الوطن . ويعطونهم بدلاً من ذلك قليلاً من العلم
الذي قلما يفيد نعود الى الحال التي كنا فيها وتسمي حريتنا كجواد
الامبراطور الروماني كاليغولا^(١) ودستورنا كطيلسان ابن حرب
او كجبة ديوجن^(٢) علينا اذاً ان نبث الروح الجديدة في مدارسنا
علينا ان نشيد حريتنا حصناً من التهذيب كما شيدت لها الحكومة
حصناً من الدستور . علينا بالجهاد والثبات . بالتيقظ والتحذر
تحذروا ايها العثمانيون وتنبهوا .

تحذروا من انقلاب الاحوال وتقلب الرجال فان للوزارة
في الدولة مقاصد تخفي على ممثلي الامة وعمال الحكومة
تحذروا من رجعات الظلم . تنبهوا الى عودات الاستبداد .
ان في السياسة من الاحاييل والاشراك ما لا يعرفها الا من
اشرف في السياسة مراراً على الهلاك . احذروا من كان في عهد
الظلم حراً فاصبح اليوم مقيداً . اذ بدل الجاسوسية القديمة قد
يتألف اليوم من حزب التقهقر جاسوسية جديدة .

احذروا حيل المشعوذين والممخرقين كحذر كم دسائس المعزولين
والساقطين . ولا تغضوا الطرف عنهم قائلين ان لسمهم درياقاً

(١) حصان قيل ان الامبراطور منحه لقباً وكان يعبد

(٢) طيلسان ابن حرب . مثل جبة ديوجين . كان كثير الفتور والرقع

بالدستور . لا تأمنوا السم باصفهان . اذا كان درياقه بخراسان .
احذروا الخونة والمرائين الذين ينادون معكم اليوم « فلتحي
الحرية » وهم في قلوبهم يلعنونها .

احذروا من المأمورين من يبتهج ويفرح معكم بالدستور وكان
الظلم من طبعه والاستبداد وراثته فيه . فان العوسج لا ينبت
تينا . والصخر لا يستحيل ماءً معيناً .

احذروا من اتخذ السياسة حرفة والسيادة باباً للارتاق لان
المعدة والاهواء والمطامع تنسيهم الشعب والدستور والحرية .

احذروا المصلحين الكاذبين الذين يتزلفون من الشعب اليوم
كما كانوا امس يتزلفون من السلطان ووزرائه لان طالب الوظيفة
واحد ان احرق بخوره امام الباشاوات او امام الجماعات .

تحذروا من جهل الشعب العاتي كما كنتم تتحذرون البارح
من ظلم الحكومة العاتية . فالتاريخ شاهد على ما ارتكبه الشعب
باسم الحرية من المظالم والفظائع . احذروا في انتخاب المبعوثين
نفوذ رجال الدين . فالعضو الذي ينتخبونه يوثر في المابين مصلحتهم
على مصلحة الامة .

احذروا ايضاً نفوذ الاغنياء الذين لا يهمهم من الحرية
والدستور سوى ارتفاع الاسعار في (البورص) وهبوطها . اذا
شبع الزنجي بال على التمر .

احذروا من ينتمي اليكم اليوم ممن يأكلون اموال الناس

بالباطل ويصدون عن الحق . اولئك الذين يكتزون الذهب
والفضة ولا ينفقون منها في سبيل الامة والوطن والخير العام .
وبكلمة اعم احذروا الحرية التي لا ينيرها التهذيب والتهذيب
الذي لا تنيره الحرية .



Vertical text on the right margin, likely a library or archival stamp.

الثورة الادبية^(١)

سادتي وسيداتي

قبل ان ابدأ بالكلام اطمننكم أوكد لكم اني لا اكلمكم هذه الليلة بالرموز والالغاز . بل في نيتي ان اجرد الاشياء من زيناتها واسميتها باسمائها . فان ذكرت العقاب مثلاً فلا تظنوني اشير الى شي خفي تحته او فوقه او وراه او فيه . بل اريد العقاب بعينه . وان قلت هبت الشرقية . فلا تقولوا ما اجمل هذه الصور الخيالية . فاني اقصد النار الحقيقية تلك التي لو مرّ العقاب فوقها لوقع فيها مشوياً . قد حان لنا ان ندعو المعول معولاً . على حد قول اخواننا الامير كيين . وبناء على ذلك سنبتقي على الارض هذه الليلة . بعيدين عن القمر والجوزاء وعن تبرقش الشعراء .

لما وقفت امامكم في السنة الماضية شعرت بوجودي معكم في غور الحياة بل في اردن الموت . واما الآن فاراني والحمد لله اخاطبكم وانتم في سهول الصحة تستنشقون هواء الحرية . فمن اردن الموت الى سهول الحياة وحقول الحرية - انها خطوة خطيرة . وليكنها صغيرة . هي خطوة الى الامام وليكنها لا تغني عن

(١) القيت في حفلة جمعية تهذيب الشبيبة السورية في المدرسة الكلية

في بيروت .

رحلتنا الطويلة شيئاً من الاقدام . فاننا . اذا حوّلنا وجهنا الى
 مشرق الشمس . نرى الجبال قائمة في طريقنا . لا لتعترضنا في
 سيرنا . بل لتشجذ منا الهمة وتوقظ فينا النشاط .
 وكلما صعدنا في جبل نشاهد فوقنا روح ما تجسد من الامال
 وهي تدعونا الى ما فوقها من الجبال . وان الامة التي تستيقظ
 من سباتها وتنفض عنها غبار فتور الاجيال ينبغي لها ان تواصل
 السير بالسرى والا تقهرت فسقطت ثانية في الوهدة التي قامت
 منها . ولا يخفى عليكم ان الطريق وعرة . والزاد قليل . والنفس
 مضناة من اقامتها طويلا في الغور . والاحمال ثقيلة . والادلاء
 كثيرون . ولكننا سنتوقف ان شاء الله في مسيرنا على رغم هذه
 الصعوبات والعقبات اذا اتخذنا شمس العلم دليلنا . والاداب
 والفنون زادنا .

ان الشمس المشرقة علينا من المغرب اليوم هي والحق يقال
 شمسنا . هي شمس آدابنا . هي شمس ادياننا . هي شمس
 مجدنا الغابر . وانكم اذا نظرت الى خارطة العالم . ترون ان من البلاد
 ثلاثاً آخذة منه مركز القلب . وهذه البلاد هي سوريا وفلسطين .
 وجزيرة العرب . وما بين النهرين . هذه البلاد ووطننا . هذه
 البلاد قلب العالم . وفي هذا القلب ظهرت الانبياء . وفيه نشأت
 الاديان . ومن هذا القلب اشرفت على اوربا في الاجيال الوسطى
 شمس العلم والفلسفة والادب . فانارت ظلمات الاوروبيين

وخرجت بهم من مهامه الجهل والتوحش الى واحات الرقي
والعمران . اجل ان وطننا لقلب العالم ولكن اوروبا رأسه . وان
كان القلب منشأ اخیال والنبوة فالرأس منشأ العلوم والفنون على
ان النور المنبثق من الرأس فقط هو كالنور الاصطناعي الذي
يضيئون به المراسح في اوروبا . هو نور بارد جامد خاسي . واذا لم
يشترك مع نور القلب وحرارته فلا خير فيه للانسان مهما عظمت
نتائجها في دوائر العمران . اما الفنون فان لم يكن الضمير أسها
والاخلاص لبها ونفع البشر غايتها الاولي فهي أفيون لا فنون .
فهي تخدر الحواس وتذهب بشي من الهموم ولكنها تقتل النفس
وتفسد الحياة .

ان سكان هذه البلاد التي هي قلب العالم لشبيهون بشجرة
ذكرها النبي . شجرة مباركة لا غربية ولا شرقية . نحن اليوم
واقفون بين مدينتين متناقضتين متعاديتين . مدينة جديدة
ومدينة قديمة . مدينة اوروبية ترفع اعلامها في البلاد كلها .
ومدينة شرقية لم يزل لها المقام الرفيع بين فئة راقية من نخبة
الادباء والفلاسفة في اوروبا . اذا كان هؤلاء الاوروبيون يجدون
اذا في مدينتنا ما لا يجب تركه . ما لا يجوز اضمحلاله فكم بالحري
نحن . ولي كلام طويل في هاتين المدينتين اقول الوجيز منه الان .
لست بجاهل ما في مدينة اليوم لمن كثر ماله فقط من دواعي
الراحة في المعيشة البيئية المادية والسهولة في الاسفار والمواصلات .

ولا اظنكم تجهلون ما في التعادي والتكالب في سبيل هذه الاشياء
من الشقاء ايضاً والبلاء . فان المدنية التي يدعى التكالب فيها
نشاطاً . واخذاع براعة . والقوة حقاً . هي عندي شر المدنية .
وهذه مدنية اوروبا اليوم . مدنية كهرباء هي وبخار . مدنية تجارة
وكسب واستغرار . مدنية حروب وفتوحات واستعمار . ليس
فيها للضمير والذمة اثر من الاثار . مدنية جذورها حب الذات
والاستئثار . وثمارها اليأس والانتحار . لا تقولوا بالغت فان
كلامي من الاختبار . لا من المجالات والاسفار . واما مدنية
الشرق فلست بمنكر انها مدنية فتور وجمود واستسلام . مدنية
اصولها القضاء والقدر ولبها محض اوهام . ولكن فيها من جميل
العادات والتقاليد . من جميل العواطف والشعور . من عزّة
النفس وكرم الاخلاق . من الاعتدال في العيش والبساطة . ما
تفتقر اليه مدنية اوروبا . وهذه اخلال الشريفة تبعث الحرارة في
الحقيقة الباردة القاسية فتمسي الحياة خفيفة الاحمال مرضية
الآمال .

فضلاً عن انه لم يزل في هذه المدنية القديمة شي من الضمير
الحي والتجرد في الولاء مما يزيد النفس الشرقية جمالاً . والضمير
الحي ايها السادة هو ملح العلوم والفنون والاداب وبهذه كلها
تتغذى المدنية الحقّة .

نحن اليوم واقفون بين هاتين المدنيتين - بين مدنية غازية

منتصرة واخرى مدبرة . فعلينا اذاً ان لا نخضع على الاطلاق
لهذا الفاتح القوي . وان نتمسك بما في مدنيتنا من الخير الروحي .
ولا ينجينا من استبداد هذه المدينة الفاتحة القاهرة ويحفظ لنا
حسنت تلك المدبرة سوى الاداب . لا اريد بالاداب الكتب
فقط بل اريد منها اداب النفس اولاً والاخلاق . ان الدين وهو
اب مدينة الشرق يرفض بتاتاً مدينة الغرب . وان العلم المادي
وهو اله مدينة الغرب يرفض بتاتاً مدينة الشرق . فالدين والعلم
في هذا الموقف متغرضان كل لقومه ولا ينفعنا الواحد منهما
دون الاخر . واني لا اجد في كل قوى الفكر والنفس وثمارها
اصلح وانجع من الاداب تجمع بين الاثنين فينشأ عن ذلك مدينة
جديدة قوامها الصنائع والفنون وشعارها الاخاء العام . واعلموا
ان الفنون السامية الجميلة هي التي تتغذى بالعلم والدين معاً .
والامة التي تجعل مثل هذه الفنون اساس حياتها الاجتماعية
تكون ولا غرو مجد المستقبل وأم الامم . على شطوط البحرين
وفي اودية الرافدين احب ان اشاهد مثل هذه المدينة الجامعة بين
محاسن المدينتين . احب ان ارى في قلب العالم جمال روح العالم
وكاملها . احب ان ارى في بلاد الشام وبلاد العرب ثمار الانبياء
وثمار العلماء على شجرة واحدة . احب ان تررع بساتين هذه
الارض المقدسة من تلك الشجرة المباركة . شجرة لا غربية ولا
شرقية . واحب ان ارى الادباء والشعراء بعيدين عن السياسة

واو حالها منصرفين الى حراثة هذه البساتين الجميلة .
 ايها السادة - لا تظنوا ان الانقلاب السياسي يجدي نفعاً
 ان لم يتبعه انقلاب ادبي . لا تظنوا ان في الحكومة الدستورية
 دواءً شافياً لكل امراضنا . لا تظنوا ان الدستور وحده يخلص
 الامة من الاخطار المحدقة بها النامية في قلبها . وان الصحافة
 الحرة تقف دائماً من اجل الامة في وجه المشعوذين والمضللين
 والمفسدين . وهل الدستور والصحافة الحرة رقيتان من رقيات
 السحرة حتى اذا قلنا مثلاً شولم صحافة اصرنا شعباً حراً ؟ شولم
 دستور اصرنا امة راقية ؟ لا يا اخواني لا . اذا طلبتم الحرية
 فاطلبوا المعنوي منها قبل الحرفي . الجوهرى قبل السياسي .
 اطلبوا الحرية الروحية التي تحصنها الاداب قبل الحرية المدنية
 التي تتاجر بها الاحزاب . وان خفي عليكم الفرق بين الاثنتين
 فاذكروا ان حرية الجسد لا تجدي المرء نفعاً اذا كانت النفس مقيدة .
 وان حرية الفكر والقول لا تغني فتيلاً اذا ظلت الروح اسيرة
 ما اعتاده الجسد من الراحة والترف والرخاء . او من الذلة وتعفير
 الوجه والعياء .

اخواني - ان الفرق بين الحرية الادبية الروحية والحرية
 المدنية المادية هو كالفرق بين حرية السياسي في مراوغاته وحرية
 البدوي في خيمته او الرجل الصالح الجري في معاملاته . اجل
 ان الحرية الحقيقية هي التي تنشأ في النفس لا التي يمنحها الملك

الرعية . فان هذه ترزعها الالهوا . ويتاجر بها الزعماء . وتقتلها رجعات التقهر الشعوا . وتلك كنز من كنوز النفس الخالدة . والذين لا يناضلون عن مثل هذه الحرية ولا يفادون من اجلها بشيء . مما الفوه من رخاء العيش او بشيء مما نالوه من المال او الرفعة والوجاهة فما ضرهم لو دعوا كلابهم احراراً وذكروا في صلواتهم عبد الحميد ؟ ان الذين يتنازلون عن حريتهم ويتاجرون بها كما لو كانت ثوباً من الخام او سهماً من اسهم البورص ان هم الا قبور متحركة . اذا ما الجسد الا كالقبر لنفس باعت حريتها . ولكنني خرجت عن الموضوع .

قلت ان الاداب التي تجمع بين العلم والدين تكون قوام المدنية الجديدة التي يقرن فيها بين مدنية المغرب المادية ومدنية المشرق الروحية . ولكن آدابنا لم تزل تحت سيطرة المتدينين والمتنطعين وانفسنا لم تزل في ربة رجال الدين . واذا كنا لانشجر من هذا الاستبداد الديني او بالحري السفسطي . كما تجردنا من الاستبداد السياسي . تظل ادابنا مبتذلة جامدة خاسئة ونعود بعد حين الى ما كنا فيه من الفتور والخمول والانحطاط .

خذوني بحلمكم فاقص عليكم بوجيز الكلام قصة الكهان . ونشوء العبادة في قلب الانسان . لنعد الى الاكواخ اذا فنحكي هناك شيئاً من حكاية اجدادنا الاولين . ان من المعقولات التي لا تنفيها الالهيات او الالهيات التي لا تنفيها المعقولات . حيوانية

الانسان . فان اول دعوة لبها دعوة البطن والشهوات . وماذا
يهمنا . وقد علمنا هذا . فيما اذا كان يمشي على الاربع في تلك الايام
او على الاثنين . ان في العالم حتى اليوم كثيراً من الحيوانات التي
لا تمشي على الاربع . هذا الحيوان الناطق اذا لم يكن يفهم في
بادى . امره الا حديث معدته وحديث كبده . فكان لا يحسن غير
الصيد والحرب والاكل والسفاح وبعد فترة من الزمن مقدارها
الفان قرناً او الفان عاماً - لا فرق عندي - بدأ يسمع صوتاً
آخر من فوق المعدة والكبد . بدأ يشعر بدعوة القلب فصار
يعطف قليلاً على اولاده ان لم نقل ايضاً على شريكته بل جاريتها
بل بعلمته . وعلى هذه الحال عاش سنين - وللعلماء ان يجمعوا
الالوف منها فوق الالوف فان عدداً لا يستعحق تعب الفكر -
عاش سنين وهو لا يرى ولا يسمع سوى ما زينته له الغريزة
وحدثته عنه المعدة . او لا ترون ان بعض الشعوب اليوم فضلاً
عن القبائل المتوحشة . لم تزل في هاته الحالة المنحطة من الحياة .
فان القوى المدركة لم تظهر فيهم بعد . وفي هذه الفترة الطويلة
الامد نشأت على ما اظن العبادات والمعبودات التي كانت في
بادى . امرها مادية محضة . لان هذا الحيوان الناطق بل هذا
الصيد الغازي لم ير في الاشياء الا ما ظهر منها . لم ير في الشمس
الا النور . لم ير في الشجرة الا ثمارها واغصانها وقشورها . لم ير
في النار سوى لهيبها ودخانها ورمادها . لم ير في الحيوانات سوى

ما بدا منها وما ظهر من حركاتها . في تلك الايام السعيدة كان
 كل حيوان ناطق يعبد طاغوته ويجب مرمورته على طريقته
 الخاصة بمقتضى شعوره وهواه عملاً بداعي القلب والغريزة . وبعد
 ان مضت عليه احقاب وهو في هذا الغور من الحب والعبادة ارتقى
 قليلاً الى ما فوق السهول وبدأ يشغل المخيلة منه حتى صار يرى
 في الاشياء شيئاً تحت القشور وتحت الرماد . وبما انه لم يدرك
 اسرارها راح يسلي نفسه بالاشعار ويعملها بالخيالات . وبمقتضى
 هذا طفق كل انسان يمثل الخالق في الشكل الذي انطبع في قلبه
 اكثر من سواه . ولا حاجة لتعداد هذه المعبودات كلها . فلو جمعت
 اعداد منها . لا ان اعددها . لاقتضى ذلك من الوقت ما لا يسمح
 به المقام . ولكن اذا ذكرنا منه الجعل والشمس فقط نكون قد
 جمعنا اولها باخرها . اوطاها باعلاها . اصغرها باكبرها . وحالة
 الفرد تجاه معبوده في تلك الايام هي هي اليوم في شعوب الارض
 كلها ولم يرتق في الامم سوى الافراد .
 وكذلك في اجدادنا اصحاب الاكواخ . لما ظهر في الجماعات
 اناس ارقى نوعاً من اخوانهم وبدأ لهم ان الانسان يرتاح الى كل
 غريب عجيب - والزنجي والباريذي اليوم سوا من هذا القبيل -
 لما علم هؤلاء الدهاة ما للخيال والوهم من السطوة على النفس
 والقلوب . قاموا يؤسسون من هذه العبادات ديانات رسمية .
 فبنوا المعابد . وحاكوا من اوهام الناس طقوساً وطرانق .

واقاموا انفسهم رؤساء في الهيكل وبدأوا يتكهنون ويمثلون الله
 - استغفر الله - يمثلون الطاغوت على الارض . وهذا في رأي
 اول ما كان من امر الوثنية والكهان . واذكروا ان الوثنية لا
 تزال سائدة في بلادنا والكهان يتعاطون التجارة اليوم في دكانهم
 القديم . وقد اوضحت كيف كان كل امرئ يعبد طاغوته على
 هوى قلبه قبل ان يولد الكاهن . ولكن هذا المريريت - المفضة
 وحشية ولكنها في محلها - اول من ألفت من هذه العبادات ديانة
 رسمية فشيئت من اجلها الهياكل . ونحتت الاصنام . وقدمت
 الذبائح والقربان . وتسربت الى بيت صاحبنا المتكهن العطايا
 والاموال . وذلك قبل ان يظهر في الارض الانبياء الذين هم
 اعداء الملوك والكهان . فاذكروا هذا ولا تنسوه . ان الانبياء
 لاعداء الظلم في الملك . واعداء الرجاسة في الهيكل . واعداء
 الفساد في الجماعات .

واما الكهان ياسادتي فهم اول من عاثوا في الارض فساداً
 هم اول من قيدوا النفوس البشرية واستعبدوها . هم اول من
 تاجروا بالخداع والتغريير . هم اول من استولوا على الامراء والملوك
 وأيدوا سلطانهم بانبياء من السماء كاذبة . والكهان اليوم او رؤساء
 الاديان كلها هم اعداء الحرية الروحية الادبية . ولا يغرنكم ما بدمانهم
 من الارتياح الى هذه الحرية التي منحنا اياها الدستور . فان
 العنان لا يزال في ايديهم والارواح لا تزال في ربقتهم . الكهان

هم اعداء الآداب الراقية • اعداء نزعات النفوس السامية الى
 الكمالات الفكرية • على الكهان وآلهة الكهان امتشق نبي
 العرب حسامه في الكعبة وصب اشعيا نار غضبه في اورشليم •
 على الكهان ومذابحهم وتراويقهم واضنامهم ورجاساتهم انقضت
 صواعق حزقيال في اسرائيل وزمزمتم رعود دانيال في بابل •
 على تغريرات رجال الدين وخزعبلات العبادات قام ابن عبد
 الوهاب في نجد • ولوثيروس في وتنبورغ وجون نكس في
 انكلترا وغيرهم في البلاد كثيرون • فما علينا لو استغنيينا عن
 المتكهنين المدلسين وتفلتنا من ربقتهم واعتصمنا بالله وبدين الله
 وبانبياء الله • تدبروا كلامي ولا تسيثوا افتهامي • اني احترم
 العاطفة الدينية التي تكاد تكون فطرية في الانسان ولكني لا
 اجد في خزعبلات هؤلاء الناس وفي تنطمهم - وقد قيل هلك
 المتنطعون - ما يساوي ذرة من نفس امرئ راقية • ولكن اذا
 لبس الكاهن او الامام لغايته ثوباً من التغرير والخداع ولبس
 المتعبدون ثوباً من الجهل والخرافة فذلك لان الانسان لا يسير
 في الارض عريان بل ينبغي له ان يستر سوءته ولو بسوءة اسوأ منها
 وقد قال احد المسلمين : ان من آفات الدين فسق المتكلمين
 وجهل المتعبدين • ايها السادة المرء يحتاج دائماً الى من يذكره بانه
 من ابناء اليوم لا من بقايا الامس • يحتاج دائماً الى من يريه
 الربقة والقيود على روحه • يحتاج دائماً الى من يهمس في اذنه او

يصرخ في وجهه : انك انسان حر . لا آلة في يد هذا او ذاك
يتصرف بها ساعة يشاء . كيف شاء . فيا ايها الشرقيون . ان تحت
خريف نفسكم الدائم ربيعاً جميلاً اذا كنتم تعقلون . ان تحت رهوكم
موجات عظيمة لو ناهضتم العاصفة ولو مرة في الحياة . فان
مثل هذه النهضات الروحية . مثل هذه الثورات الادبية . وان
كانت عاقبتها اليوم غير مرضية . فهي غداً للنفس منعشة محيية .
مثل هذه النهضات تعود المرء الفكرة . وتروض منه الارادة .
وتكسيه المنعة والاستقلال . ان للماضي اثراً قوياً في العروق .
ان فتور الشرقي وخموله لفي الدم . اذا كان لا يبرن نفسه وارادته
اذاً على ما يحرك الدم - دم الجسد ودم الروح معاً - يظل ما دام
حياً كظلمة من اطلال الزمان . ولا ينهض بالشرقيين من هذا
الغور المظلم سوى الثورة الادبية التي يتبعها انقلاب عظيم في
الاخلاق .

فها اننا قد صرنا امة حرة ذات حكومة دستورية . ولكن
ذلك لا ينافي ما في العائلة وما في الطائفة وما في المدرسة من الجور
والحيف والاستبداد . من العماوة والجهل والفساد . ذلك لا ينافي
ما في اصطلاحاتنا الاجتماعية - واكثرها من فضول هذا التمدن
الافرنجي من الضيم والشقاء ما لا يماثله ظلم في الحكومات المطلقة .
الاترون ان التاجر لا يزال محني الظاهر تحت امواله وصكوكه
وان الصانع لا يزال اسير هذا العبد سيده . والتلميذ في المدرسة

اسير جهل استاذه . والاستاذ اسير استبداد رئيسه . الاترون
ان المصلح السياسي مرهونة حريته لخطه حزبه . والكاتب حريته
عند قرائه او في قبضة رزقه ، والصحافي حريته في جلده واستقلاله
في كيسه ، - لا توأخذوني فقد وعدتكم في البداية بان اسمي المعول
معولا والعقاب عقاباً - الاترون ان المرأة في البيت مقيدة بارادة
زوجها . عادلة كانت او جائزة . وان الاب لا يزال يعتقد ان
اصول التربية في تأييد سلطته . وان المأمور في الحكومة يتألم
من ضغط ذاك الجالس فوق رأسه . والجندي من استئثار ضباطه
والكاهن من ظلم اسقفه . والاسقف من استبداد بطريقه .
والراهب يحترق في نذره ويئن من عنف رئيسه ، والفلاح يتأوه
من جور اميره . بل يصرخ في بعض الاماكن تحت سوطه -
شولم صحافة ؟ صرنا شعباً حراً . شولم دستور ؟ صرنا امة راقية .
اي اخواني . اسمعوا التقية تهمس في اذن هذا الشيخ -
حافظ على مركزك . اسمعوا الخوف يقول لذلك الصحافي - حافظ
على مصلحتك . اسمعوا الذلة ترشد اخانا الفلاح قائلة - اتق
بطش سيدك . اسمعوا الجبانة تهمس في قلب الراهب - اتق
الفضيحة وحافظ على ثوبك . فالتقية والخوف والذلة والجبانة
هي اعداء حرية الانسان الحقيقية . وان لم يجرر نفسه منها بنفسه
فائة قانون ومائة دستور لا تحرره . واعلموا ان الارادة المستولية
على ارواحنا لا يخلصنا من ظلمها الا ارادة اشد منها .

اني ادعوكم اذا الى ثورة ادبية • اناشدكم بالحرية التي بعثت
من غور ماضينا حياة جديدة ان تطردوا الخوف والتقية والذلة
والجن من قلوبكم وبالاخص عند ما تشعرون بيد الظلم عليكم
وترون الحرية الادبية مقيدة امامكم • ايه اخواني • ارفعوا اعلام
الاداب في البلاد • شيدوا صروح التهذيب • اسسوا معاهد
للفنون • فان الاداب والتهذيب والفنون هي القوى الادبية
الروحية التي يتآلف فيها العلم والدين • ويقرن فيها بين بديهيات
الانبياء ومعقولات العلماء • وتمتزج فيها روح الحقيقة وروح
الجمال • وتنبثق منها اشعة السلم والحب والاخاء • اجل • هي
القوى التي يتوقف عليها تحرير الانسان • وتحرير الشعوب والامم
لنعزز الاداب اذاً والفنون • لنؤيد بالقول والعمل التعاليم
السامية • لننصر الاراء الحرة البسيطة • ومتى رأينا ان الحزب
الذي ننتمي اليه • او الطائفة التي نحن منها • والجريدة التي
نكتب فيها • تحاول تقييد افكارنا او الضغط على عقولنا او
المتاجرة بارواحنا • فعلينا ان نخرج منها سريعاً وننفض عن نعلنا
غبارها • ان شرف المرء في حرية عقله ونفسه • وشرف الاحزاب
في حرية رجالها • وشرف الطوائف في حرية ابنائها •

اخواني - ما الناس الا امة واحدة • وستجمعهم في المستقبل
ان شاء الله جامعة واحدة هي جامعة الاداب والفنون • ودين
واحد شامل قوامه الابوية الالهية والاخاء العام •

المدينة العظمى^(١)

سادتي وسيداتي

قص ارستو الشاعر اليوناني قصة عرافة تتراوى للناس اثناء الربيع والصيف في صورة ملك سماوي واثناء الخريف والشتاء في شكل حية رائعة هائلة . وكانت هذه الساحرة تغمر بفضلها والائها اولئك الذين احسنوا اليها وعاملوها بالمعروف في فصل الشتاء والخريف . واما الذين اساءوا معاملتها وحاولوا قتلها وهي في تلك الصورة المخيفة فكانت تحرمهم هذه النعم والبركات . وقد شبهت الحرية بهذه العرافة العجباء التي تبدو تارة كالمملك وطوراً كالحية الرقطاء . فالحرية في بادى امرها تتخذ هذا الشكل المزدوج الغريب الذي يتخوف منه بعض الناس ويغالي في مدحه الآخرون . ان في الامم التي الفت العبودية تظهر الحرية اولاً كالحية فتتحول رويداً رويداً الى ملك سماوي . وما من منكر ان حرية العثمانيين لم تزل في فصل الشتاء . حريتنا لم تزل كعرافة ارستو في شكلها الهائل المخيف . ويجب مع ذلك ان نصبر عليها ونحسن استقبالها حتى اذا استحال ملكاً قريباً لا نخرم فضلها

(١) القيت في الحفلة التي اقامتها جمعية طلبة العلم العثمانيين في ٧ ايار

سنة ١٩٠٩ في المسرح الجديد ببيروت

والاها .

سادتي . ان الحرية مهما قيل فيها هي ضالة الانسان المنشودة .
هي غايته القصوى في الحياة . هي قوام الانفس والعقول . وغذاء
الفنون والعلوم . واس كل مظاهر الرقي وال عمران . واود لو
دعيت المدينة العظمى التي هي موضوعي الليلة مدينة الحرية
واطلقت على شوارعها اسما . رسل الحرية وابطالها في كل زمان
ومكان .

من الحقائق التي لا ريب فيها ان الانسان مهما ارتقى في سلم
الحياة يظل في مكان يرى منه من تقدمه الى العلا . ومهما انحط
المرء وتقهقر لا يصل الى القعر الذي لا يكشف على احد دونه .
فالسلم والهاوية لا نهاية لهما في الحياة . لان الدرجة الاولى
منهما في المهد والدرجة الاخيرة في القبر . اينما كان المرء اذا يرى
كثيرين من الناس فوقه وكثيرين تحته . وكلما ارتقى درجة في
معارج الفوز والفلاح يسمع اصواتاً بعيدة تدعوه الى ما هو
فوقها . وهذه من حقائق الحياة التي فيها لجميع الناس كثير من
التنشيط والتعزية علينا اذا ان لا نكون عبيداً لمن هم فوقنا
والا نستعبد من هم دوننا . علينا الا نتصاغر امام الكبار والا
نتكابر امام الصغار .

وكما في الناس فكذلك في المدن . فلا يحق للوندرا مثلاً
ان تصغر خدها للقاهرة ولا للقاهرة ان تشمخ انفها على بيروت

لان حسنات المدينة العظمى قد تكثر في هذه وتقل في تلك . قد تكبر في المدينة الصغيرة وتصغر في الكبيرة . والمدينة هذه التي صورها العقل بريشة الخيال ما هي من مدن هذا الزمان ولا من مدن الماضي . ليس في نيتي ان اكلّمكم لا عن نينوي او بابل ولا عن نيويرك او باريس فان باريس من أمّات المدن العظيمة ولكنها لا تستحق في نظري صيغة التفضيل لان هناك مدينة اعظم منها مجدداً . واسمى منها شأناً . وابتعد منها جمالاً . وارقى منها فضلاً وعلماً .

ومن يتجاسر ان يتكهن في هذه الايام . من يدري ما في المستقبل اشعوب آسيا الصغرى . فقد ترهبو المدينة العظمى فوق اطلال بابل . قد يشيدها الزمان على ضريح نينوي . قد ترتفع صروحها واعلامها وارجاها وقباياها تحت هذه السماء الجميلة . على هذه الشطوط التاريخية المقدسة . امام هذه الامواج التي شاهدت جنازة مجد آسيا . وستشاهد ان شاء الله موكب بعثه .

وباي تمتاز المدينة العظمى عن سائر المدن ؟

ابراسيها البحرية . ابمحطات السكك الحديدية . ابمركباتها الكهربائية . اباسلاكها البرقية . ابانبائها اللاسلكية . ابقصورها الشاهقة . ابصروحها الفخيمة . ابانفاقها وجسورها وملاهيها ؟ باي تفاخر المدينة العظمى سائر المدن ؟ ابشوارعها الواسعة النظيفة . ابساحاتها الكبيرة الجميلة . ابمخازنها الحاوية ما ندر وعز من

مصنوعات الطبيعة والانسان . امدارسها العمومية . ايمستشفياتها
 المجانية . ابعاهدها العلمية . ابعثافتها الادبية والتاريخية .
 ابعصارفاتها وبورصاتها واغنيائها . ابعكثرة سكانها . ابععدد معابدها ؟
 لا ياسادتي .

المدينة العظمى تمتاز عن سائر المدن بنوابغها . بشعرائها
 وعلماؤها وارباب الفنون والصنائع فيها . المدينة العظمى هي التي
 يمكنها ان تفاخر سائر المدن لا بكثرة سكانها بل بكثرة الاصحاء
 فيها . اذ ما هو الخير في مدينة تسعون في المئة من ابناءها مرضي ؟
 المدينة العظمى اذ هي التي يخلو هواها من جرائم الامراض
 المعدية وتشرق شمسها على عقول سليمة في اجسام سليمة . المدينة
 العظمى هي التي تكرم ابطالها ونوابغها لا باقامة التماثيل ونصب
 الانصاب فقط بل بالاقتداء بهم وبالعامل بتعاليمهم . هي المدينة
 التي يقرن فيها بين البساطة والجمال في ابنيتها وفي ازيائها وفي
 فنونها . وبين الرحمة والعدل في احكام قضاتها . وبين العلم والدين
 في تعاليم علمائها . هي التي يحترم المرء فيها جسده وروحه ويعتني
 على السواء بنظافة الاثنيين . هي التي ينبذ رجالها ونساءها
 الشرائع التي يسنها الخائنون لتعزيز شوئون افراد من الناس ولا
 فرق ان كان الافراد من الاغنياء والامراء او السلاطين . هي
 التي لا يوجد فيها ارقاء ولا تباح فيها النخاسة . هي التي ينهض
 فيها الشعب نهضة واحدة على ظلم الحكم وفساد المسيطرين . هي

التي يكون شعار كل امري، فيها
 لا تسقني كاس الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كاس الخنظل
 المدينة العظمى هي التي لا يتداخل في شؤونها سلطة اجنبية .
 هي التي يكون كل امري، فيها سلطاناً بنفسه بل تمثالاً حياً للحرية
 والاخاء . هي التي يعتبر الحكام فيها كخدام يخدمون بالاجرة .
 هي التي يتعلم الاولاد الاستقلال وعزة النفس في مدارسها قبل
 سائر العلوم . هي التي تطلق فيها حرية القول والعمل ويكثر فيها
 التنقيب والبحث وتثمر فيها الفنون وتتعزز فيها الاداب .
 هي التي تكون الصداقة فيها امرأ مقدساً والاخلاص محترماً
 كسر من الاسرار الالهية . هي التي لا تكره الامراة فيها على
 الاقامة مع رجل لا تحبه ولا الرجل مع امراة لا يحبها . هي التي
 يكون الابوان فيها صحيحي الجسم والعقل قويين نشيطين مدركين
 فيوجدان نسلأ قوياً مدركاً نشيطاً . ان لم تصلح صحة هذا
 الجيل فلا رجاء لنا في المستقبل . المدينة العظمى هي التي تكثر
 فيها الامهات الحزيمات العزومات المدركات ما سما من مقاصد
 الحياة فلا يعلمن اولادهن الخرافة والكذب والمراوغة ولا يعودنهم
 الطاعة العمياء والجبانة والخوف . الشرق يحتاج الى الام التي
 تعلم اولادها الاعتماد على النفس فوق كل شي . . المدينة العظمى
 هي التي تسير النساء في اسواقها سافرات ويحضرن الاحتفالات
 العمومية كالرجال ويشاركن كالرجال في البحث والارشاد . هي

المدينة التي يستغني فيها اهل الادب والفنون عن اهل المال . بل هي التي يتأسس فيها دائرة اوقاف لا لخدمة المعابد واعاشة رجال الدين بل لخدمة العلوم والفنون . لخدمة النوابغ والعلماء . اي سادتي . عبثاً تسن الحكومات الحرة شرائع حرة ان لم تطلق انفس العلماء وارباب الفنون من قيود المصلحة ومن هموم الارتفاق قيل لبعض العرب ومن سيدكم ؟ فقالوا فلان . فقيل بم ؟ فقالوا احتجنا الى علمه واستغني عن دنيانا ان مثله تكون العلماء والامراء . ويمثله ان شاء الله ستفاخر المدينة العظمى سائر مدن العالم . (احب ان اتمثل بابناء هذه اللغة لتتأكدوا ان مثل هذه المدينة العظيمة لا يستحيل وجودها في بلادنا) . اليكم اذن بمثل اخر . قال سيد من العرب لقومه : اعلموا انني حاسدت عليكم حتى صرت عبداً لكم . اغدق على سائلكم . واصفح عن جاهلكم . واحوط حريمكم . وادفع غريمكم . فمن فعل مثل فعلي فهو مثلي . ومن فعل فوق فعلي فهو فوقني . ومن فعل دون فعلي فهو دوني . فهل ياترى يوجد بين المتمدنين اليوم من تجتمع فيه هذه الخلال الشريفة كلها . افلا يحق لمدينة المستقبل ان تفخر سائر المدن بمثل هذا الامير .

وبين رجال العرب من كان اعظم منه . دخل ابن العباس على علي بن ابي طالب خارج الكوفة وهو يقطب نعله فقال له : ما قيمة هذه النعل فقال ابن العباس : لا قيمة لها . فقال علي :

لهي احب الي من امرتكم الا ان اقيم حقاً او ادفع باطلاً . فالمدينة العظمى هي التي يكثر فيها مثل هؤلاء . الرجال العظام الصالحين . هي التي يتعود كل امري . فيها محاسبة نفسه فاذا كان ممن لهم شيء من الشهرة او المجد او القوة او النفوذ او السلطة او المال يسأل نفسه كل يوم وما قيمة هذه الاشياء كلها الا ان اقيم حقاً او ادفع باطلاً . ما الفائدة من هذه السيادة او من هذه الشهرة او من هذه الاموال اذا كانت لا تساعدني على نصره الحقيقة واقامة الحق ودفع الباطيل والاضاليل . ما الفائدة منها اذا كانت لا تبعدني في الاقل عن هذه الظلمات وسكانها وعن اسيادها وعبيدها . وقد قيل شر من الجهل نصره الجهال واسوأ من الضلالة الاحتجاج للضلال .

اجل سادتي . ان المدينة العظمى هي التي تنتصر فيها الحقيقة قولاً وفعلاً . هي التي يروج فيها الصدق كما هو الكذب رائج في العالم اليوم . هي التي يعيش فيها الادباء والعلماء لا للشهرة والمجد ولا للكسب والمال فقط بل لخدمة الحقيقة فكراً وقولاً وفعلاً . ان فروسية اللسان لغير فروسية الجنان . وما كل من هز لسانه فخراً ومباهاة يستل حسامه في الغارات . فالنفس الراقية التي تعيش لهواها وشهواتها وابطايل المجد والسيادة فقط هي كالكلب الافرنجي الجميل الذي يقضي حياته كلها تحت قدمي سيده او تحت رداء سيده . والعجب في امر هذه النفس انها

كلما امعنت في الذات اكفهرت في وجهها افاق الحياة . وقد قال
احد المتصوفين

ان المرآئي لا تريك عيوب وجهك في صداها
وكذاك نفسك لا تريك عيوب نفسك في هواها

وها اني ذكرت من المحاسن والاماني ما استنفرد فيه المدينة
العظمى عن سائر المدن . وهناك امنية اخرى بل نبوة لاحد
الانبياء تردت في ذكرها . وليلة كنت افكر في هذا الموضوع
طرق بيتي طارق ففتحت فاذا بالباب شيخ جليل عاري الرأس
حافٍ لابس قميصاً بيضاً فوقها رداء اسود مسدولٌ على كتفيه .
وقف في الباب ورأسه منحني فوق يديه المضمومتين على
هرأوته . ولما فتحت دخل دون استئذان وسار تَوّاً الى مكثتي
وجلس هناك على كرسي امامي . فاخذني من امره العجب .
ولكن قبل ان بادرت به بالحديث قال : جئت احقق امنيتك وامدك
باخر من ارآئي . فقلت والدهشة تملأ نفسي . ومن انت يا سيدي .
فقال : انا هو .

— زدني علماً .

— هو الذي يخطر الآن في بالك وتحير نبوته قلبك .

— يا لله ! انت اشعيا بن آموص ؟

— نعم انا اشعيا .

فنهضت على الفور عن كرسي . وقبلت يد النبي . ولما رأته

قد تبسم تشجعت و قبلت ايضاً شفتيه ولا ترالا ملتهبتيين ناراً . ثم
تجاسرت فقلت : جئتنا يامولاي وقت العشاء فهلا باركت اخوان
واكلت معنا من عدس لبنان ليصير بيننا كما تقول العامة خبز
وملح . فاوماً برأسه مبتسماً وتقدمني الى غرفة الطعام . وبينما نحن
في طبخة يعقوب بادرت به بالحديث فقلت ألم تتنبأ يامولاي منذ
الوف من السنين يجيل يرعى الذئب والحمل فيه معاً والاسد
يأكل التبن كالبقر والناس يطعمون سيوفهم سككاً ورماحهم
مناجل ؟ فحنا النبي رأسه مجيباً بالايجاب .

او لم تقل في رؤساء اورشليم انهم عصاة وشركاء اللصوص
وانهم يجبون الرشوة ويتبعون الاجور وأن الرب سيقطعهم من
اسرائيل ؟ فحنا النبي رأسه ثانية . فقلت : وها قد مضى على ذلك
يا صاحب النبوة الوف من السنين والعالم لم يزل كما كان يوم
صبت عليه شآبيب غضبك . فاجاب اشعيا قائلاً : ان الوف
السنين التي مرت على نبوتي هي كالدقائق في عين الله . وان
الاجيال بالنسبة الى الابدية هي كالساعات بالنسبة الى الاجيال
فلا يريك كلامي . ردد نبوتي ولا تخف . بشر بالمدينة العظمى
في بلادي وبلادك ولا تياس . قال هذا وهم بالانصراف .
فاستأذنه بسؤال آخر فقلت : وكيف كان يكلمك الله يا صاحب
النبوة ويطلعك على غيب الامور ؟ فقال النبي : مثلما انا اكلمك
الآن . وقبل ان فتحت الباب استحال شعلة نار . وتوارى عن الابصار

لا تظنوني مازحاً ايها السادة . فان للانبياء المقام الرفيع في
العالم الروحي . ولا تزال لهم تلك السطوة الصالحة على الانفس
السامية . وانك اذا حككت نفس النابغة في الناس لتجد في
لبها شيئاً من روح النبوة . المدينة العظمى اذا هي التي تتم فيها
نبوة اشعيا . هي التي يسير الذئب والحمل والنمر والجدي فيها
معاً . هي التي يرتاح فيها الناس من شرور اصحاب السيادة الدينية
هي التي تنقطع فيها سليفة اولئك المفترين على الله وانبيائه .
الجالسين على عروش القداسة الكاذبة . القابضين على صولجان
الخرافة . المتوجين بتيجان الجهل والتعصب والطغيان . ان مصيبة
الشرق في رجال الدين والكهان لا في الانبياء والاديان . المدينة
العظمى هي التي يسود فيها العلم والحرية والاخاء والوفاء . هي
التي تنتصر فيها القوى الروحية على القوى المادية . والقوى
العقلية على القوى المادية . هي التي تطبع فيها آلات الحرب
معاول ومحارث ومناجل . هي التي تشيد فيها الصروح والمعاهد
لارباب الموسيقى والشعر والتصوير . ولربات الفنون والجمال .
هي التي يكثر فيها من امثال علي بن ابي طالب واشعيا بن
آموص وذاك الامير العربي الذي ساد قومه لانهم احتاجوا الى
علمه واستغنى عن دنياهم . اي سادتي . ان المدينة التي ينبغ
فيها اعظم الرجال واعظم النساء هي اعظم مدن العالم وان كان
سكانها لا يتجاوزون عدد سكان الفريكة .

قيمة الحياة^(١)

ايها السادة والسيدات .

عند ما وصلتني دعوة جمعيتكم لاخطب في حفلتها السنوية هذه كنت مهتماً بانجاز تأليف جئت في بعض فصوله على ذكر اجدادنا الفينيقيين . فسرتني ان ارى شيئاً من علو هممتهم ونشاطهم في ابناءهم الصيدونيين . سرتني ان ارى مصابيح العلم والعرفان تضيء على هذه الشطوط القديمة التي نشأت في ربوعها اللغة وكبرت فيها همة الفينيقي التجارية والعقلية فجاء بما يدهش الافرنج حتى اليوم من آيات الفكر الباهرات . ومن غرائب الاكتشافات والاختراعات . سرتني ان اري روح اولئك الاجداد الكرام تنبعث اليوم فينا فتنهض بنا الى العلياء . وعجبت بصدق ترينا في صدف الحوادث لؤلؤ الاماني . فلبيت الدعوة على ما كنت فيه من شغل شاغل وتأهب للسفر مزعج حباً بزيارة مدينتكم وبمساعدة هذه الجمعية الوطنية في مشروعها هذا اذا كان في حضوري ماينفع وفي كلماتي ما يفيد . على اني في قراءتي كتاب الجمعية وقفت عند عبارة مدهشة فيه والظاهر ان كاتبه الكريم طويل الباع في طرق الاطراء واساليبه . فبعد ان غلاني بالغلو واغرقني بالاغراق . رغب الي ان

(١) خطبة القيت في حفلة جمعية الخدمة الوطنية بصيدا في ١١ اذار

تحفكم بخطبة « لم تفتق رتق سمع » ولا خطب مثلها في جمع «
 - السجعة له لا لي - فقلت في نفسي وماذا يبتغي الصيغدونيون
 مني وما انا بصاحب معجزات او كرامات . ان خطبة مثل هذه
 ايها السادة في زمن كثرت فيه المناير والمطابع لا يستطيع ان يأتي
 بها بشر مثلي . لا جديد تحت الشمس ولا فوقها . فالمدنبات التي
 لا نراها نحن الا مرة في حياتنا مثلاً قد مرت لا شك في فلك
 الارض بمراى من اسلافنا مرات عديدة في ما مضى من الزمان .
 لا جديد اذاً فوق الشمس . وصوت الحقيقة الذي احب ان
 اسمعكم اياه هذه الليلة طالما رددته قبلي العلماء والانبيا . لا جديد
 اذاً تحت الشمس . على انني استطيع ان احدثكم بلغة لم تسمعوها
 بعد اذا كانت بغيتكم تنحصر في مجرد روئيتي واستماعي خطيباً .
 يمكنني ان احدثكم في عصارطة ^(١) السياسة ودهاقينها ^(٢) ، الذين
 يلهوجون ^(٣) اعمالهم ويلهوقونها ^(٤) . او في زرازة ^(٥) يمشون في
 الارض سهيلاً ^(٦) ، ولا يحسبون سواهم للمجد أهلاً ، او في
 شباهلة ^(٧) يمشون ^(٨) العجنجرات ^(٩) ، ويعدون ترهات العصر

- (١) المضارط الخادم على طعام بطنه والاجير واللثيم (٢) الدهقان
 « معربة » رئيس الاقليم (٣) لهوج الامر لم يبرمه والشواء لم ينضجه
 (٤) لهوق العمل لم يحسنه (٥) الزرزار البترك « اعجمية »
 (٦) جاء الرجل سهيلاً اي مختلاً وغير مكترث (٧) سهيل بطل كسل
 (٨) جمش غازل (٩) العجنجرة من النساء الخفيفة الروح

آيات منزلات ، او في رعايب ^(١) يسمدن ^(٢) في المركبات ، او
يتبهنسن ^(٣) في العرصات ، ويحسبن المخشب ^(٤) على صدورهن
درراً وريش الطيور على رؤوسهن تيجانا . او في صفاريت ^(٥) من
الادباء يطوفون حول القصور المشمخرات ^(٦) ، عليهم يفوزون
بشيء من اعلاق ^(٧) السراة ، او في خرييت ^(٨) من ولاة الامر
خيدع ^(٩) اذا استذريت ^(١٠) به قارك الى محطمة سجيل ^(١١) . او
في غطريف ^(١٢) كبير ، ترفته الدنانير ، وحسدته على اذنيه الحمير ،
او في متنطع مخربق ^(١٣) دفطس ^(١٤) وقته في حشو جوجوه ^(١٥)
بما لا يفيد من العلوم . او في - ولكن البساطة اولى واشفى .
مالنا وخطبة « لم تفتق رتق سمع . ولا خطب مثلها في جمع » فيها
قد اسمعتكم ما يفتق الاسماع حقاً بل يفلق الصخور .

- (١) الجارية الرعوب الحسنة الرطبة الحلوة الناعمة (٢) سمد
الرجل رفع رأسه تكبراً (٣) تبهنس تبختر (٤) مخشب خرز
من الزجاج (٥) الصفريت الفقير (٦) اشمخر طال والمشمخر من
الجيال العالي (٧) العلق النفيس من كل شيء (٨) الخريت الدليل
الحاذق الذي يهتدي الى آخرات اي مضايق المفاوز وطرقها الحفية
(٩) الخيدع من لا يوثق بمودته (١٠) استذري بفلان التجأ اليه وصار في
كنفه (١١) سجيل وادري في جهنم والمحطمة باب فيها (١٢) الغطريف
السيد الشريف (١٣) تنطع في الكلام تعمق وغالى وتأنق . والمخربق
الطرق الرصين (١٤) دفطس اضاع (١٥) الجوجو الصدر .
وهذه عشرون وخمس فعلات لغويات استغفر الله منها .

ساعدتكم الليلة في موضوع قريب منا كلنا . وبلغت تسمعونها
 كل يوم . وبعبارة تفهمونها وانتم الى اشغالكم سائرون . موضوعي
 قيمة الحياة . واريد بادي . يد . ان اسدل ستاراً على الماضي
 وآخر على المستقبل فاحصر الحياة في الحاضر واسألهم سوآلاً :
 لو علمتم حق العلم ان الحياة صدفة من صدف الطبيعة وان لا
 سابق قصد لها ولا لاحق . لا قوة مدركة وراء المهد ولا وراء
 اللحد . فترسلها وتبعثها عقلاً وروحاً وبكلمة اخرى لو تأكدتم ان
 الحياة مادية محض والموت ضجعة ابدية فكيف تعيشون ياترى
 وكيف تعملون لترفعوا من قيمتها وتجنوا الناضج اللذيذ من
 ثمارها ؟ اتجعلون قاعدتها الاساسية قاعدة التجار والمتمولين ان
 لا حقيقة في العالم الا المال ؟ اتقولون قول السياسيين والمسيطرين
 ان لا حق في العالم الا للقوة ؟ اتذهبون مذهب فلاسفة اليونان
 السكبيين ان لا حقيقة في العالم الا للذات . او تقولون قول
 حشاشي الزمان القديم ان لا حقيقة في العالم على الاطلاق وكل
 شيء مباح ؟ لو تأكدنا ان الكون مركب من المادة والقوة فقط
 وان الحياة كذلك أفينبغي ان نعيش كالحوانات ؟ وان نحن فعلنا
 انأمن شر انفسنا ان لم اقل شر الاقوياء فينا . اذا احب احد الناس
 ان يعيش كما لو كان هو العالم وبيته الدنيا واستطاع الى ذلك
 سبيلاً أيستطيع ان يذهب على هواه دون ان تذهب حياته
 ضحية الاطماع والاهواء ؟ ولو ضحاني هذا السيد العظيم الاثيم

وضحاكم على عرفات قدسه ومجده واهوائه ايامن ياترى صولة
الجماعات حين يستيقظون فينفضون؟ ايامن هو ويد فوق يده
تاخذ بناصيته يوم يثار الحق باعدائه؟

حكم عبد الحميد ثلاثاً وثلاثين سنة وهو لا يحسب ان في
العالم من ينبغي ان تراعى حقوقهم وحياتهم سواه . فاذا كانت
عاقبة بغيه وجوره واثرته ؟

لا انكر ان نظرة عمومية سطحية في احوال الانسان
الاجتماعية ترينا الشرير يسعد بشره والصالح يشقى بصلاحه .
ولكن ذلك لا يكون الى الابد . وانما يظهر كذلك لمن لا ينظر
في الامور الى ما وراءها . لمن لا يرى في الحياة غير ظواهر
الحوادث . مات كثيرون ممن قاسوا اليم العذاب من الدور
الماضي دون ان يشاهدوا نكبة سلطانه واعوانه . ماتوا يائسين
من الحياة التي ينتصر فيها مثل هولاء الاشرار الكبار . ولكن
قصر نظرهم فيئسوا . ولو تشوفوا الى المستقبل وكان ايمانهم
شديداً بالعناية التي لا تترك الاثيم عزيزاً الى الابد لما ماتوا
يائسين . ان ما نراه نحن اليوم مثلاً وننفر منه ساخطين حانقين
ليراه غداً آخرون فيستجلون فيه اليقين . ان شر الامس لينتج
اليوم خيراً وخير اليوم قد ينتج غداً شراً . اجل سادتي . ان في
الاشياء والاكوان عناية لا يعقلها الانسان ولا يدركها ارباب
العرفان . ان في الحياة اسراراً تدك العروش وترزع الجبال لو

تجلبت كلها دفعة واحدة في آن واحد . ولكنه تعالى عليم رحيم .
فهو لا يمكننا الا مما نحتاج اليه من القوات الخفية في الحياة
فنستخدمها لو عقلنا خيرنا ومنفعتنا . ونقف صابرين هادئين ثابتين
امام مفضعات الوجود ومبهجاته . وعندي ان هذه الاسرار تتجلى
للانسان تدريجاً على حسب ارتقائه العقلي والروحي . ذلك لان
الحياة سلم اوله الحيوان . ووسطه الانسان . وآخره الملاك . وقد
يأتي يوم يشاهد فيه ابناء الارض رجل المستقبل العظيم وقد
ترقت فيه القوى الحيوية كلها اي القوى الحيوانية والبشرية
والالهية الى منتهى الدرجات . فالانسان مركب من هذه القوى
كلها وهي كامنة فيه الى الابد . فان رعى احداها دون الاخرى
يقف في سلم الارتقاء وطبائع الحياة فيه ناقصة فاسدة . نعم اني
ممن يعتقدون بالنشوء والارتقاء ولا حاجة الى ان يوئد العلماء
اعتقادي . فاني لمؤيده بما اعرفه وبما اجهله من لوح هذا الوجود .
من الحياة ومن الاكوان . ان في نشوء الانواع وارتقائها عناية
الهية عظيمة . والناموس الطبيعي الذي يكثر من ذكره العلماء
انما هو مشيئة الله في الاشياء . اني لا أرى يد الله في كل مظهر من
مظاهر الحياة . واوئمل ان ارى ولو بعد موتي بمليون من السنين
روح الانسان متجلية في كل مظهر من مظاهر الله .
اراني تجاوزت الحدود الوهمية التي حصرت هذا الوجود ضمنها
فاصبحت والماضي والمستقبل يتجازبان في المعقول والمحسوس .

وكيف نستطيع ان ننظر في الحياة نظرة بعيدة صائبة دون ان نتلفت الى الماضي ونتشوف الى المستقبل . كيف يمكننا ان نقيسها لنعلم قيمتها وكل شي . فينا وحولنا ينطق بما مضى وبما هو آت مما هو قسم جوهرى من الحياة البشرية ؟ احببت ان احصر الموضوع في الحاضر لاريكم ان الحياة وان كانت مادية محض لا يستطيع الانسان ان يذهب فيها حسبما يشاء ويسترسل الى ملاذاه واهوائه دون ان تخثر نفسه . فيغلظ شعوره . فيكثر عثاره . فيشتد بلاؤه . وان شقاء الناس اليوم لنتاج عن هذه الحياة المادية الحيوانية التي يكبرونها ويعززونها ويعرقون دماً في سبيلها . الا اننا نعيش اليوم كما لو كانت الحياة منحصرة في (البورص) والمخزن وغرفتي الطعام والنوم . نعيش كما لو كان قوام الحياة في جمع المال وفي تربية دود الالهواء والشهوات . ويالها من دود تحوُّك للنفس وللجسد اكفاناً من الحرير . نعيش كما لو كنا الات هضم واكثرها في هذا الزمان مصدئة . وانصاب مجد واكثرها متهدمة . فالسياسي لا يرى في الحق قوة تستحق الاعتبار ان كان الحق لا يوثيده في ضلاله وفساده . ورجال الدين يصمون اذانهم عما جاء في كتب الدين من شديد التعاليم ويستخرجون من بعض الايات والعقائد قواعد تمكّنهم من الضغط على الانفس والعقول لتكون لهم في ذلك سلطة ما اثرها الله على احد من الناس . والصحافيون يزفون ثناءهم لهذا الخاطب ويبذلون

شهادتهم لذلك الطاب حياً باعلان او اشتراك يجرزونه . او انهم
يوقفون الحق على رأسه غواية ونكاية . او انهم يتحاملون على
الناس ويشيرون المفسد والفتن حياً بالظهور والاشتهار . والغني فينا
يعيش كما لو كانت الاموال تقيه الموت وتكسبه الخلود . والتاجر
يضرب اخماساً لاسداس ليل نهار فيستنبط طرقاً بل حياً جديدة
للكسب والاثراء . والوجيه الفاضل الواقف على شفير الافلاس
يكتد الفلاحين الفقراء ويعرقهم ليؤيد فيهم منزلته العالية ومقامه
الرفيع الشأن . ترانا نعيش كأن الحياة بنت يومها منحصرة بين
شارقة وغاربة مرگبة من امشاج لا اثر فيها للعقليات والروحيات .
بلى . نعيش كما لو كنا مركبين من السنة ومعد واكباد فقط
فنحسن اللقطة والكبكية والشر الثالث الذي ذكره النبي في
حديثه الشريف ولا نحسن سواها . نعيش لاهوائنا واطماعنا
وملاذنا . نعيش لمجد في العالم باطل . نعيش لوجاهة فينا فارغة .
نعيش لازياء تستعبدنا . لعادات واصطلاحات تسوقنا الى المذلات .
وفوق ذلك نعيش في الخداع والجربذة والتلبيس . نخادع خوفاً
فينا يسودنا . نلبس على الله والناس لغايات في النفس خبيثة
ذميمة . نتأخي طمعاً بربح من هذا الاخاء . نتصادق حياً بما
في الصداقة من عائدة مادية بائدة . وقد قال المتنبي :

ولما صار ود الناس خبياً جزيت على ابتسام بابتسام
وصرت أشك فيمن اصطفيه لعلمي أنه بعض الانام

كانت لامرئ كرمة يأوي الشعاب اليها ويفسدون فيها .
فنصب هناك مفزعة او خيال صحراء ليردعهم عنها فجازت الحيلة
على الشعاب وعجبوا لصاحب كرمة يجرسها ليل نهار ليقطع
نصيبهم منها . الا ان احدهم وكان اشجعهم وادهاهم بادره الريب
من ذلك فجاء الكرمة ذات يوم ووقف ساعة امام المفزعة دون
ان يفزع منها . ثم تقدم اليها قليلاً قليلاً وضربها بيده فوقعت
الى الارض . فضحك ثم ضحك ورفع فوقها جنبه . وراح يدعو
اخوانه الى اجتماع وطني سياسي . وخطب فيهم قائلاً : ان الانسان
لخداع مكار . فقد حرمانا نصيبنا من الكرمة بخيال نصبه فيها .
ومن رأي ان نحذو حذوه لنفوز عليه . فاقترح عليكم نصب خيال
اسد هناك لننال قسمتنا من الكرمة . فصفق الشعاب الجياع له
ونصبوا في كرمة الانسان مفزعة بهيئة الاسد . ولما جاء الانسان
في اليوم التالي ورأى الاسد واقفاً هناك ينظر اليه وقف شعر
رأسه وهرول راجعاً الى بيته . وكذلك نال الشعاب الجياع
قسمتهم من الكرمة . خدعهم الانسان بخيال فخدعوه بمثله .
وكم من خيالات وبعبعات تحفظ اليوم كياننا وتدفع عن
شرفنا الوهمي عاراً وهمياً . كم في حقول الدين وصحاري السياسة
وكروم التجارة من مفزعات لو ضربت مرة لاصبحت
مفضحات . اجل ان الحياة اليوم سواء كانت في ارقى مظاهرها

الاوروبية او في افخم مظاهرها الشرقية انما هي حياة خاسئة
 فاسدة ناقصة . هي عند الغربيين محض مادية تجارية . وامست
 عندنا لا مادية تعرف ولا روحية . حياتنا ايها السادة . وان كنا
 لا نزال نؤم الكنائس والجوامع كاجدادنا . ان هي الا العوبة في
 روحياتها واضحوكة في مادياتها . هي مزيج فاسد من الاثنين .
 وهذا سبب الشقاء والبلاء والفساد في طبقات المجتمع كلها . بل
 هذا من وجهة خاصة السبب الاصيل في انحطاط الشرق والشرقيين .
 ولكني اقول . وحق ما اقول . ان سيادة الاربيين في الشرق لا
 تدوم طويلاً اذا كان اساسها القوة المادية فقط . وان نهضة الشرق
 لا تنجح اذا كانت أسسها الروحيات فقط . الكتب المقدسة
 تصلح الحياة . ولكنها لا تعمر البلاد . والعلوم المادية تعمر
 البلاد ولكنها لا تصلح الحياة . اذن كتبكم المقدسة احفظوها
 وكتب العلم عززوها . وكل كتاب ايها السادة يساعد على حفظ
 الحياة وتحسينها وارتقاؤها هو عندي كتاب مقدس كريم . والحياة
 الصحيحة القوية الجميلة السابغة هي التي تتغذى بكل كتاب
 مقدس روحياً كان موضوعه او مادياً . ذلك لانها مركبة من
 الاضداد . ذلك لانها مادية روحية عقلية . ومن النواميس
 الطبيعية المعروفة ان قوى الانسان تنمو وتشتد في التمرين
 والممارسة . فاذا كنا لا نمارس الاقوانا الحيوانية وفيينا قوى اخرى
 عقلية روحية نظل ولا شك في درجة واطئة من سلم الحياة . بل

نظل والجهل والبلاء اكبر ما في حياتنا . ذلك لان القسمين
الكبيرين فيها اعتراها الفساد من الالهال . ولو مررت المرء قواه
العقلية والجسدية فقط لظلت الروح فيه مهملة مغبونة . وكثيراً
ما تكون تشوقات النفس المظلومة سبباً امراض وامراض
شتى . كثيراً ما يكون شقاوتنا ناتجاً عن فساد احدى قواني العقلية
او الروحية .

وها اني وصلت الى الحد الذي ينبغي ان نعرف عنده الحياة
لنعرف كيف نقيس قيمتها . قد اتضح مما تقدم ان الحياة اصلاً
انما هي قوات عقلية روحية مادية تظهر في الناس بمقادير متباينة
ناقصة ولكنها كامنة بالقوة وغير محدودة في كل نفس بشرية .
قلت « انها كامنة بالقوة » والعبارة فلسفية وضعية لا احب ان
ارددها واكثر من مثلها . على اني اورد الفكر بعبارة بسيطة .
ان في كل منا قوى غير محدودة من هذه الينابيع الثلاثة تظهر
فيها او في نسلنا بمظاهر شتى طوعاً لا حوال نعقلها اذا اعتبرنا
ولا سرار لا نستطيع اليوم ادراكها . هذي هي الحياة نظرياً .
مبدئياً . واما عملاً - آه لو كانت حياتنا الدنيا ابتسامة دائمة
تبتدى بالسرور وتنتهي بالابتهاج . آه لو كانت حلماً من احلام
الشعراء او لحناً مطرباً مفرحاً من الحان الموسيقيين ! ولكن الحياة
في نظر احد القديسين انما هي عقاب الانسان في هذا العالم . وفي
نظر الفيلسوف هي سلسلة من حديد المصائب فيها حلقات قليلة

من ذهب العزاء والمهنا . وفي نظر الشاعر هي هيئات هيولية
محزنة الاسرار سامية غامضة . هي خيال زائل لحقيقة ازلية دائمة .
وفي رأي سيدنا سليمان : كل شي باطل وقبض الريح . وفي رأي
جمهور الناس انما الارض وادي الدموع . فالقديس اذا والفيلسوف
والشاعر والحكيم والناس كلهم مجمعون على ان حياتنا الدنيا
لا تساوي العناء الذي نقاسيه من اجلها . بل لا تساوي العرق
الذي يتصبب من جباهنا في سبيلها . ولكني ارفع على هذه
الاراء كلها رأياً اخر اود لو سمعتموه وحفظتموه وتمثلتم به في
كل موقف وفي كل آن . الا ان الحياة صالحة اذا كان المرء صالحاً .
وهي جميلة اذا كانت نفس المرء جميلة . والانسان لا يكون
صالحاً ونفسه لا تكون جميلة اذا كان لا يربي ويرقي فيه قواه
الروحية والعقلية والمادية كلها على السواء . ومن النادر ان نجد
في العالم اليوم حياة تامة الاجزاء ارتقاء ونشاطاً وادراكاً في شخص
واحد . فادا كانت القوة العقلية عظيمة في احد الناس راقية . تكون
القوة الروحية او الجسدية فيه منحطة . والعكس بالعكس .
ودفعاً لما قد يكون في كلامي من الابهام ازيدكم ايضاحاً
بما اريده بالحياة التامة الاجزاء ارتقاء وفهماً ونشاطاً . فالقوة
الحيوانية التي ينبغي للانسان ان يربها ويتمهد بها بالتربية تظهر
نتائجها في صحته وصحة نسله . والقوة الروحية تظهر في شعوره
الراقي وجهه . والقوة العقلية في ادراكه ونباهته وحكمته .

واعلموا ان العالم مثلاً يكون غالباً قوي الادراك ضعيف الشعور
والشاعر شديد الشعور ضعيف الادراك . والفلاح او البدوي
يكون غالباً شديد الجسم ضعيف الشعور قليل الادراك . اما
قيمة الحياة في كل من هؤلاء وان كانت ناقصة فتختلف بالنسبة
الى ما يأتون به من الصالحات الباقيات . فقد تكون قيمة حياة
البدوي في نسله اعظم منها في نسل العالم . وقد تكون في الشاعر
اعظم منها في العالم العلامة والخبر الفهامة .

قد لا ينتبه ارقى الشعوب حتى في هذا العصر الى ما في
الوجود من دواعي الارتقاء كلها ومن الصحة والسعادة . ففي
الشرق نظن الوسخ عرضاً . والحمول نعمة . والخبيل مصدراً
للتجليات الروحية . وعن هذه الاوهام ينشأ التقشف والزهد
وما يصحبهما من اذلال الجسد واماتته . وفي الغرب بدأنا نرفع
من اسباب النظافة والصحة الى حد لا تعلوه اقصى الغايات .
وقد قال الفلاسفة هناك ان من واجبات الانسان الاولية ان
يكون حيواناً نشيطاً قوياً . ولكن اذا نحن اهملنا ترويض الاجسام
فهناك بدأوا يهملون ترويض الارواح . وفي الامرين نقص ظاهر .
على الانسان ان يعتني على السواء في تربية وترقية قواه العقلية
والجسدية والروحية كلها . سأضرب لكم مثلاً من هذا النقص
في التربية حتى في مشاهير الرجال . في الفيلسوف سبنسر كانت
قوة الادراك راقية الى حد نادر المثال عجيب . واما قوة الاحساس

والعُطف - اي القوة الروحية - فكانت فيه اضعف مما قد تكون
 في احد سكان اواسط افريقيا . وفي الشاعر دنته نجد القوة
 الروحية عظيمة في شعره كما كانت في حياته . واما القوة العقلية
 اي قوة الادراك فما هي كذلك . ومثل هذه الموازنة تصح بين
 ابن الفارض وابن رشد . او بين البهاء زهير وابي العلاء . وعندني
 ان الفيلسوف سبنسر والشاعر دنته . او العالم باستور والقديس
 اوغسطينوس . او ابن الفارض وابن رشد ليتجسدان في رجل
 المستقبل العظيم . اجل . سيجبل الله انساناً جديداً كاملاً من
 الطينتين . النصفين . وهو على كل شيء قدير .

من هذا يتضح لكم رأيي في ماهية الحياة واقصى غاياتها .
 اي سادتي . ان الحياة الحققة هي التي تجمع بين محاسن فلسفة
 الروحيين وفلسفة الماديين . هي التي يشارك صاحبها ابيكوروس
 في لذاته وافلاطون في روحياته وسقراط في ادراكه وحكمته .
 هي التي تعظم فيها قوة الجسد وقوة العقل وقوة الروح . هي التي
 توفى بين اول درجات سلم الحياة وآخرها . بين الحيوان
 مصدرها والملاك محبتها . مثل هذه الحياة كثر من كنوز الدنيا
 وقيمتها لا تقدر ولا تحدد .

اما حياتنا اليوم - حياة عالمنا او تاجرنا او كاهننا او فلاحنا -
 فهي ناقصة . ضيقة . خاسئة . فاسدة . وكذلك نتائجها . فكم من
 عمل فيه اخلاص وما فيه شيء . من العقل ؟ وكم من عمل فيه عقل

وما فيه شيء من الاخلاص؟ وكم من عمل فيه اقدام وشجاعة بل قحة وسلطنة وما فيه ذرة من العقل والاخلاص؟ ومع ذلك اننا نستطيع ان نجعل حياتنا اليوم ذات قيمة تذكر اذا سرنا الى غرضنا بحزم وعزم ونشاط وثبات واقتطفنا من الاعمال الناقصة. ما هو صحيح ناضج من ثمارها. اذا كنا حقاً احراراً. اذا كنا صادقين مخلصين محبين مدر كين فنعرف اين تنتهي حريتنا واين تبتدي. حرية جارنا. نهد بشيء من العلم والصلاح سبيل الحياة الحقة التي وصفتها. الحياة البشرية المستقبلية التامة الاجزاء ارتقاء وصحة وفهماً. نعم ان قيمة مثل حياتنا اليوم هي ناقصة تافهة ولكنها بالنسبة الى ما هو دونها تستحق الاعتبار. حسبنا ان تنقص فينا اليوم الجريرة والتلبس والخداع فتعلو بقدر ذلك النقص قيمة الحياة. حسبنا ان يتقدم في كل بلد احد الناس الاقوياء بصلاحهم. الجريئين بفكرهم. فيضرب احدى مفزعات الناس ويحطمها. الخيالات والبعبعات والاهام والخزعبلات. كلما زال شيء من هذه ترتفع بقدر زوالها قيمة الحياة.

قل لي اذا ايها المحترم ما هو اعتقادك الحقيقي فاقول لك ما هي قيمة حياتك. قل لي يا صاحب السعادة والعزة ما هي امالك في اعمالك فاقول لك ما هي قيمة حياتك. قل لي ايها الصحفي الحر ما هي غايتك الكبرى في تسويد الصحف فاقول لك ما هي قيمة حياتك. قل لي ايها الغني ما هو قصدك الاولي

في جمع المال فاقول لك ما هي قيمة حياتك . قل لي ايها الانسان
ما هي اسرار قلبك اقل لك ما هي قيمة حياتك . قولي لي ايها
الامرأة ما هي غايتك القصوى في الدنيا اقل لك ما هي قيمة
حياتك .

اخواني . اخواتي .

ان قيمة حياتنا اليوم ما نزرعه في القلوب من البر والصلاح
وفي العقول من العلم والحكمة . قيمة الحياة ما يعود اليها من
ثمار الحب الذي نزرعه في صدور الناس . قيمة الحياة ما يأتي به
كل منا من الصالحات الباقيات مادية كانت او عقلية او روحية
فالغني الذي يقدر حياته بما عنده من المال يرفع من قيمتها اذا بذل
من ثروته لنشر المعارف . واستئصال الامراض . وتخفيف وطأة
البؤس والظلم في العالم . والعالم الذي يقدر حياته بما عنده من
العلم يرفع من قيمتها اذا محص علمه من الغش والخداع . من
السفاسف والاهام . وبشه في الناس صافياً لوجه الله . والمتقشف
الذي يقدر حياته بما عنده من الزهد والتقوى يصنع خيراً اذا
كان تقشفه يفيد في الاقل افادة سلبية فيخفف فينا وطأة زخرف
هذه الحياة المدنية . على ان العالم والغني والزاهد قلما تنفع حياتهم
وقلما تكون ارفع قيمة من حياة احقر الناس واجهلهم اذا كانوا
لا يعملون لغير انفسهم . وشر الحياة حياة لا عطف فيها ولا
اخلاص ولا حب ولا حماسة .

واما رجل المستقبل . ذاك الذي تتم فيه اجزاء الحياة كلها
 وتتساوى صحة ونشاطاً وفهماً ورقياً . فسيتمكن ان شاء الله
 من الجمع بين حسنات العالم والغني والمتشرف . بين محاسن العقل
 والجسد والروح . بين الخيال والحقيقة . بين جمال الشعر وجمال
 الحكمة وجمال الصحة . مثل هذا الرجل يعيش في الحاضر كما
 لو كان الحاضر الابدية كلها فلا يعمل عملاً لا يشترك فيه عقله
 وروحه وقلبه . هو يشغل رأس ماله في اسواق الحياة الثلاثة فلا
 يكون عالماً عاجزاً الا يحسن التصرف في غير منزلته . ولا غنياً
 جاهلاً . ولا زاهداً اخبل . هو الذي يجي قواه كلها ويرعاها
 فيغذي العقل والروح دائماً كما يغذي الجسد . هو الذي يروض نفسه
 للشدائد كما لو كانت من ضرورة الحياة . هو الذي لا يعول في
 اموره على احد من الناس . هو الذي لا يحترم في البشر الا العلم
 والذكا . والصلاح . هو الذي لا يجاي في سبيل العدل احداً .
 ولا يخشى في سبيل الحق انساناً . هو الذي يعيش لنفسه ولربه
 وللانسانية في وقت واحد . ان حياة مثل هذا الرجل لكثرة من
 كنوز الدنيا وقيمتها لا تقدر ولا تحد .



هملت وشكسبير^(١)

يتوقع مني بعض الناس ان اوجه كلمة الى اولئك الذين اساءوا
فهم خطابي الاخير في الكلية الاميركية . ونشروا على صفحات
الجراند مثلاً من تسرعهم في النقد وبطئهم في الافتهام . ولكنني
آليت على نفسي ألا اوضح لاحد وألا اجادل واناقد احداً .
فان الذين يعرفونني ويفهمونني بغني عن الايضاح والذين لا يجوبون
ان يعرفوني ويفهموني فانهم لا يقتنعون ولا يفهمون . وان صرفت
ما بقي من حياتي شارحاً مفسراً موضعاً . لذلك لا اضيع وقتي
فيما لا طائل تحته لا لكم ولا لي . لذلك لا اجادل احداً ولا اناقش
بشراً . بل جعلت مبدائي وخطة حياتي هذه الكلمات الثلاث
« قل كلمتك وامش » . فاننا اذا وقفنا لنسمع المداحين والمهجائين
الناطقين بالحجارة والناطقين بالازهار . ننصرف عن بث المبادئ
الحرية والتعاليم السديدة في الناس الى ما يعرقل سعينا ويقعد
بهمتنا ويكدر صفاء افكارنا ويعودنا مقاتلة الناس لا تهذيبهم .
لذلك جعلت شعاري « قل كلمتك وامش » .

هذا هو مبدائي وهذي هي خطة حياتي الكتابية . وهذي
هي نصيحتي لاخواني الادباء اجمعين . بناء على ذلك سأقول كلمة

(١) خطبة القيت في مسرح زهرة سوريا ببيروت اول ليلة مثلت فيها

في رواية هذه الليلة كي لا اخرجكم من الموضوع الجميل الذي
 انتم فيه . واني لا استحسن قطعاً الخطابة في المواضيع السياسية
 والاصلاحية في مثل هذه المواقف الادبية . فانها تصرف افكاركم
 عما جئتم من اجله هذه الليلة وتقطع سلسلة الخيال التي تنقلكم من
 المكان الذي انتم فيه الى مكان الرواية وزمانها . وهذه من شروط
 الاتقان في التمثيل . فان الممثل الذي لا ينسيني وانا جالس على
 ذلك الكرسي امام هذا المسرح كوني في بيروت وفي الجبل
 العشرين . الممثل الذي لا ينقلني بمغناطيس صناعته الى الدانيمارك
 في هذه الرواية لا شاهد هناك مليكها واميرها ورجالها واشباحها
 يعانون تكاليف الحياة لا يكون قد احسن اوليات هذا الفن .
 يسرني جداً ان ارى روايات نابغة المراسح بل نابغة العالم
 تمثل في سوريا . فان شكسبير من سائر الشعراء كجبل الارز
 من سائر جبال لبنان . ورواية هملت من روايات شكسبير كضهر
 القضيبة من جبل الارز . بل شكسبير هو امير شعراء العالم
 ورواية هملت هي اميرة روايات شكسبير وكم قام بعده من
 المقلدين . من الانكليز والالمان والافرنسيس فاجادوا في طريقتهم
 ولكنهم لم يشقوا غيوم مؤلف هذه الرواية الفريدة . ومن مميزات
 هذا الشاعر العظيم انه لم يترك عاطفة من العواطف البشرية كلها .
 دقيقة كانت او غليظة . واطئة او سامية . راقية او وحشية .
 ظاهرة او غامضة . الا والبسها من شعره سربالاً شفافاً جميلاً

واستخرج منها حكمة سامية جلييلة . فاذا ذكرنا الحب نرى في
« روميوجوليت » ارقه واشرفه واسماه . وفي « ترولس وكريسيدا »
احطه واكرهه وادناه . واذا ذكرنا الغيرة يدهشنا بل ينجلنا تمثيلا
اياها في رواية « قصة من قصص الشتاء » بصورة خبيثة صفراء
خالية من الوان العطف والسماحة والحشمة . ويعجبنا بل يسحرنا
في رواية « اوتلو » الشهيرة . تلك الرواية التي تستنشق الغيرة فيها
انقى هواء البحار والجبال . وما فادى الزنجي الا بي « اوتلو »
« بدرة اثن من قبيلة كلها » الاكرها وفي سبيل عرضه وشرفه .
بعد ان افرغ الخائن يعقوب كل سمه في قلب من اخلص له الوداد .
واذا ذكرنا الانتقام نشاهده في افطع واوحش هيئاته في « تيتوس
اندرانيكوس » وفي اشرف واسمى مظاهره في رواية الليلة .
وفي هذه المقارنة تظهر عظمة الشاعر الذي يسقط الى اعماق اغوار
الحياة فيستخرج منها درر الشعر والفلسفة . ويرتقي الى اعلى
السمكين فيجيشنا بكواكب من الحكمة السامية والحقيقة الالهية .
هذه ست روايات ذكرتها موجزا لا مثل مقدرة الشاعر
واتساع نطاق افكاره وتصوراتيه وفلسفته وشعوره . فمن
« كريسيدا » الى « جوليت » ومن « أندرانيكوس » الى « هملت »
ومن « بوليكسين » الى « اوتلو » ننتقل من جحيم الحب الى
سمائه . ومن ادغال الانتقام الى ذرواته . ومن اكواخ الغيرة الى
قصورها . وقد تجتمع اسمى مظاهر هذه العواطف كلها في دور

(هملت) . لذلك هي اعظم الروايات التي تمثل على المسارح اليوم .
هي رواية منقطعة النظير فريدة في بابها وجلباها . فالضمير
والفلسفة فيها يمتزجان فيتمازجان بين التردد والاقدام . وفيها الدقائق
والحقائق تسيل حياً . فتتلون غضباً فتهيج انتقاماً . وفيها من
الشعر والتصوير والفصاحة ما لا يجتمع مثله في رواية واحدة
لغيره من الشعراء . وفيها . وهذا اهم ما فيها للممثلين . غوامض
اطوار (هملت) وشذوذاته . فان دور (هملت) للممثلين هو
كالنور للفراشة . وندر في اوروبا واميركا من لم يحرق جنحيه من
الممثلين الشهيرين في بادى . امره ولتأكدوا اهمية هذه الرواية
في عالمي الشعر والتمثيل اقول ان من مائة ممثل في انكلترا
واميركا لا يحسن تمثيل هذا الدور العظيم اكثر من عشرة ممثلين .
وكل واحد من هؤلاء . يمثل الدور بطريقة تختلف عن طريقة
سواه . وذلك لان المؤلف اكثر فيه من اوابد الفلسفة . وغوامض
الحكمة . واسرار المعاني البديعة . ما يحتمل التفاسير والتاويل
العديدة . لا اقول هذا لاثبط من عزم هؤلاء الشبان النشيطين .
فانني اكبر همتهم واثني على اقدمهم . وارجو الا يقفوا في درس
هذه الصناعة الجليلة واتقانها عند حد تصفيق الناس واستحسانهم .
فقد يضر المديح بالشاعر والممثل اكثر من نقد الناقدين وتحامل
المتعنتين .
وان بينكم ولا شك كثيرين ممن سافروا الى اوروبا وشاهدوا

فيها تمثيل الروايات . ولكنني لا اظن ان احداً منكم دخل العالم الكائن وراء الستار هناك . فان المسرح . بادواته وعجلاته وانواره واخشابه واسراره وممليه وجدران الورق والنسيج فيه . لعالم آخر لمن يتسنى له الدخول اليه .

اذكر لما كنت امثل دوراً صغيراً في هذه الرواية مع احد الممثلين الكبار في الولايات المتحدة انني دهشت اول ليلة من امر الشبح فيها وكيفية ظهوره . فلما قال « برناردو » (ها هو ها هو) رأيت من كان يمثل هذا الدور يتخطى تحت الارض . اي تحت المسرح فسألت احد الممثلين : هلاً يخرج لتشاهده الناس ؟ فقال : بل هم يشاهدونه الان . فقلت : وكيف ذلك ؟ فاشار اذ ذاك الى مرآة طويلة في مؤخر المسرح وقال : ترى الذي يمثل دور الروح واقفاً تحت المسرح امام المرآة فينعكس خياله فيها فيخيل للناظرين انه شبح حقيقي واقف بين الارض والسماء . واذا تكلم فصوته من تحت المسرح اقرب الى حقيقة حاله . فانه اشبه بصوت خارج من القبر . وعند ما ينتهي من كلامه لا يخرج كالاحياء ماشياً بل يتحول الممثل من امام المرآة فيخيل للناس ان الروح طار في الفضاء تروا اذاً الى اي حد من الاتقان والتفنن ترتقي هذه الصناعة هناك .

وقد جاءني منذ اسابيع مجلة انكليزية موضوعة للتمثيل والممثلين قرأت فيها ان ابن السيدة إلن ترى وهي كسارا برنار

عند الانكليز طبع رواية (هملت) على حدة في خمس مجلدات ضخمة طبعة فريدة في بابها فنشر فيها صور اشهر من اجاد في تمثيل هذا الدور من الممثلين من ايام شكسبير حتى يومنا . ورسوم الثياب ووصفها في زمن (هملت) مع المواعين والاشياء التي تستخدم على المسرح اثناء التمثيل . وفيها ايضاً وصف المشاهد والمناظر وحركات الممثلين وسكناتهم كلها وكيفية القائهم مسندة الى تقاليد تكاد تكون مقدسة عند عشاق هذا الفن واربابه . وتباع النسخة من هذه الطبعة من رواية (هملت) بخمسة عشر ذهباً انكليزياً . فتأملوا !

اذكر هذه لتقدروا هذه الرواية حق قدرها . فانكم . مهما تعددت مشاهدتكم اياها . لترون فيها كل مرة شيئاً جديداً من رائع الحكمة وبديع المعاني وجميل الخيال . وقد يخطر في بال البعض منكم ان كيف تكون يا ترى تأثيرات مثل هذا المسرح ومثل هؤلاء الممثلين في نفس من مثل على مسارح اميركا وشاهد هذا الفن في ارقى مظاهره وعرف شيئاً من اسراره وخبائاه . اما الممثلون فاني وان كنت لا استصوب هجومهم دفعة واحدة على روايات شكسبير وبالاخص اعظمها فاني أكبر همهم كما قلت واثنى على نشاطهم وارجو ان يتوفقوا في سعيهم واجتهادهم ودرسهم المتواصل الى شيء راق من هذا الفن . واما المسرح او الملهى او الملعب او

التياترو او بالحري هذه الاخشاب المسندة التي تدعى تياترو فانها
تذكرني بايام شكسبير لما كان هو نفسه يمثل ادواراً في رواياته .
فان فن التمثيل هناك ولد في مثل هذا المهه الحقير . ولا
عيب ولا عار في ذلك .

ولا بأس بذكر شيء من سيرة هذا النابغة العظيم فان فيها
عبرة لمن اعتبر . في ايامه اي منذ ثلاثماية سنة كانت لوندرا
شبيهة ببيروت اليوم من حيث اسواقها وابنيتهاملاهيها . ولم
يكن فيها عربات ومر كبات . بل كانت شوارعها دائماً كشوارع
مدينتنا يوم الاعتصاب . فكان الناس يجيئون التياترو راكبين
الخيال فاقضى لذلك وجود اولاد امام الباب يستلمون هذه الجياد
فيحفظونها لاصحابها الى ان تنتهي الرواية . ووليم شكسبير
ايها السادة كان من هؤلاء الغلمان . ولكنه عمل عمله بنباهة
وامانة واخلاص حتى اصبح بعد قليل زعيم الساسة وسيدهم .
فكان الناس عند وصولهم الى التياترو لا ينادون الا شكسبير
فيجيبهم هذا ويجيبهم ذاك قائلاً انا ياسيدي من رجال شكسبير .
وكذلك ترى الرجل العظيم فائزاً مقدماً في اول عمل باشره . نراه
فائزاً لانه اتقن العمل وثابر على الصدق والامانة فيه . وقد كان
ارتقاءه ابهى واسرع من فوزه . صعد السائس الى المسرح واخذ يمثل
الادوار الصغيرة الى ان استيقظت في قلبه ربة الشعر . فطفق
ينظم الروايات ويمثل فيها حتى آخر ايامه .

قلت لكم ان لوندرا منذ ثلاثماية سنة كانت من بعض الالوجه
مثل بيروت . وكان فن التمشيل فيها كما هو اليوم عندنا . وكانت
التياترو الخاصة بشكسبير وشركائه شبيهة بهذه . فالحالة الاجتماعية
التي الف فيها هذا العبقرى رواياته كانت كحالتنا اليوم دون
تصوراته وافكاره ودون المثل الاعلى في الفنون .

فهل كتب الشاعر ما يلائم طبائع قوميه وامياهم في تلك
الايام ؟ هل راعى خواطر شعب لوندرا منذ ثلاثماية سنة ؟ فانه لو
فعل ذلك لما كنا نقرأ رواياته ونمثلها اليوم . بل هو الف هذه
الروايات لكل جيل ولكل زمان . الف رواياته والحقيقة آخذة
بضميره . وربة الشعر تلي على فواده . والحكمة تنير زوايا قلبه
ونفسه . الف رواياته ولسان حاله يقول : ان لم يقدرها ابناء
اليوم حق قدرها فسيجعل ان شاء الله ابناء المستقبل . وهذه من
نبوات الشعراء . فالنابغة ياسادتي يتقن أي عمل اتاه بشرط ان
يكون قلبه مائلاً الى ذلك العمل . ومن مميزات شكسبير في
صعوده من احقر الاشغال الى المهنة التي تتصل بالالهة اسبابها
انه كان يفرغ قلبه ودماغه في قالب عمله . وان حياة هذا العبقرى
لشبيهة بتمثال حي لما جاء في رواياته . فانه ارتقى السلم من اوطى
الدرجات حتى اعلاها ووقف هنيهة في كل منها ليفكر بالحكمة
التي فوقها والحكمة التي تحتها .

ان الفوز المبين اذا لقي اتقان العمل مهما كان . ان الاتقان

في الفلاحة كان او في النظم او في التمثيل هو اساس كل ما
يدوم طويلاً من الصنائع والفنون . ونحن الشرقيين مفتقرون
جداً الى الثبات الذي يتغذى به الاتقان . فاننا لا نتقن شيئاً ولا
نثبت في شيء . بل ترانا نياس قبل ان نتمم عملاً . ونبغى فوق
ذلك الاستحسان والتقريظ . فعسانا اذا ان نتمثل بشيء من
حياة هذا العبقري الانكليزي الذي اتقن عمله سائساً . واتقنه
ممثلاً . واتقنه شاعراً .



حول المساواة^(١)

سيداتي وسادتي

عندما كتبت هذه الرواية الصغيرة لم يخطر في بالي امر تمثيلها . وقد الفتها لغرضين غرض ادبي وغرض سياسي . فالغرض الادبي ظاهر للألباء من خلال الخيال . والغرض السياسي نقطة محوره . ومهما كان من امر الرواية فما هي الا وقفة امام الباب الذي لا بد ان يدخله الادباء بعد حين . فقد عفنا الروايات المترجمة التي قلما تنطبق على حالنا وقد حان لنا ان نضع تاريخ الامم الشرقية وبالاخص تاريخنا على المسرح ليقتفي الناس اثار اجدادنا الحسنة ويتحاموا منها السيئة . ومن العجزان نتهافت على موائد الافرنج وعندنا في تواريننا العربية وفي حياتنا الاجتماعية من الحوادث والعبر ما كان يكفي (ساردو) و(روستان) و(إبسن) خمسين عاماً لو تفرغوا لدرسها ووضعها في قالب التمثيل . وما روايتي هذه سوى وقفة كما قلت امام باب الموضوع . وبما انني اشتغل اليوم في نظم بعض حوادث تاريخ العرب لتمثل في انكلترا او اميركا او دلو يهتدي بعض اخواني من الادباء الى شي من هذه الحوادث المهمة فيفرغونها في قالب تمثيلي على طريقة

(١) القيت اثناء تمثيل رواية السجناء او عبد الحميد في الأتيني للمرة

قريبة بقدر الامكان من كمالات هذا الفن .

اما الغاية السياسية من الرواية فلا شك انها ظهرت لاكثر كم
وتدبرتموها . وما عبد الحميد فيها سوى واسطة لظهار الحقيقة
المؤلمة التي طالما شغلت المفكرين .

من الالفاظ الساحرة التي تجري على السنة الخطباء في هذه الايام
لفظة المساواة . والمساواة ايضاً هي محور الفكرة السياسية في
الرواية . ولكن بين ما ارتأيه في هذا الموضوع وما يرتئيه غيري
بوناً شاسعاً . فالمساواة لفظة طالما تحمس لها الشعوب في ما مضى
من التاريخ ووجدت فيها الام خلاصها الى حين . وان كان في
تاريخ الرومان او الفرنسيين او الاميركان فان هي الا فترة مرت
فاضرمت في الشعوب هوساً ابعدهم عن الحقائق الطبيعية
والاجتماعية واعادهم اليها بعد حين . والتاريخ شاهد على ما اقول
ولكن الوقت لا يسمح الان في استطلاع شواهد فترى كيف
خابت آمال الرومان والفرنسيين والاميركان في عقيدة زال شغفهم
بها بعد ان وضعوها في حيز العمل .

على انني اصرح امامكم الان انني لست من المعتقدين بان
الناس ولدوا متساوين كما جاء في دستور الولايات المتحدة .
فالناس لا يولدون متساوين لا في القوى العقلية ولا الجسدية
ولا الروحية . وهذه حقيقة لا حاجة للاسهاب فيها . وانما الناس
متساوون اسماً امام الشرع . اما فعلاً فهم في البلاد التي تدعى

مهد المساواة كاخوانهم في البلاد التي كانت في الماضي قبرها .
 فالاميركي والعثماني شبيهان من هذا القبيل . وذو النفوذ في
 الامتين يخنق المساواة بنفوذه . وذو المال بماله . وذو السيادة
 بسيادته . وذو العقل بعقله . وذو القوة بقوته . ومهما تحمسنا
 وبالغنا في القول ينبغي ان تكون الحقيقة محجتنا في كل حال .
 الحقيقة ياسادتي هي ان لا حقيقة للمساواة في البشر اليوم .
 والذي يمكننا ان نصل اليه بعد طويل الجهد والثبات في مضمار
 الارتقاء هو ان يعرف كل امرىء مقامه ويجازى كل امرىء على
 عمله وهذه في نظري هي المساواة الحقيقية . ليجازى كل امرىء
 على عمله بعدل وانصاف وانا الكفيل بان الناس لا تحلم بعدئذ
 بالمساواة . اذما الفائدة للفاعل ياترى من معرفته انه وسيده
 متساويان اذا كان سيده لا يجازيه على عمله بعدل وانصاف .
 المساواة الحقيقية اذا هي ان يجازى كل على عمله . ان يجازى
 المجرم على جرمه . والفاعل على عرق جبينه . والعالم على علمه .
 والذي على ذكائه الذي يظهر في اعماله . ورب الفنون على عرائس
 صناعته . والشاعر على نفائس شعره . فالمجرم اذا كان من المتشردين
 او من السلاطين ينبغي ان يكون في نظر الشرع واحداً . وفي
 نظر القضاة واحداً . وفي نظر السجنان واحداً . اي ان الحقيقة
 تطلب شريعة واحدة . وميزاناً للعدل واحداً . وسجناً واحداً . لمن
 ساوت بينهم الجرائم والاثام . ولا فرق بين الصعلوك من هذه

الوجهة والامير وبين الفقير والغني . اذكر لما كنت في الولايات
 المتحدة ان المحكمة العليا حكمت مرة على احد ارباب الاحتكار
 هناك بالحبس ستة اشهر لخرقه نظام الحكومة المختص بالشركات
 الاحتكارية . فزج بالسجن كبقية المذنبين ولكنه لم يعيش هناك
 كما عاش اخوانه السجناء . فقد اختصته الحكومة بثلاث غرف
 فرشها من ماله بالطنافس والرياش . وأذنت لاحد المطاعم ان
 يقدم له طعامه كل يوم في الاوقات المعينة . وكان اصحابه وعماله
 يزورونه كما لو كان في بيته او في مكتبه . فما قولكم بهذا العدل
 في ارض تدعى مهد الحرية والمساواة . افلا ترون ان بين حال
 عبد الحميد اليوم وحال ملك الاحتكار الاميركي بعض الشبه
 فالمال الذي تدفعه الامة اليوم لاعاشة السلطان المخلوع هو ما
 يحق لكل المجرمين في البلاد ان يطالبوها بجزء منه . هذا ما
 ندعوه المساواة امام الشريعة وهذه هي المحجة التي لم نزل
 بعيدين عنها . اما المساواة في الهيئة الاجتماعية فالعقدة فيها اشد
 وامنع . وان عقدة عقدها الله لا يحلها الا هو . ليعمل كل منا
 عمله باخلاص واثقان . ليعرف كل منا مقامه . ليجاز كل منا عمله
 على اعمالهم بعدل وانصاف . لنكن احراراً بمعنى الكلمة الحقيقي
 فنصبح متساوين فضلاً واثابة في عين الله . - قلت في خطابي في
 رحله كلمة عن الذين يتلبسون بالحرية ويفاخرون الناس بانهم من
 الاحرار وذكرت على سبيل المجاز بيع البصل او بالحري من لا

يعرف كنه الحرية والمساواة واصبح يجتمع اليوم والاحرار
الحقيقيين في ناد واحد . فقام احد الخطباء يعترض على تحقيري
الشعب وعبثي بعقيدة المساواة المقدسة . وهو لا، الناس يحاولون
تعزير عقيدة لم يعززها الله وما عززتها الطبيعة . فقال كيف لا
يحق لبياع البصل مثلاً ان يكون من الاحرار وكيف لا يحق
له ان يجتمع وسيد الامير في ناد واحد . لا ياسادتي اذا كان بياع
البصل او الامير نفسه يبيع حريره ببصلة فهو من العبيد الذين
لا يجردهم الا الله . اذا ظل المرء حرّاً ما دامت حريره لا تضر
بمصلحته او بمنصبه او بنفوذه فلا الدستور ولا الثورة ولا المصلحون
يستطيعون ان يرفعوا عن نفسه سلاسل العبودية .



(١) الشعب والسياسيون

أيها السادة

ان لهذه المدينة مزية طبيعية جميلة ما رأيت مثلها في مدن العالم الكبرى التي زرتها واقت فيها . وهذه المزية المبهجة تظهر في هذا الفصل من السنة في اجمل معانيها فتسير مع النسيم في الليل فتسني السائر حفر الاسواق واوحالها . نعم ان اجمل ما في بيروت جنائنها وان نفحات ازهار الجنائن تسكرني وتحزنني معاً . فقد طالما سألت نفسي وانا سائر ليلاً في شوارع المدينة - متى يا ترى تنتشر مثل هذه الروائح الشذية في ادياننا واخلاقنا ومبادئ زعمائنا ؟ متى يا ترى تصير ارض سوريا صافية كسمائها ؟ متى يا ترى تصير قلوب ابناء سوريا نقية كهوائها ؟ متى يا ترى تصير حكومة هذه البلاد صالحة كانبياؤها ؟ سوالات يطرحها الرجاء على اليأس بل النور على الظلمة . سوالات طالما رددتها نفسي فكنت كن يقلب جذوة في الرماد كلما حررتها صغر حجمها فتمسى اخيراً رماداً

سوالات اذا سألتها علم العالمين يجملهم يجيب عليها جهل من ادعى العرفان . سوالات اذا سألتها ازهار الحب والتساهل والاخاء نبت حولها شوك التعصب والنزاع والخصومات .

(١) من خطبة في الشعب وزعمائه

ولكنني لا ايس من كل ما هو جار اليوم . انا لا اتشام
 باخبار الاستانة المكدره . فان الامة هي كالام ساعة الولادة .
 الامة الجديدة كالطفل تولد بالعذاب والالام .

اعذروني ايها السادة اذا خالفت هذه الليلة رأيي في امر
 الخطابة خلال الفصول . فاني وان قلت بابطال هذه العادة اعلم
 جيداً ان ذلك غير ممكن قبل ان يصير عندنا دار خصوصية
 للاجتماعات العمومية .

وإذا كان الخلط بين الخطابة والتمثيل اليوم لازماً فلاشارة
 الى ان الطلاق كافل سلامة الاثنين لازمة ايضاً .
 وبعد هذا الاعتذار ماذا عساني اقول .

ان قلت كلمة في الحالة الحاضرة اخشى ان تظهروا استحسانكم
 باطلاق الرصاص فلذلك لا اقولها . ان الصحافيين كثيرون وكلمهم
 في القول يتاجرون . بل كلمهم من الاماجد الكرام كما يقول
 انطونيوس في جنازة القيصر . والذي يقوله هو لاء الاحرار
 الافاضل لا يتجاسر ان يقوله هذا الفقير . الذي يقوله المسدس
 والخنجر لا يقوله اليوم القلم والمنبر . الذي تقوله الحماسة الوطنية
 لا تردده دائماً الحكمة . الذي يقوله انصار الامة لا يقوله انصار
 الحقيقة . واني اوكد لكم ايها السادة ان لسان الحال اليوم افصح
 من لسان الاتحاد . ولسان التقهقر اطول من لسان الترقى . وبلاء
 بابل في سنتها . ولكن هذه البلبلة لا تدوم . وسينطق غداً

لسان آخر هو لسان القوة والحكمة فيردد صدى كلماته لسان
الحال ولسان الاتحاد ولسان الترقى ولسان التقهقر ايضاً . وان غداً
لناظره قريب .

واما الان فخرمة للانسانية ارى من الواجب ان نلفت
انظار زعماء الفوضيين في اوروبا الى حالتنا المبهجة المفيدة فيبعثوا
بوفد من قبلهم الى بيروت ليتعلموا فيها كيف تكون الفوضى .
ولا بأس بالفوضى اذا علمتنا شيئاً واحداً وهو انه لا يثبت في
العالم والناس الا الانقلاب . لا بأس بالفوضى اذا تعلم الشعب
في مدرستها ان يتقي زعماءه واسياده . فان الزعماء الذين يغرون
الشعب اليوم على الصحافة حباً بالامة يغرونه غداً على الامة حباً
بالصحافة . عفواً سادتي . قد جاملت من حيث لا اقصد المجاملة
فان الزعماء السياسيين يثيرون خواطر الشعب لا حباً بالصحافة
ولا حباً بالامة بل حباً بانفسهم الكريمة وبمطامعهم السياسية
الشريفة . فاتق ايها الشعب الزعماء ولا تكون في ايديهم آلة صماء .
واتقوا ايها الزعماء الشعب فانكم اذا اغريتموه اليوم على احد
زملائكم يقوم غداً من يغريه عليكم . لا يثبت الا الانقلاب .
اذكروا هذا ايها الثابتون في الثقل

وقد قيل ان صوت الله في صوت الجماعات . وكم هو ياترى
عدد العثمانيين الذين لا يقفون مع الواقف ولا يتزلفون الى القوي .
فالشعب اليوم واقف . الشعب اليوم قوي . ولكن الحق يقف

فوق كل واقف . الحق اقوى من كل قوة بشرية .
 فاذا قال السياسيون ان صوت الله في صوت الشعب يقولون
 ذلك يوم يكون الشعب خادماً ما ربههم السياسية . ويوم ينقلب
 الشعب تنقلب ولا شك الآية . يوم تصرخ الجماعات فلتسقط
 الصحافة الحرة تقول الحكومة المسئولة ان هذا لصوت الله . ولا
 تكاد تنتهي من تهليلها حتى تصرخ الجماعات فلتسقط الحكومة ا
 فيقول اذ ذلك الحكم انه لصوت ابليس . والحقيقة ايها السادة ان
 ابليس بريء من هذا الشعب وان الله بعيد عنه . الحق يقال ان
 صوت الشعب هو صوت ابي براقش لا صوت ابليس ولا
 صوت الله . الحق يقال ان ابا براقش هو معبود الشعب
 ومعبود السياسيين .
 تبارك الشعب وتباركت صبغاته السياسية . تبارك السياسيون
 وتباركت نراتهم الوطنية .



في وصف بيروت

ايها البيروتيون

اقت في هذه البلاد بلادناست سنوات ولم استطع قبل
الآن ان اقول في بيروت كلمة حق يرضاها قلب شغف يجب
بلادها ولا ينكرها عقل شغف يجب الحقيقة . نظرت الى هذه
المدينة بعين رأيت مدن اوروبا واميركا فاستصغرتها وندبت حظها
ثم نظرت اليها بعين شاهدت غيرها من مدن سوريا فاحببتها
واكبرت شأنها . وانا الان ناظر اليها بالعينين فاصفها وانصفها .
بيروت ام البلاد السورية وأمة البلاد السورية . اميرة المدن
الاسيوية واجيرة المدن الاسيوية . بيروت حسنة من حسنات
التمدن وآفة من آفاته . بيروت لؤلؤة شرقية في صيغة من
النحاس غربية . هي خلخال في رجل سلطنة المشرق عند الصباح .
واسوار في معصم ربة المغرب عند الغروب . هي درة في احوال
تئن فوقها الكهرباء . هي مرجانة على ساحل اختلط تبره برماله
ولجينه باحواله . ساحل النغولة مهد ام المدن السورية وعرشها .
فم الاتون بيروت . وافق النور بيروت . ومطلع الظلمة بيروت .
عروس الحرية هي وعجوز الحرية . يوماً تتهادى تحت علم الوطن
عفة وكبراً ويوماً تتوكل على عصاها كيداً ومكراً . يوماً تلبس
الرعاة العتاة اكليلاً من الازهار ويوماً تقبل منهم اكليلاً من

الشوك . تصعر يوماً خدّها للظالم وامام سدته تعفر يوماً وجهها .
بيروت منبر الدستور ومشنقته . بيروت حسناء النظام وبيروت
صخابة الفوضى .

مدينة المدن السورية بيروت . منبت الياسمين والقلام .
مغرس الورد والشوكران . القراص فيها يرفع رأسه عزة تحت
ازاهر الليمون . والعليق يسرح ويمرح في ظلال النخيل . مدينة
الدماء . مدينة المدن . مدينة الخلسة والرجاسة . اخت اورشليم .
روحها تن في الازقة . نفسها تحشرج في المجاري . قلبها يغرد في
البساتين . عينها تدمع في دوائر الحكومة . جسمها يذوب في
الموبقات . وعقلها يُدق على سندان التفريق في المدارس . بيروت
احدى وصيفات باريس . هي قرينعكس فيه نورالمغرب فيضي .
المشرق وتنعكس فيه ايضاً ظلمة الغرب فتزيد الشرق ظلاماً .
بيروت منبت العلوم ومغرس الخرافات . هي حقل خصب التربة
تررع فيه اوروبا قحها وزوانها ووردها وقلامها . ومع ذلك نراها
سائرة الى الامام ساهرة صابرة . اذا اقبلت سوريا فيبيروت امامها
وان ادبرت فيبيروت وراها . اذا كانت اليوم كاذار من السنة
تتراوح في رعداها وبرقها بين الظلمة والنور غداً تصير كايار بل
كتموز . كايار بازهارها . كتموز بثمارها . اذا كانت اليوم اسيرة
شياطين التفريق تصبح غداً ربة الالفه والاخاء . اذا كانت اليوم
عرش التعصب الديني فهي غداً قبره .

مدينة المدن السورية بيروت واثمها مثل مجدها كلاهما عظيم .
 اذا بكت هاج بكائها بكاء الامة . اذا غردت رددت انغامها
 بلابل حلب وشحارير الشام وحساسين لبنان وحمام الجليل . اذا
 وردت بحيرة الاصلاح « ورد الفرات زئيرها والنيلا » . واذا
 افسدت افسدت بناتها في السواحل وعلى شواطئ العاصي والاولي
 والاردن وبردى . كلمة باطل تنطق بها بيروت تسمي حجة في
 دمشق . كلمة حق تصدع بها بيروت تروي غليل القرى الظمّانة
 وتبعث في مدن السواحل والسهول روح الجهاد .

ام المدن السورية هي وعجوز المدن السورية . تعلم بناتها
 الفضيلة يوماً ويوماً تعلمهن الرذيلة . تحمل اليهن نوراً وتحمل اليهن
 سماً . اثمها مثل مجدها كلاهما عظيم . واعظم من الاثنين واجب
 فرضه الله على الامهات . احسني القدوة يا بيروت يحسن بناتك
 الاقتداء . في المروج والجبال وفي السواحل والسهول بناتك
 يستقين من ينابيع علمك وادبك . من مدارسك من صحافتك
 من منابرک من مطابعك . فصفى مياهاً تسقينها بناتك . اخفري
 السبل . صوني المناهل . تعهدي المسارب . اقطعي يد كل اثم
 يشتغل اليوم في تعكيرها او تخريبها او تسميمها . اقطعي الايدي
 التي تحمل اليها سراً فضول الاديان واوحال التعصب واوساخ
 سخافات الادب والسياسة . طهري ينابيعك . ارحمي بنيك
 وبناتك .

أشهد ان لا نور ولا دخان ولا وحول في سوريا اليوم غير ما
 كان مصدره بيروت . وأشهد ان بيروت وجه سوريا وان
 الهوتنتوتي في هذا الزمان يغسل وجهه . بيروت قلب سوريا .
 والعلم يقضي بان يكون العقل كالقلب والجسم نظيفاً نقياً ولكن
 المدينة التي تدعى درة في تاج آك عثمان هي درة في احوال وغبار
 تئن فوقها وتحتها الكهرباء . وتمس حولها بحاجب الادباء .
 احوال واقذار وغبار في اسواق المدينة . وفي آدابها وفي
 سياستها وفي اديانها . ودرة العلم ودرة الدين ودرة تاج آك عثمان
 في هذه الاحوال والاقذار غائصات ضائعات . وماذا يزيل الاحوال
 والاقذار والغبار . لا الصحافة ولا قرص البلدية ولا قصائد
 الشعراء . ولا كلماتي تريها . هذه الاقذار من فضول الاعصر
 والاجيال ولا يزيلها ابدأ سرمداً غير التربية الحقة والتهذيب
 الصحيح . تربية اساسها الشجاعة والحمية والصدق والنظافة .
 وتهذيب اساسه النزاهة والامانة والاقدام وحب العدل والوطن .
 متى تأصلت هذه الفضائل في الرعاية وفي الرعية . وفي الساندين
 والمسودين . تصطلح جادات المدينة وتستقيم جادات الادب والدين
 والسياسة . اصلحوا الحياة تصلحوا الحكومة . اصلحوا الحياة
 تصلحوا المدينة .



في لبنان

اخواني . ابناء وطني .

اذا كان في حضوري حفلة هذه الجمعية ما يسر كم وفي كلماتي ما يفيدكم فالفضل في ذلك لرسول الجمعية الي . جاءني هذا الرسول الاسبوع الماضي فذكرني بعد ان قص قصته بمخبري الجرائد الامير كية . باولئك الشبان الاقوياء الذين يتسقطون حتى من السماء الاخبار . وينالون بغياتهم بالجهد والثبات ولو حالت دونها الاقدار . ورسول الجمعية نال بغيته مني بالجهد والثبات . طلبني في محال عديدة بالمدينة فما وجدني . سأل عني بعض الاصحاب فثبطوا من همته . علم اني ساخط في بيروت خطبتي الاخيرة واتأهب للسفر وما كان ذلك ليوقفه عن سعيه . عض على نواجذه وراح وجاء باحثاً طالباً حتى لقيني فحاصرني واستولى علي . اعجبني من الشاب نشاطه وجدده وثباته . فاحبت ان انوه بها في هذا المقام . وحبذا هذه المزايا الحميدة في شباننا بل في كهولنا وفي نساءنا . حبذا العزم في الاعمال . والثبات في الاعمال . والاخلاص في الاعمال . فلا التربية في بيوتنا نحن السوريين ولا التهذيب في مدارسنا يغرس فينا مثل هذه الاخلاق

(١) خطبة القايت في جمعية الاجتهاد الروحي في برمانا لبنان في ١٤ ايار

الطيبة • مثل هذا العزم والجد والاقدام • الشاب الذي نوهت
 به من متخرجي الكلية والمزايا التي اعجب بها انما هي من محاسن
 الاخلاق الاميركية • وحبذا لو تخلقنا بمثل هذه الاخلاق فناخذ
 عن اصحابنا الاميركان والانكليز امثال العزم والجد والاقدام
 ونترك لهم عبادة المال والتكالب في سبيل الاثراء •

فكم من خوار هلوع اذا قامت في وجهه عقبة واحدة يعرض
 عن غرضه ويعود الى خوله خائباً • وكم من رسول لفساد في خلقه
 وضعف في عزمته يخذع مرسله ويخونه • وكم من مأمور يركب
 الى غايته مطية الغش والتلبيس ويطلي عُقد الامور بالاكاذيب
 ويدور حول العقبات • مثل كدش الناعورة فلا هو يذلل العقبات
 ولا هي تعززه • الاخلاص في الاعمال • والامانة في الاعمال •
 والجد والثبات في الاعمال • هذا ما انصح به لاخواني ابناء وطني •
 فالجد يدني كل امر شاسع والجد يفتح كل باب مغلق
 وان من يمد يده الى السماء راغباً عازماً جاداً متشوقاً لتدنو
 منه كواكب السماء واقارها •

ولكن الطبيعة تنفر من الاخلاص ونواميسها تكره العجلة •
 وقلما نرى نحن السوريين ما لا يعاكس الطبيعة ونظام الاشياء •
 اذا شاقنا امر طلبناه كالاطفال ضاجين ملحين صارخين صاخبين •
 مئات السنين يزيد ان يحشرها الله من اجلنا في مدة صغيرة •
 يزيد ان ينير من اجلنا الشمس في الليل والقمر في النهار • يزيد

ان يصلح شوؤننا ونحن اما نائمون واما صاخبون . ولا الصخب
 وAIM الله ولا النوم . لا العويل والفوضى ولا التلبط والقنوط
 تصلح الشؤون .

العمكة تريد يا بني . اصبر تنلها . واما هذا التلبط منك فلا
 يفيد . وهذا الصراخ لا ينفعك . بمثل هذا الكلام تخاطب الام
 ابنها اللجوج والامة بنيتها . زيد في لبنان تهذيباً وحرية وعمراناً .
 زيد في لبنان اصلاحاً . وAIM الله لا زيد في لبنان الا الوظائف .
 اقول وحق ما اقول ان بلاء لبنان وفساد حاله لمن مصلحيه .
 مصيبة الجبل اولئك الذين يضربون على وتر الاصلاح حياً
 بالاشتهار . او خدمة لما رب احد المفسدين الكبار . اولئك
 الذين يصطادون بشبكة التمويه والتغريز الدينار . بلية لبنان
 اولئك الذين يزحفون على بيت الدين باسم الدستور فينصبون في
 باب السراي مشنقة الدستور . اولئك الذين يصطبغون بصبغة
 الاحرار واذ يتبوؤن كراسي السيادة يولون للحرية الادبار .
 اولئك الذين يصطبغون بصبغة الماسون يوماً ويوماً بصبغة المارونية
 فلا ماسونيين يعرفون ولا بكر كيين . مصيبة هذا الجبل العزيز
 في امثال اولئك البنائين المحترمين الذين يناهضون الا كليروس
 يوماً ويوماً يتزلفون اليه ليسلبوه النفوذ والسيادة . كنا في الماضي
 نقول ان بلأنا من الا كليروس . واما اليوم فيا ما احبلى
 الا كليروس الى جانب هؤلاء الذوات المصلحين . مسكين

الا كايروس اللبناني ! صرخة واحدة اوقفته . ضربة واحدة اقعده .
 وكأني بالبنانيين والمصلحين يصرخون اليوم في وجهه قائلين :
 اشلح تربع . هذي هي حال الا كايروس اليوم وحال المصلحين .
 بليتنا يا سيادي من هذه الاحزاب . من هؤلاء الزعماء
 والسياسيين العتق منهم والجدد . وما اكثر المصلحين فينا وما
 اقل الصالحين . ما اكثر الواعظين وما اقل المتعظين . عودوا الى
 بيوتكم ايها الناس فالزموها . عودوا الى انفسكم فاصلحوها .
 افسدتم باصلاحكم البلاد . اهلكتم بسياستكم الناس . اقول ولا
 اخشى لومة لائم ان كل ساسة لبنان الموقرين سواء في الضلال
 والفساد . وما اشرنا مرة الى احد . معجبين ممن اشتهروا بغير
 الضلال والفساد وكان عند رجائنا فيه . قلنا في هذا الرئيس قولاً
 جميلاً كذبه باعماله . مدحنا الزعماء الوطنيين فحجبتوا في الطحين .
 ما كدنا نقول في هذا النائب ما شاء الله حتى اضطرنا ان نقول
 انا لله . كلهم في الفساد والضلال سواء . عودوا الى بيوتكم ايها
 الزعماء الاعزاء . الى حقولكم . الى املاككم . فتعهدوها بالتربية .
 اصلحوها اصلحكم الله . بارت ارض لبنان من اشتغال اصحابها
 عنها بالسياسة . غاضت مياه لبنان من اهمال الغابات فيه
 والاحراج . وسيذهب لبنان ضحية اصلاح المصلحين الذين
 يهملون بيوتهم وعيالهم واملاكهم ليصلحوا حكومة لبنان .
 اقول وحق ما اقول لو سكنت الزعماء والمصلحون العتق

منهم والجدد وعادوا الى بيوتهم يحترفون لهم حرفة شريفة
 لاصطلحت عاجلاً شوون لبنان السياسية . واما شوون الاجتماعيه
 والعمرانية فلا يصلحها غير المدارس الراقية والتربية الحقيقية .
 لا يصلح حالنا ادبياً ودينياً غير المدارس الاعدادية العلمانية الوطنية
 والتربية الاميركية الحقيقية . اما الاصلاح السياسي فلا ينفع
 كثيراً بل لا ينفع قطعاً في مثل احوالنا اليوم . وهاك ما قاله
 طومس كرليل في هذا الصدد . انا قارى . ما عربته من سديد
 حكمة هذا الفيلسوف العظيم .

« قد قيل مراراً وينبغي ان يقال ايضاً تكرر ان كل اصلاح
 غير الاصلاح الادبي لا يجدي نفعاً . فالاصلاح السياسي مع شدة
 الحاجة اليه يحصر فعله في استئصال الاعشاب البرية كالشوكران
 القبيح السام والنباتات المشوكة التي يكثر نموها وتقل فائدتها
 ولكن الارض وقد اصبحت بعد ذلك بوراً تقبل البذور الكريمة
 كما تقبل ما قد يكون اخبث واضر مما استئصل منها . اما الاصلاح
 الادبي فهل يتحقق ياترى رجاوتنا فيه ان لم يزد يوماً فيوماً عدد
 الرجال الصالحين فينا . اولئك الذين تسلمهم العناية الكريمة ليشوا
 روح الصلاح في الناس ليزرعوه كما تزرع الشجرة الحية بذورها .
 فالرجل الصالح انما هو قوة سريعة حية مثمرة وكذلك في كل
 زمان ومكان يكون . ونفوذها اذا تدبرناه لا يقاس لان اعماله لا
 تموت . هي ابدية لانها بنت الابدية . وقد تتحول فتنمو وتنتشر

في اشكال جديدة ولكن جوهرها الحي المحي هو واحد . فيما ايها الصارخ من خبث الزمان ولوئمه القائل ان ديوجن في يومنا يحتاج الى مصباحين في رابعة النهار اعلم ان لا سلطة لك على الزمان . وليس لك ان تصلح البشر - ان تنقذ عالماً منغمساً في الغش والفجور والنفاق . وانما كتب لك ان تصلح رجلاً واحداً فيه واعطيت لذلك قوة عظيمة مطلقة فانقذ هذا الرجل . اصلحه . قوم اوده . ان في اهتمامك بنفسك شيئاً بل اشياء تذكر . وحياتك واعمالك لا تكون بعدئذ باطلة . »

وكلنا هذا الرجل . وكلنا نستطيع ان نصاحبه اذا سعينا وكننا ثابتين في سعينا صادقين . اما الاصلاح السياسي فهو ينقي الارض ويخصبها فقط . والاصلاح الادبي الذاتي يعطينا بذوراً صالحة تزرع منها هذه الارض المنتخبة الطيبة . واما اذا حصبناها ونقبنها وكانت بذورنا رديئة فاسدة يجي . كل اصلاح سياسي شراً من الآخر . وبأسف اخبركم ان ما في جراب بذارنا اليوم غير بذور الحنظل والقرقفان والعوسج والقراص . فاذا كانت لنا غيرة على بلادنا وكان في قلبنا حب لارضنا حقيقي نأبى ان نتعبها ونهلكها بالاصلاحات السياسية العقيمة . لنسع في تنقية البذور قبل تنقية الارض . اطرحوا الى النار جراب السياسة وما فيه غير آسفين وخذوا لكم جراباً جديداً تملأونه من بذور النفس المصلحة الجديدة . فقد اعطي كل منا كما قال كرليل قوة عظيمة . مطلقة

ليصلح نفسه وكل منا يستطيع الى ذلك سبيلاً اذا سعى قليلاً .
 ونصيحتي لاخواني اللبنانيين لابناء وطني المحبوب ان يتعدوا
 عن السياسة ويقتربوا من الحقول . ان فلاحاً في كرمه وراء محراثه
 لا شرف من كثيرين من ذوات لبنان . ان صانعاً في معمله لا طهر
 ذبلاً وازره نفساً من سياسة لبنان . ان حائكاً في نوله لا سلم قلباً
 من مصلحي لبنان . - جبالنا المقدسة ايهجر بنوك حقول
 السكينة فيك ليتلوثوا باوساخ السياسة واوحالها ؟ ايهملون
 ارضك فتصير بوراً وغاباتك فتصير صخوراً حباً بمنصب في
 الحكومة يذل النفس ويفسد الحياة ؟ الى الحقول ايها السياسيون
 الى الحقول . بارت اراضي جبالنا من الاهمال . تصخرت غابات
 جبالنا من الاهمال . غاضت مياه جبالنا من الاهمال . اتشقون
 في السياسة اخواني والمجرات ينشدكم نشيد الهناء والحبور ؟
 اتمرغون في احوال الوظائف والارض تحن اليكم حنين الام الى
 اولادها ؟ اتستذلون وتستضعفون وتستهبدون في دوائر السياسة
 والحقول تدعوكم اليها لتلبسكم تاج الاستقلال ؟ لتعيد اليكم شرف
 الرجال . لتمتعكم بجرية الفكر والعمل والمقال ؟ الى الحقول اخواني .
 الى الحقول . ليرع كل منا خويضة نفسه ليشتغل كل منا عن
 اصلاح الناس باصلاح شؤونه . ليتعهد ارضه واملاكه بالحرارة
 والتربية فيصطلح عندئذ لبنان . ويصطلح شعب لبنان . وتصلح
 حكومة لبنان .

التساهل الديني

خطبة

أُقيمت في احتفال جمعية الشبان المارونيين

ليلة ٩ شباط سنة ١٩٠٠

في نيويورك

وطبعت أولاً هناك

تقديم

هذه اول خطبة القيتها في لغتي وقد انتشرت في سوريا ومصر واميركا
 وقرظتها الجرائد والمجلات هنا وهناك . لذلك احببت ان ابقي عبارتها على
 ما كانت عليه في الطبعة الاولى .

مقدمة الطبعة الاولى

قد طبعت هذه الخطبة لاعتقادي اننا بحاجة كلية الى
 التساهل الديني فأمل ان تصادف من المتساهلين استحساناً ومن
 المتعصبين قبولاً تكون نتيجة الارتياح والاستحسان على ما
 ارجو فيزول اذ ذاك التعصب ويسود التساهل وتبرز بعد ذلك
 امتنا السورية الى عالم الوجود قائمة على صخرة لا تقوى عليها
 نيران الجحيم .

نيويورك في الشهر الخامس من سنة ١٩٠١

مقدمة الطبعة الثانية

وهذه عشر سنوات مضت والتساهل الديني لا يزال من
الادوية الناجمة . وفي ذلك دليل على ان داء التعصب الدفين لا
يزال متأصلاً في الصدور . وقد قال لي احد كبار الاتحاديين ان
الجمعية تود لو انتشرت هذه الخطبة في كل اقطار المملكة .
فلتتكرم الجمعية اذا وترجمها الى التركية . ابدلوا « الامة
السورية » في الخطبة بالامة العثمانية ولا تخشوا اللوم والتثريب .
فان عناصر هذه الدولة كلها كالعنصر الذي عاجلته . وان ما نثن
منه نحن المسيحيين لاشد وطأة عند اخواننا المسلمين . أفيستقمننا
التعصب ويجيز علينا التمويه ؟ اتقوا الله ايها الناس . فقد صاح
بكم الاحرار الاصفياء عودوا الى كتبكم ظناً منهم انكم تعودون الى
الحسن السمح السامي من اياتها . فخاب ظنهم . لذلك اقول ارفعوا
اعلام الوطن ولا تعودوا الى كتبكم في غير المعابد لانكم تعودتم
ان تسرعوا الى ما خط فيها من آيات فتفسرونها بما لا يقتضيه
حالتنا اليوم بل لا يجيزه . عودوا اخواني الى ضميركم . الى وجدانكم .
الى معقولكم . الى حكمة موروثه فيكم . وساعدوا هذه الدولة
الجديدة فتساعدكم . ساعدوها ايها الرؤساء والاسياد في بث روح
التساهل الديني والجنسي في الناس . وسيف والله يرفع علي شر
من سيف ارفعه على اخوان لي في الوطنية . وشر من الاثنين ايها
العثمانيون سيف يرفع علينا اجمعين . بيروت في ٦ نيسان سنة ١٩١٠

مقدمة الطبعة الثانية

وَشَرُّهُ مِنَ الْاِثْنَيْنِ سَيْفٌ يَرْفَعُ عَلَيْنَا اِجْمَعِينَ

(من مقدمة الطبعة الثانية)

والسيف اليوم والأسفاه اعلينا اجمعين . الا ان صاحب السيف غير ذلك
الذي حاول منذ خمس عشرة سنة تتركينا واستعبادنا . صاحب السيف مهما
كان من امره اليوم . وكيل مسؤول - مسؤول امام شرف في تقاليدنا .
ومجد في تاريخه . ونبوغ في آدابه . وضمير في عهده . ومع ذلك فهو لا
يساعدنا اذا كنا لا نساعد انفسنا . او لا نحسن التعاون .

والتعاون لا يكون بغير سيف بتار نستله على التعصب الخبيث الدميم .
التعصب الفظيع الاثيم . بل على التعصبات كلها جمعا . - على التعصب الديني
الكاfer . والتعصب المذهبي الفاجر . والتعصب الجنسي الخوون . والتعصب
الطائفي الملعون . وان سيفاً على هذه المآثم كلها هو آية الحق . والعدل .
والاخاء .

اقول . وحقاً ما اقول . ان الخلاص في يدنا . ان الخلاص في التساهل
الديني . وفي الاتحاد الوطني المبني على الاشتراك بالمصلحة والاشترك بالروية
اقول . وحقاً ما اقول . ان في اتحادنا صالح راعي الانتداب وصالحنا . اجل
ان اتحادنا الوطني المجرد عن كل صبغة مذهبية او طائفية ليحمل فرنسا على
احترامنا واحترام مطالبنا . فتفيد اذ ذلك وتستفيد . وتوئيد فوق ذلك تلك
المبادئ السياسية السامية التي رفعتها يوماً على امم الارض جمعا .

الفريكة في ٣١ ايار سنة ١٩٢٣

امين الربحاني

التساهل الديني

ايها السيدات والسادة

لما علم بعض اصدقائي باني انتقيت موضوعاً دينياً القيه على مسامعكم في هذه الليلة الخافلة انتشر الخبر في جاليتنا السورية واخذ كل رجل يبني عليه العلامي والقصور ويستخرج النتائج ويقدر العواقب ويفسر الموضوع بحسب مبلغ ذوقه وادراكه وهو اه وقد اتفق هؤلاء المفسرون في شيء واحد وهو اني سأعرض للدين تعرضاً خبيثاً وهم ينوون توقيفي عن الخطابة لانهم الآن لم يألفوا حرية القول والانتقاد فعسى ان يصادفوا الفشل وخيبة الامل لانهم حكموا علي قبل ان يسمعوا كلامي ويتدبروا براهيني وهذا شيء يناقض الشريعة والعدل ويأباه الراي المستقيم والذوق السليم فالقاضي الذي يحكم على مجرم بالقتل قبل ان يسمع دفاعه يكون ظالماً مجرمًا جاهلاً . فلا تحكموا قبل ان تسمعوا ولا تقصدوا الشر قبل ان تتبينوا شراً اكبر يستوجبه . وقد يظن البعض ان البحث في الامور الدينية متعلق بروساء الاديان فقط ومحرم على سواهم وهذا عين الضلال والغلط فالمرء لا يرى مساوته ولا ينتقد الحرفة التي يتوقف عليها معاشه . وروساء الاديان لا يتكلمون عن الدين شيئاً مشيناً ومضراً به على مسامع الشعب ولو لم يكن منافياً العدل والاصلاح بل كل مباحثهم الفلسفية

وكل اقوالهم العلمية هي مستنتجة من مقدمة تسبق كل بحث
 وكل تنقيب يطبعونها في جنانهم قبل ان يقدموا على الكتابة
 والجدال وهي هذه . الدين تأييده واجب وتعزيزه اوجب واذا
 افسده الزمان ولوى فيه الالسنه بعض رؤساء الاديان فلا يعلن
 الفساد للشعب فاذا كانت المقدمة على هذا المنوال فهل يرجى منهم
 انتقاد جهري يكشف للعلمانيين ما لا يظنونه موجوداً . ان ذلك
 لا يكون فالرؤساء لا يرجى منهم اصلاح جهاري في الدين اذ
 ان ذلك يضر بمصالحهم ويضعف سلطتهم ويسقط سيادتهم . واذا
 سألتموني لماذا تبحت وتتكلم في الدين وانت لست من رجاله
 فاجيبكم كما اجاب روسو الفيلسوف الافرنسي الشهير لما سئل
 عن تعرضه للبحث في السياسة وهو ليس اميراً ولا حاكماً قال :
 انا لست اميراً ولا حاكماً ولكنني من اجل هذا كتبت فاني لو
 كنت اميراً او حاكماً لما اذعت الزمان بكتابة ما ينبغي ان افعل
 بل كنت افعله والزم السكوت . وانا لست قسيساً او مطراناً
 ومن اجل هذا اخطب بموضوع ديني فلو كنت قسيساً او مطراناً
 لاصلحت وحسنت واستغنيت عن الخطابة ولزمت السكوت
 فالبحث في اي موضوع كان محرم على الحيوانات العجم فقط اما
 الناطقة العاقلة فمن حقوقها ان تخوض عباب اي موضوع شاءت
 ولكن الذي اوقعني في مثل بحر من الاضطراب هو الطلب
 الذي طلبته مني عمدة هذه الجمعية (جمعية الشبان المارونيين)

كي اعدل عن الخطابة بهذا الموضوع تجنباً للشر وهرباً من العواقب
 الوخيمة حسب زعمهم ولعمري لا ينجم عن البحث والتفتيش
 المصحوبين بالمعرفة والحكمة الا كل شيء مستحسن ومفيد .
 البحث ام الحقيقة . ماذا افعل اذن . أرمي نفسي في بحر البحث
 والتنقيب ام اسلم تسليماً غير شرطي دون ان انبس ببنت شفة .
 من وجه لا اريد ان اخون ضميري واعود نفسي التردد فالشاعر
 يقول :

اذا كنت ذا رأي فكن فيه مقدماً

فان فساد الرأي ان تترددا

ومن وجه آخر اود لو راعيت خواطر اعضاء الجمعية التي
 انا عضو منها واجبت سؤلهم . فان تكلمت استاءوا وان لم اتكلم
 استاءت الحقيقة وهذه هي الورطة التي وقع بها ذاك الخطيب
 المفوه اسكندر افندي العازار لما تكلم عن « الجرائد وجراندنا »
 في مدينة بيروت فاخذ في البدء يسرد تاريخ الجرائد مبتدئاً بالصين
 ومنتهاً في اوربا ووقف يتبصر لما اتصل به البحث الى جرائدنا
 وحالتها في تلك المدينة . والموقف يستوجب كثرة التبصر اذ
 كانت تلك القاعة غاصة برجال الحكومة واصحاب الجرائد ونخبة
 الجواسيس وكلهم كانوا واقفين للخطيب بالمرصاد يتوقعون منه
 كلمة واحدة ضد الجرائد او المكتوبجي ليشوا به ويسعوا بتوقيفه
 وحبسه فبعد ان تبصر قليلاً قال : جرائدنا . . . احسن صبغة

للشعر عند عيد عون . . . جرائدنا . . . احسن دواء لوجع الرأس
 عند ابي نحول . جرائدنا . . . جرائدنا . . . فنهض احد اصحاب
 الجرائد في ذلك الثغر وقال له « ما معنك لم لا تتكلم » فاسكتته
 الخطيب اذ قال :

« الله يضيق على من يضيق »

اما نحن فلسنا في بيروت الآن ولسنا محاطين بالوالي
 والمكتوبجي والجواسيس ولا توجد فوق رؤوسنا ايدي رجال
 حكومة ظالمة جائزة مستبذة من شأنها الضغط على العقول
 وتوقيف كل من نطق بالحقيقة وصرح عن افكاره بحرية واخلاص .
 نحن في بلاد طرحت فنمت في ربوعها بزور الحرية منذ نشأتها نحن
 في جمهورية عظيمة يحق لكل من وطى اراضيها المباركة ان
 يتكلم بحرية تامة بشرط ان لا يمس حرية غيره . وهذه الحكومة
 العادلة قد كفلت لشعبها الحرية بجميع انواعها كحرية الاديان
 وحرية الصحافة وحرية الخطابة وحرية التعليم وحرية العمل واعمر
 الحق هذا اكبر باعث لتقدمها السريع ونشأتها الغريبة . فما لنا اذا
 ومراعاة الخواطر عند البحث عما يعود باكبر الفوائد على السوريين
 في بلادهم وفي المهاجر . . . موضوعي التساهل الديني اتريدون
 ان اتكلم (فجاء الجواب من الجمهور اخطب ! تكلم !)

أأتكلم ؟

تكلم . تكلم تكلم !

سأتكلم اذا وعلى الله الاتكال .

موضوعي في هذه الليلة الحافلة متشعب الاطراف جليل
الشان جزيل الفوائد ذو اهمية تأثيرها في المجتمع الانساني لا
يقاس ولا يحمد . هو الموضوع الذي انقسمت عليه الرجال في
الاعصار الغابرة المتوسطة حين كان يدافع عنه كل المدافعة العلماء
والفلاسفة والاحرار ومحبو البشر الابرار ويعارضهم كل المعارضة
الروساء والامراء والملوك وكل من فضل قطعة معدن تدعى
خطاء تاجاً على ذلك الشي الخفي السري الالهي الذي يسمى ضميراً
(تعريف التساهل)

التساهل هو التسامح بوجود ما لا يستصوب بتمامه^(١) وهذا

(١) كل عقيدة وكل مذهب وكل تعليم لا تعتبر صحته عند جميع الناس
والشعوب فهو غير مستصوب بتمامه وان كان ضوايياً . الديانة المسيحية مثلاً هي غير
مستصوبة بتمامها ليس عند الشعوب الغير المسيحيين فقط بل عند المسيحيين انفسهم
فالمسيحي البروتستاني لا يستصوب المذهب الكاثوليكي بتمامه والعكس بالعكس وذات
الحالة تقور الشيع البروتستانية العديدة - والدين الاسلامي هو غير مستصوب بتمامه
عند كل الناس حتى عند المسلمين نفوسهم فان منهم الشيعيين والسنيين والصوفيين
والمعتزلة والمجسبين وغيرهم من الشيع المتعددة . وكل من هذه الشيع لا تستصوب
تعاليم الاخرى بتمامها . ولا تستصوب بتمامه الا الحقائق الراهنة التي لا ينكر صحتها
احد على الارض وهي ما كانت من طوق ادراك العقل لها فناموس الجاذبية مثلاً هو
مستصوب بتمامه عند كل من عرفه واثنان واثنان تساوي اربعة لا ينكر احد صحتها
ولا يوجد رجل على البسيطة له مسكة من العقل يقول لك $2+2=3$ ولو قلنا : الخطان
التساويان لا يتحدان مها ادمت مدهما فهو تعليم يقر بصحته كل من درس الهندسة او
تروى قليلاً في القضية . هذي هي الحقائق الراهنة - حقائق رياضية قاطعة لا ينكرها
احد وهي تستصوب بتمامها . والشيء الذي يستصوب بتمامه لا لزوم للتساهل به لان
كل الناس تتآلف وتمتق بخصوصه .

تحديد كلي اما الجزئي فهو اجازة العقائد الدينية والطقوس الطائفية
التي تخالف الطقوس والعقائد المختصة بالدولة . وهذا تحديد لا
يطابق حالتنا ولا يوافق الظروف الحاضرة . فاليكم اذا بتحديد
يأتي بالمراد : التساهل الديني هو الاعتبار والاحترام الواجب علينا
اظهارها نحو المذاهب المتمسك بها ابناؤنا جنسنا ولو كانت هذه
المذاهب مناقضة لمذاهبنا وتقاليدنا وطقوسنا على خط مستقيم
يجب علينا ان لا نمكن ما لا يستصوب بتمامه من ان يفرق
بيننا ويشتم شملنا ويقسمنا على انفسنا
التساهل لا يكون في الامور الدينية فقط بل في كل المسائل
التي تطرأ على عقول البشر ويعمل بها الكبار والصغار عدا ما
يستصوب بتمامه . ولا نستطيع ان ندخل هذا الباب دون ان
نطرق باباً اخر . فالتساهل نجم عن التعصب وهاتان الكلمتان
ضدان وهما ثانوية من ثانويات الطبيعة كالنور والظلمة والفضيلة
والرذيلة والخير والشر والعدل والظلم . فلولا ذلك لما كان هذا .
لولا الاول لما كان الثاني . فالتعصب اذاً ولد التساهل والتساهل
ولد السلام والسلام ولد النجاح والنجاح ولد السعادة مثلما ابراهيم
ولد اسحق واسحق ولد يعقوب ويعقوب ولد يهوذا واخوته .
فالسليمة واحدة لكن الترقى يأخذ مجراه حسب سنة النشوء والارتقاء .
والتعصب يسبق في كل الاحوال ليستوجب التساهل لان القضيب
المستقيم يكون تقويمه اعوجاجاً .

ولكي يكون الشيء صريحاً والبرهان جلياً اجعل لكم تشبيهاً ثانياً
التساهل هو الابن والتعصب هو الاب ولحسن الطالع لم يوجد في
العائلة البشرية برمتها اب وابن لم يتفقا ويتواليا في زمانهما قط الا
هذين الاثنين فالاب التعصب يكره الابن التساهل والابن لا
يستطيع ان ينظر الاب فاستعرت بينهما نيران الفتن وحمي
وطيس القتال في الاجيال المتوسطة التي يدعوها المؤرخون
الاجيال المظلمة وكان الفوز احياناً لهذا واحياناً لذلك حتى دخل
المتحاربون القرن التاسع عشر فاخذ الابن يفوز على الاب . اخذ
التساهل ينتصر على التعصب واخيراً اشق قلبه بخنجر العدل وفراه
بسيف الرحمة . مات التعصب ولكن والأسفاه كان موته الى حين
اي ان روحه عند خروجها من جسمه الديني تقنصت بقوتها
الاصلية بالجسم السياسي . خرجت من الجسم البشري ودخلت
الجسم الحيواني عوضاً عن التعصب الديني الذي سود صفحات
التاريخ في الاجيال الغابرة قد ابتلينا بايامنا هذه بتعصب سياسي
او دولي اذا شئتم لم نزل له مثيلاً في تاريخ العالم بأسره . فما هذه
الحروب التي تشهرها الدول الاوروبية على الشعوب الحفيرة
والقبائل الضعيفة الصغيرة الا نتيجة التعصب الدولي نتيجة
الفكر الفاسد الذي تتمسك به الدول وتعمل بموجبه فانكثرت
تعتقد نفسها اصلح من فرنسا وفرنسا ارفع واعظم من جرمانيا
وجرمانيا اقوى واحسن من الاثنين الخ واذا راقبنا حركات الدول

واطلعنا على اسرارها ودرسنا سياستها وكشفنا الحجاب عن
خفاياها وتاملنا الحروب العديدة التي تهدم هيكل المجتمع
الانساني وقفنا حيارى نسأل انفسنا هذا السوال المضحك نحن
من الجيل التاسع عشر جيل التمدن والنور جيل المبادئ
الديموقراطية والاشتراكية والرحمة المسيحية ام نحن على باب القرن
العشرين . اجل نحن من الجيل التاسع عشر . . . قبل المسيح وليس
بعده . وقد تميز هذا الجيل بالتعصب الدولي ولذلك دعوت خطابي
التساهل الديني الناتج عن التعصب الديني لا يميزه عن التساهل
السياسي . اما المبدأ الاساسي لهما فهو واحد ولا يتغير منه سوى
التكوين الخارج والاحوال الظاهرة .

ثم التساهل يكون اما من الدولة واما من الشعب واما ان
يكون طوعاً واختياراً واما كرهاً وجبراً . اما التساهل الدولي
الديني فهو يشمل الان الدول الاوروبية بمعاملاتها بعضها مع بعض
ولكنه لا يشمل الشعوب التي يدعوها الاوروبيون متوحشة
فالدول لا تتساهل مع هؤلاء المساكين الضعفاء بل يتساهل بعضها
مع بعض لانها تضطر الى ذلك وليس حباً بالمبدأ الشريف فكثيرا
ما تراها تشهر الحروب على القبائل الضعيفة وتدعوها حروب
الانجيل وذلك لكي يعتنق « البرابرة » الدين المسيحي كرهاً وجبراً .
وهذا هو التعصب الدولي الديني هذي هي الاضطهادات التي كانت
تمارسها الدول الاوروبية المسيحية بعضها ضد بعض والان تمارسها

ضد « البرابرة » كما ترعم والبرابرة قوم يشعرون ويتألمون مثلنا .
 هذه هي حروب شارلمان واضطهادات الملكة حنة الانكليزية
 والملك كارلوس الافرنسي . هذه هي مذبحه ليلة القديس برتلموس
 فعوضاً عن حدوثها في باريز وفي الجيل السابع عشر تحدث الان
 في صحارى افريقيا وفيافي آسية وتلول السودان وفي اخر الجيل
 التاسع عشر . ياللعار وياللسنار ! عبثاً يكتب العلماء ويندد
 المصلحون ويبحث الفلاسفة . عبثاً اتى السيد المسيح الى الارض
 لمثل هؤلاء الاقوام

اما الدول المسيحية بمعاملاتها بعضها مع بعض فلسنا
 نرى للتعصب الديني اثر بينها فصار الكاثوليكيون بأمن
 وسلام في الجزائر البريطانية والبروتستانتون يأمنون على انفسهم
 في اسبانيا وفرنسا وايطاليا واليهود لا خوف عليهم من الاخطار
 والطردي في اي بلاد حلوها ما عدا الروسية وصرنا نرى في مجالس
 الامراء الانكليزية اللوردة والنواب الكاثوليكين واليهود . وفي
 الدولة العثمانية نرى الموظفين على اختلاف نحلهم ومذاهبهم من
 المسلمين والمسيحيين والدروز . فالتساهل اذاً في الدولة موجود
 غير انه بين الملل والشعوب المختلفة مفقود . لان الكاثوليكين
 في هذه البلاد الحرة كطائفة لا يحبون البروتستانتين والبروتستانتون
 يكرهون الكاثوليكين وقس على ذلك في كل الامم لاسيما في
 الامة السورية فلو كان بوسعنا نحن السوريين كلنا لاضطهد بعضنا

بعضاً وشهراً على بعضنا الحروب الدموية ولكن الدولة لا تساعدنا على الاضطهاد الديني وروسا. الاديان لا يستطيعون ذلك وحدهم ولو استطاعوا لا يترددون .

عندنا نحن شيء اقبح من الاضطهاد واضر من الحروب . عندنا السياسة السرية والايدي الخفية والاعمال الباطنة الشيطانية فكل هذه المنكرات تشير الى غرض واحد وهي اكبر باعث على ابتعادنا وانقسامنا بعضنا على بعض ومعاداة بعضنا لبعض . فالسياسة الخفية هذه اقبح من الاضطهاد لاننا بالاضطهاد نستأصل دابر من خالفنا بالمذهب فلا يبقى لنا معاند مفاخر ولا عدو مكابر ولكن السياسة السرية تفسد القلوب وتقتل في الانسان كل عاطفة شريفة . السياسة هذه هي الجبن والضعف واللوم والخيانة والغش والنفاق والايدي التي لا تظهر مخالفا الا في الظلمة الكالحة يدعو عليها بالكسر كل حر صادق وكل شجاع . هذه سياسة سيئة غايتها ووخيمة عاقبتها وابناء امة واحدة يبقون بسببها منقسمين . منفردين عاجزين عن العمل مشمولين بالخمبول ومكتنفين بالجهل فيتسلط عليهم شعب آخر او امة غريبة فيبقون اذلاء جبناء الى ما شاء الله . هذه سياسة لا طائل تحتها ولا نجاح وراءها بل ان صاحبها يلقي الفشل ويبتلى بخيبة الامل قبل ان تمتد نيران فتنته فتفضي بالامة الى البوار ايها السوريون نحن امة لا يتجاوز عددها ثلاثة ملايين نفساً

منهم مليون متشئت في اقطار المعمور الأربعة فاذا وجد فينا
خمس عشرة حزباً او ملة فاذا ياترى تكون عاقبة شقاقتنا وانقسامنا
الا يكفينا الضعف الذي يشملنا بكوننا امة صغيرة حقيرة
حتى نبتي ايضاً بضعف الانقسام وماذا تكون قوة كل حزب او
كل طائفة اذا شرعت تعمل عملاً خطيراً يستغرق الوقت الطويل
والسهر والكد والاجتهاد ويستوجب تضحية المال والنفوس
وخيرات البلاد .

اي عمل قامت به هذه الطوائف الصغيرة وكانت فوائده
اكثر من اضراره ؟

فلو كان عددنا مائة مليون لما ضرنا انقسام الاحزاب الى
عشرين حزباً ولا خمسة عشر طائفة فعندئذ يكون الحزب قوياً
واذا شرع يعمل عملاً او ينهض نهضة سياسية او ادبية كلها
بالفوز والظفر . هذه الامة الاميريكية يبلغ عدد سكانها ما
ينيف على الثمانين مليوناً ومع ذلك لا ترى فيها اكثر من خمسة
احزاب سياسية واما الطوائف الدينية فكثيرة ولكن لا قوة
ولا ذكر لها في الامور السياسية والوطنية والمدنية . قد سلبت
منها سلطتها او بالحري قتلت بيدها ولذلك هي ضعيفة ذليلة . قد
قالت الحكومة الجمهورية لهذه الطوائف الدينية ما معناه :
لكل دين حق البقاء ، ولا حق لدين ان يبئد ديناً آخر بالقوة
الوحشية .

لكل دين حق البقاء ، افتكروا في ذلك وابقوا هذه الاية
 في حافظتكم . ودولتنا العثمانية تنهج نفس المنهج فالمسلمون
 يتساهلون مع النصارى ويسمحون لهم بممارسة دينهم حسب
 طقوسهم وتقاليدهم ولما كان الانسان يجتهد ليستفيد من كل شي .
 استنتجت الدول ولاسيما الدولة العثمانية نتيجة حسنة تأول الى
 سياستها بالراحة تعويضاً عن لذة الاضطهاد الوحشية فغدا التساهل
 ضرباً من السياسة الدولية بواسطتها تستميل الدولة الرؤساء
 والرؤساء قادة الشعب وسادته فتصبح البلاد بواسطة هذه السياسة
 براحة وطاعة - راحة لا تشكر ولا تراد وطاعة لا تحمد ولا تحذ .
 اني افضل الاضطراب والعذاب على هذه الراحة اني افضل
 الثورة على هذه الراحة المقوتة . راحة الذل والخمول راحة الجهل
 والعبودية .

وكانت قد اتخذت هذه الخطة الدولة الرومانية التي كانت
 تتساهل بوجود الاديان في الاجيال الاولى للمسيح . وقد وصف
 هذا التساهل المؤرخ الشهير غيبن بكلام وجيز مفيد فصيح
 قال : « ان انواع العبادات على اختلافها كانت سائدة في العالم
 الروماني وكان الشعب يعتقدونها كلها صحيحة والفلاسفة يعتقدونها
 كلها خرافية والحكام رأوها كلها نافعة مفيدة » . هذا كلام
 فيلسوف ومؤرخ مدقق . افتكروا به . وهكذا انتشر
 التساهل وجلب على الشعب ليس فقط السلام والراحة بل

الاتلاف الديني والجامعة المدنية فالحاكم هنا رأى في الديانات المختلفة شيئاً مفيداً وقال في نفسه فلندعهم يختلفون ما دام اختلافهم يسبب غبطتنا وسعادتنا ويؤيد سلطتنا ويعظم شوكتنا ويرفع مجدنا .

والدولة العثمانية تتساهل مع النصارى كي تبقيهم اذلاء شاكرين ولروئسائهم مطيعين ولسلطتها خاضعين !

قد برهنت لكم كيف الدولة تتساهل مع النصارى ولا اظن احداً منكم يشك في تساهل المسلمين معنا ولكن عجباً كيف ان النصارى لا يتساهلون بعضهم مع بعض . الاجانب يتساهلون معنا ونحن لا نتساهل مع اخواننا في الوطن الواحد ولا نواري اختلافاتنا عند مصلحة امتنا ولا نتناسى ضعفائنا عند محبة وطننا ونجاحه ولربما قال بعض اللاهوتيين : كيف نتساهل مع من لا صحة لدينهم ولا حق في معتقدهم فاقول : ان التساهل مبني على التناقض والخلاف في صحة من ادعى الصحة وبوحي من ادعى الوحي ولو لم يكن ذلك لما تساهلت الحكومة مع الطوائف المخالفة لمذهبها لان الغاية القصوى من غايات الحكومة المتعددة هي ان تحامي عن كل مبدأ صحيح وتكفل لكل رجل حرية القول والفعل اذا لم تمس حرية غيره . فلو تأكدت الحكومة ان الدين الفلاني هو الدين الصحيح لما كانت تساهلت مع بقية الاديان ولا اجازت ممارسة دين يخالف هذا الدين الصحيح الا

لغاية سياسية كما ذكرت ولكن لما كان الخلاف سائداً والتناقض
شائعاً والحكومة المدنية تهتم بسياسة تناقض كل من رؤساء الأديان
يدعي صحة دينه ضاع صواب الشاعر في وضوئه اقوالهم فانشد
قائلاً :

« في اللادقية ضجة ما بين احمد والمسيح
هذا بناقوس يدق وذا بماذنة يصبح
كل يعظم دينه ياليت شعري ما الصحيح »

الله لا يفضل امة على امة ولا طائفة على طائفة الله لم يصطف
له في الارض شعباً خاصاً من حيث انه ذرية لها حق الانتماء الى
اختيار الله لها دون غيرها وما يقرأ في التوراة من تفضيل الاسرائيليين
على غيرهم فلكون عبادة الاصنام والمنحوتات وسائر المخلوقات
هي من خرافات الدين فلوتر كهاقوم من المغضوب عليهم كما في التوراة
وساروا بحسب الناموس الطبيعي لكانوا كالاسرائيليين الذين استلموا
الوصايا اذ الوصايا العشر كلها طبيعية يفهم ضرورتها العقل المتنور
ويغلط من يفهم اختيار الله للاسرائيليين انه اختارهم ليعضدهم
ويهديهم دون غيرهم فلو كان هذا هو المفهوم لبقيت عجائبه فيهم
بعد مجيء المسيح ايضاً . ولكن عدل الله ارفع من ان يحصر
خلاصه بذرية دون غيرها ولذلك قال في الانجيل الطاهر اذهبوا
وبشروا كل الامم . ان من سار حسب الشرائع الطبيعية فعمل
الخير وابتعد عن الشر كما يرشده عقله ولم يتوصل الى معرفة الدين

الحقيقي فانه لا يهلك لان الله رؤوف ورافته لا منتهى لها ولذلك
اقول مع محمد (صلعم) ما الناس الا امة واحدة . هذه آية منزلة
وهي عين الحكمة التي اوحاها الله لاوليائه . ما الناس إلا امة
واحدة . افتكروا فيها . انها لا آية فلسفية سامية وما الدين
التوحيدي الا دين واحد فكلنا نتحد بالرب و كلنا نعبد الهاً واحداً
قلت ان التساهل مبني على الخلاف وادعاء الحق للذين قد
يكونان اوصلا الشبطين الى الشك في كل شي . فقالوا عن كل
امر « لا ندري » وهم اللاادرية المسخور بهم لانهم يقولون لا
ندري عما هو حقيقة مدركة لا لانهم يقرون بقصورهم عن ادراك
مسائل شتى وحقائق فوق العقل ففي مثل هذه الحال تفتخر العلماء
والحكماء بقولهم لا ندري جواباً عن المسائل التي تفوق مداركهم
والكنوه الالهية التي يعجز عن تحديدها العقل البشري . فلم
نتعصب ولم نستبد ما دمنا نتذبذب من ضعفنا عن البحث في
امور دينية كثيرة لم يصل العقل اليها . من قال لا ادري جواباً
عن مسألة لا علم له بها فقد برهن عن صحة عقله . وسلامة ذوقه .
وحسن رأيه . وعمق حكمته . وثاقب فطنته .

وقول القائل لا ادري كما قال العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي
خير من ان يقال له اخطأت وقد عد ذلك من جملة ما اثر ذوي العلم
وادلة كماله فيهم حتى ان السيوطي عقد باباً في كتاب من
مؤلفاته في من سئل من العلماء عن شي . وقال لا ادري فذكر

عدة من مشاهيرهم كالاصمعي وابن دريد والافخش وابي حاتم
 وغيرهم من اهل هذه الطبقة . قال الزعفراني : كنت يوماً بحضرة
 ابي العباس الشعب فسئل عن شي . فقال لا ادري فقال له بعض
 من حضر اتقول لا ادري واليك تضرب كبار الابل واليك الرحلة
 من كل بلد ؟ فقال : لو كان لأمك تمر بقدر لا ادري لاستغنت .
 وسئل الشعبي عن مسألة فقال : لا ادري . فقبل له : فبأي شي .
 تأخذ رزق السلطان ؟ فقال : لا قول فيما لا ادري لا ادري .
 ويقرب من ذلك ما حكاه بعض علماء العصر من الفرنسيين قال :
 ان احدي خواتين الاشراف تصدت يوماً لاحد مشاهير العلماء في
 مجلس حافل فقالت له : أمطر يكون بعد الهلال ام صحو ؟ فقال
 لا ادري . قالت اذا ما علة اتصال الغيث في هذا العام ؟ قال :
 هذا مما لا نعلمه . قالت : اتظان سكان المشتري يكونون على
 خلقنا ؟ قال ايتها السيدة اني لا اعلم شيئاً عن ذلك . قالت :
 يا عجباً فلم يتبحر المرء في العلم اذا ؟ قال ليقول احياناً انني لا
 اعلم شيئاً .

فلنتساهل اذا في الدين اذا اننا لاندرى والذي يدعي المعرفة
 هو هو الذي لا يدري بانه لا يدري بل يخبط في الامور خبط
 عشوا . فليبق كل على دينه اذا دله عقله على صحته بعد التنور
 الكافي والترفع عن الاهواء ولا ينتظرن احد رؤية دين غير
 مستصوب بتمامه كما يرى الحقائق الرياضية والعلمية مثلاً مما هو

مستصوب بتمامه .

ولتجمعنا الوطنية اذا فرقنا الدين والله لا يريد التفريق

لا تأخذوا كلامي على غير مأخذه ولا تحملوه على غير محمله
وتقذفوا عليّ لحق ظاهر بكلمة باطلة فتقولوا وا أسفاه على من لا
يعرف الدين الصحيح فان قلت ذلك فانا انشد معكم قائلاً اسفأ على
العالم بأسره ما اكثر الضلال فيه . واصغوا اذا شتمت لاقس عليكم
رويا رأيتها ذات ليلة وكنت قبل ذهابي الى الفراش اترصد النجوم
والكواكب واستطلع طلعة البدر تحدجني السماء بعينها الزرقاء
واتأمل في ما رصعتها به يد القدير من الدراري الزاهرة كالمصابيح
الباهرة . حدث لي ذلك لما كنت في جبل لبنان الجبل العزيز
الذي كثرت فيه الخرافات وتعددت بين سكانه البسطاء المذاهب
والديانات . الجبل الذي ترى في اكثر جهاته الشمامسة والكنائس
والأديار والقلاانس . الجبل الذي ابتزت خيراته الكثيرة رؤساء
الدين والدنيا وضاعت بين كيس هذا وجراب ذاك . وملك
ارزاقه الرهبانيات العديدة الوطنية والاجنبية وفي مقدمتها
الرهبانية اليسوعية .

كنت في تلك الليلة اتأمل في الكواكب والبدر والثريا
ودرب التبان التي تدعى ايضاً نهر المجرة وقد شبهتها بدرب
التساهل على الارض لانها بيضاء نقية تسري بها النجوم في
مناطقها لا تلتطم فهن موتلفات مفترقات لا تتساقط منها الشهب

ولا تتنافر اجرامها في دورانها .

فلكثرة تأملي في الخالق والعزة الالهية في تلك الليلة البهية
 حلمت باني - صعدت الى السماء حياً في مركبة من نار - ولما
 دخلت تلك الجنة الالهية التي يعجز عن وصفها بيان الانسان
 رأيت هناك عرشاً مرتفعاً عظيماً يأخذ بالابصار لشدة تألقه ولمعانه .
 ورأيت امام ذلك العرش اربعة رجال منتصبين ممثلين امام الديان
 العظيم كل منهم يرشق الآخر بنظرة الغضب والبغض فسألت
 احد الملائكة عنهم فاجابني قائلاً :

ان هؤلاء هم ممثلوا اديان العالم في السماء فهذا سفير المسيحية .
 وذاك سفير الاسلام . وهذا سفير البوذية . وذاك سفير اليهودية .
 فقلت : وماذا يبتغون من العزة الالهية ؟ فقال : قد اقلقوا راحة
 الملائكة وسكان هذه الديار بخصوصاتهم واختلافاتهم المتواصلة
 وجاؤوا الان يستغيثون رب السماوات والارض . وبعد ان
 تشاغبوا وتشاكسوا واوشك ان يفضي بهم الامر الى القتال وكل
 يتهم الآخر بالكذب والبهتان نظر الديان العظيم اليهم برأفة
 وحنان وقال : كلكم يا بني صادقون - كلكم صادقون .

قلت في بدء خطابي يجب علينا ان لا نجيز ما لا يستصوب
 بتمامه ان يفرق بيننا ويشتت شملنا ويقسمنا على انفسنا كوننا
 امة ضعيفة صغيرة نحتاج الى التناصر والتعاون غاية الاحتياج ولم
 اقل ذلك الا بعد ان رأيت كيف اخذ الدين منا كل مأخذ فنخلطه

بكل اشغالنا ونتخذة حجة بكل اعمالنا فالتجارة عندنا تجارة دينية والجمعيات جمعيات دينية والنزل (اللوكندات) نزل دينية والبقال بقال ديني وقس على ذلك وهذا الذي يبعثنا على الانقسام الذي يسببه التعصب الديني الذميم .

فلنتناس الديانة في التجارة ولننبد التجارة في الاجتماعات السياسية والادبية ولنسجد لرَبنا ولنمجده (اذا كان لنا رب غير المال) مفترقين في المعابد والكنائس فقط اذا انها شيدت لهذه الغاية واني لاعجب من التناقض الذي يخالط اعمالنا وعقائدنا فمن وجه نقول ان الدين هبط من وراء الغيوم وهو مقدس ومن وجه آخر نستخدم الدين لتنفيذ ما ربنا الدنيئة فنسلب منه القداسة ونفزع عنه الاحترام بادخالنا اياه الدوائر المدنية من تجارية وسياسية وادبية .

هل اوحى الدين ليقينا من الفاقة ويكفل لنا المسرة واللذة في هذا العالم ؟

هل اوحى الدين لنتخذة عضداً لنا بتحقيق امانينا الدنيئة وابتغاء الاشياء الزمنية التي لا حد لها ؟

هل اوحى الدين ليساعدنا على الجشع والطمع والتعامل على ابناؤنا جنسنا والازدراء ؟

هل اوحى الدين ليكون سبباً اولاً للخصام والشقاق والقتال ؟
هل اوحى الدين لتسلح به فئة من الناس ضد فئة وتستخدمه

كسيف تسله على كل من لا يقر لها بالسلطة الوهمية ؟
 هل اوحى الدين لتأسيس الدواوين التفتيشية التي تألفت في
 رومية واسبانيا والتي اربعت العالم بظلمها واستبدادها وجرائمها
 الفظيعة ؟

هل وجد الدين لبعضهم وسيلة لافساد الهيئة البشرية ؟
 هل وجد الدين كي يستخدمه الرؤساء آلة نافعة لتنفيذ ما ربههم
 اخصومية وغاياتهم الشخصية ؟
 هل وجد الدين كي يتعصب به خدمة الاديان ويستأثروا
 بالسلطة المسلوبة فيظلموا العباد ويضطهدوا من خالفهم في الرأي
 ويحتقروا من هو اعظم منهم علماً وفلسفة وعقلاً ؟
 هل وجد الدين كي يفسده ونصلحه ونغيره ونقلبه بطناً
 لظهر ؟ كلا ثم كلا ثم كلا .

لو نظر الله عز وجل كما ينظر البشر الى نتيجة وحيه لما كان
 تعذب وتنازل ليكلم موسى وعيسى ومحمداً صلواته عليهم جميعاً .
 ولو نظر ايضاً الى ان عاقبة الدين الذي انزله ستكون الاضطهاد
 والطرده والحروب والشقاق والخصومة لكان ابقاه عنده في السماء
 ولكن الله الله اعلم .

الدين اماموحي واما غير موحي . اما مقدس واما غير مقدس
 فاذا كان موحي ومقدساً فلا يحق لنا ان نتخذه واسطة لتحسين
 اشغالنا التجارية . وتنفيذ غاياتنا الشخصية . فنلحق بامتنا الضرر

الجسيم . اذ اننا نكون حجر عثرة في سبيل الجامعة التي يجب ان
تجمعنا كسوريين ونحن بحاجة كلية الى الجامعة الآن . قلت
واقول ذلك مراراً . واما اذا كان الدين غير موحى وغير مقدس
فارى من وجه الحكمة ان لا نتمسك الا بالجيد منه وننبذ
الباقي ظهرياً نبذ النواة ولكن الدين مقدس ولذلك يقدم له
الشعب الاحترام ومنه ما قدسته العادات التي مكنها الزمان
وثبتتها الممارسة وكفى بذلك قداسة تفرض علينا الاحترام والتوقير
والاعتبار .

لماذا اذا نستخف بالدين ونتخذه كالعوبة نلتهي بها في
الشوارع والحوانيت . نحن باخراجنا الدين من الكنائس لغاية
عالمية نذله ونجدف عليه . ومن التعصب الممقوت ان نميز كل
حانوت وكل بيت تجارة وكل ادارة او كل جمعية بدين مخصوص
فنقول هذا التاجر ماروني وذاك الطبيب ارثوذكسي وهذا
الصحافي كاثوليكي وما شا كل ذلك . ما هذه الحالة التي وصلنا
اليها . اينقصنا شي . الا ان نضيف الى اسمائنا اسماء طوائفنا ونقول
زيد الماروني وعمر الارثوذكسي ومحمد المسلم . فتشوا معي لا ريبكم
كيف تنقسم تجارنا وجرائدنا ونزلنا واطباؤنا وجمعياتنا . اولاً
عندنا التجار المارونيون والتجار الارثوذكسيون والتجار
الكاثوليكيون والتجار البروتستانتيون . واي من هؤلاء التجار
المستقيمين يبيع سلعة وسبحة ودبابيسه لقديسينا المكرمين .

أيتعامل التاجر الارثوذكسي مع مار ميري ومار نقولا؟ أيتعامل
صديقنا الماروني مع ايونا مار مارون؟ وعندنا الجرائد المارونية
والجرائد الكاثوليكية والجرائد الارثوذكسية. وعندنا المطاعم
المارونية والمطاعم الارثوذكسية والمطاعم الكاثوليكية والمطاعم
البروتستانية. واي منهم نزل طعامها من السما؟ وهل يريد
القديسون ان نمجدهم بالكعبه والمهريسه والمجدره؟ وعندنا
الجمعيات الخيرية المارونية والارثوذكسية والكاثوليكية وما
ضرهم لو كانت كلها جمعية واحدة - جمعية خيرية سورية؟
ونار ان نفخت بها اضاءات ولكن انت تنفخ في رماذ
لقد اسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي
وهذه الحالة تعتور كل اعمالنا واشغالنا وحرافنا
متى تروى الشقاكات الدينية ويداس التعصب تحت نعالم
المدنية.

متى نؤلف جمعية التساهل ونبني كنيسة التساهل ونشيد
مدرسة التساهل ونؤسس جريدة التساهل ونفتح محل التساهل
ولو كندة التساهل وتصير اعمالنا كلها تساهلاً بتساهل. اي متى
تشمّلنا هذه الحالة السعيدة؟

انا الآن اقترح على اصحاب جرائدنا العربية في الشفر خصوصاً
وفي العالم العربي عموماً اذا كان صوتي هذا الضعيف يصل
اليهم ان ينشروا على صفحات جرائدهم الغراء اعلاّناً باحرف

ضخمة كبيرة عن التساهل الديني وانه يعطى بلا ثمن ومن اراد ان يقتنيه ويعمل به فليقرع باب ضميره فهو البائع وهو الشاري . هو الواهب وهو الموهوب . ولو كنت ذا قدرة مالية لنشرت هذا الاعلان على نفقتي فيسدي الحساب الله يوم الغنيمة . يوم لا تجزى نفس عن نفس شيئاً . فلنتساهل اذاً . فلننشر اعلان التساهل . التساهل ايها الشيوخ الاجلاء . التساهل ايها الشبان الادباء . التساهل ايها الصحافيون والاطباء . التساهل ايها التجار والروثاء . التساهل ايها السوريون الانجباء . التساهل ! لو كان لي الف لسان ولو تكلمت من الان الى يوم الدين لما عييت من تكرار وترديد هذه اللفظة العذبة السهلة اللطيفة . لفظه كرهتها الاجيال المتوسطة وكلف بها الجيل التاسع عشر . لفظه عززتها الجمهورية في هذا الجيل . لفظه انفتحت لها قلوب المتمدنين المخلصين لابناء جنسهم وتأهلت بها الضمائر الحرة والعقول الصحيحة . لفظه طيب شذاها يملاء الفضاء . وذكا عرفها ينعش الصدور . هي احسن واظرف والطف وابدع وامتن واجمل وارفع واسهل لفظه وجدت في معاجم اللغة

التساهل هو اساس التمدن الحديث وحجر زاوية الجامعة المدنية .

التساهل شدد عزم الاحرار فبرزت من عقولهم اسمى الافكار
التساهل اوجد الترقى والتقدم في كل فروع العلم والدين

والفلسفة .

التساهل أيد سلطة الضمير ومحق السلطة التي لم ينزل الله بها
من سلطان .

التساهل اعطى كل امرئ حقه فتمتع به ومارسه بجرية
واستقلال .

التساهل وضع حداً للاضطهادات الفظيعة وكسر السيف
الذي استخدمته الدول لاستئصال شأفة من خالفها بالمذهب .
التساهل اطفأ بنفسه القوي النار التي اضرها الاكليروس
لمحاربة اليهود والكفار .

التساهل جعل كل رجل صحيح العقل والجسم اهلاً للوظائف
في الدولة واهلاً للانتخاب .

التساهل قوَّض عرش التعصب وبدوَّ جحافل الجور
والعسف الدينية .

التساهل قال للكنيسة انت سلطانة وقال للانسان ايضاً انت
بذاتك سلطان . وكل له حدود واينما وجدت الحدود كانت الحقوق
واصبح الامر خارجاً عنها ظلماً والايها جوراً .

التساهل هو اللين والرفق والمسامحة وهو الحلم والسلام والحكمة
التساهل يحسم الاختلاف ويمهد سبل الائتلاف .

التساهل يزيد الانسان غبطة وسعادة ونجاحاً في الحياة الدنيا
ولا يضيره في الآخرة .

التساهل هو الطريق الوحيد الذي من تحته تجري الانهار
وعن يمينه ويساره الاشجار . طريق يدر لبناً وعسلاً . طريق
مستوي مستقيم لا يميل بنا عن روض السماء .

التساهل هو الدواء لكل داء ادبي او ديني او سياسي او علمي
التساهل اصيل لا تنكره التوراة ولا الانجيل ولا القرآن
ولتأكيد ذلك نذكر بعض الايات الانجيلية والقرآنية .

« من لطمك على خدك الايمن فحول له الايسر . ومن اراد
ان يخاصمك ويأخذ ثوبك فدع له رداك ايضاً . ومن سخرك
ميلاً فسر معه اثنين » (متى ٦٥ و ٤٠ و ٤١) « ان الله لا يجابي
بالوجوه فكل رجل من اي امة كان يصنع الخير ويكره الشر
فهو مقبول عند الله » . (بطرس الرسول)

افعلوا بالغير ما تريدون ان يفعله الغير بكم او كما قالها
كنفوشيوس الذي عاش قبل المسيح باربعمائة سنة « لا تفعلوا
بالغير ما لا تريدون ان يفعله الغير بكم » . وهذا الآية هي منزلة .
هي الآية الذهبية الفلسفية . هي كل الدين وكل الادب وكل
الشريعة وكل العدل وكل الفضيلة .

ان الذين آمنوا والذين هادوا والنجاري والصابئين من آمن
بالله واليوم الاخر وعمل صالحاً فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون . (سورة البقرة)

من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف

عليهم ولا هم يحزنون . (سورة هود)
 من اسلم وجهه لله وهو محسن . ما قال وهو ماروني او
 ارثوذكسي او مسيحي او يهودي او محمدي . قال : من اسلم
 وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم
 يحزنون . ما اجمل هذه الآية وما اشرف تلك الآية الذهبية التي
 مر ذكرها . ان هاتين الآيتين عظيمتان . الواحدة منهما من
 الانجيل والثانية من القرآن . انهما منزلتان . ذهبيتان .
 فلسفيتان . اني اهبكم كل الكتب المقدسة بهاتين الآيتين .
 ادفع بالتي هي احسن السيئة (سورة المؤمنين) اليس هذا
 ضرباً من التساهل ؟

لا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن (سورة
 العنكبوت) ايستم من هذه الآية رائحة التعصب ؟
 التساهل اذن هو الناموس وهو الطريق وهو النور وهو
 معطي الحق وهو الحياة وهو روح الله . هو اول درجة في سلم
 العمران واخرها . هو الالف وهو اليا .
 التساهل هو الباب . ومن يدخل فيه لا يهلك . فلندخل اذا
 فلندخل ! فلندخل ! فلندخل !!!



المقالات

وصية فوءان باشا السياسية^(١)

قيل ان دخول الحقيقة قصور الملوك لمن اصعب الامور .
وهي حقيقة جديرة بالنظر . فلو تأملها الساسة العثمانيون والمصلحون
لكانوا يقلعون عن مخاطبة الحاكم في اصلاح شؤون الدولة . فالحاكم
لا يصلح . الحاكم يحكم . وعلى المحكومين اذا كان النير عليهم
ثقيلاً ان يخلعوه وينبذوه . على المحكومين اذا كان الحاكم ظالماً ان
يصلحوه او يابوه .

فالحاكم الظالم مظلوم مثل رعيته . وكفاه متاعب الحكم وعذابه
متى بدأ النير يتقلقل على رقاب العباد . لو كنت انت الحاكم ايها
القارى . المظلوم وجاهك وزيرك ذات يوم يقول : قد تخلّع النير
وتفكك يامولاي . فاذا تقول له اذا كنت لا تستطيع اصطناع
او ابتياع نير جديد ؟ اتامر به بان ينزع النير المخلع او يصلحه ؟ لا .
فانك تقول له : يصلحه وثبته في مكانه . وهذا هو الاصلاح
الذي يباشره الملوك والسلاطين هذا اذا كان يرجى منهم اصلاح .

(١) ترجمها الى العربية جميل بك معلوف وطبعت في مطبعة المنياظر

وجدير بنا ان نذكر ان الاصطلاحات التي جرت في الدول
 الاجنبية لم تكن الا نتيجة القسوة التي استخدمها الشعب نحو
 حاكمه . والشعب لا يلتجئ الى هذه الوسيلة الفعالة الا اذا افاق
 من سيئاته وتنسبه الى حقوقه وتهذب شعوره المدني . فبدل ان توجه
 الكلام في وصيئتنا السياسية اذا الى الحاكم لنعلمه بان الخير تخلف
 ويقتضي اصلاحه - بدل ان نبسط الكلام الى السلطان في كيفية
 تأييد وتعزيز دولة استبدادية كان الاجدر بنا ان نبسطه الى
 الشعب المظلوم فنريه بعض اسباب الظلم التي تورث البلاء والشقاء .
 ونهديه الى بعض الوسائل الفعالة التي تزيل هذه الاسباب .
 فلو وجه فؤاد باشا خطابه الى الامة لا الى حاكمها لو وجهه الى
 المظلوم لا الى الظالم لكان افاد حيث اجاد . لان رأي من يطاع
 يؤثر في الشعب الجاهل اكثر من رأي من لا يطاع . والافراد
 المستنيرون يشقون بكلام وزير فقته الحوادث وانارت العلوم
 فؤاده . لاسيما وفي هذه الوصية كلمته السياسية الاخيرة . وكلمة
 السياسي الاخيرة قلما تشوبها السياسة . وقد ادرك هو ذلك اذ
 قال : « ان الصوت الخارج من القبر لا يكون كاذباً » على انه
 ان لم يكن كاذباً فقد يكون مخطئاً . وقداسة الضريح لا تمنعنا
 من ان نشير الى هذا الخطأ . نشير اليه مع اجلالنا صاحب الوصية
 واعتبارنا وصيته كمجموعة آراء سياسية فيها الغث وفيها السمين .
 فاننا نحترم بعض السياسيين ولكننا لا نأمن احداً منهم . اما

الوصية اجمالاً ففيها دليل ناصع على اختبار صاحبها الواسع وحكمته
وعلى تعمقه في درس ما دق وخفي من الامور السياسية . وفيها
ايضاً من الاراء السديدة والحكم البليغة ما يسر ويدهش المتفلسفين
واليك شيئاً منها

« ان ترقيات جيراننا السريعة وتأخرنا الناتج عن اغلاط اجدادنا
غير المقصودة قد اوقعنا الان في مهلكة عظيمة لا يمكن الخلاص
من عاقبتها الوخيمة الا بقطع كل علاقة مع حالتنا السابقة والعمل
على تجديد قوى الدولة بالوسائط العصرية الحديثة »

وكيف يتسنى للفرد او للامة الانسلاخ عن الماضي . انها
لا حدى طرق الاصلاح ولكنها ليست بالاقرب والاسهل . بل
هي نتيجة لها مقدمات . وذروة ذات عقبات . فالانسلاخ عن
الماضي ليس بامر سهل بل يكون في الغالب مستحيلاً . واما
التخلص من « اغلاط اجدادنا غير المقصودة » فتلك مسألة اخرى
ومن هذه الاغلاط غلطة مدنية عظيمة بل خرافة سياسية وخيمة
لا نظنها تتسلط الى الابد على عقول الناس والامم . فان العلم
يزعزعها وان كانت متأصلة في الاجيال . والزمان يهددها وان
كانت راسخة كالجبال . وزيد بهذه الغلطة . بل هذه الخرافة .
الحكومة الملكية حيث الامة ومعظمها من الفقراء والبائسين تلزم
بمماش فرد عظيم فيها لا يتعيش ابداً في حياته فترضاه عليها ملكاً
وتعدله الصروح والقصور وتحيطه بالحجاب والحرس وتنفق عليه

ما ينيف على مئة او مئتي الف ذهباً كل عام فضلاً عما تنفقه على
ذريته وحواشيها . ومع ذلك فصاحب التاج والصولجان اليوم
قلما ينفع الامة وغالباً يرهقها . فهو اما خيال كملك الانكليز واما
مقلق كامبراطور المانيا واما ظالم ك.....

ولكنهم كلهم يظلمون متى استطاعوا الى الظلم سبيلاً .
فالحكومة الملكية غلطة من اغلاط الاجداد لا بد ان يصلحها
لعلم والزمان في كل مكان . وهناك غلطات اخرى ذكر صاحب
الوصية بعضها . فالماضي من هذا القبيل يا سيادي لا يتسلط الى
الابد على المستقبل . والتقاليد لا تستعبد الامم الى الابد . فان
القوى الكامنة في المستقبل الغير المحدود لا تقوى عليها سلطة
محدودة هي ابنة اربعمائة او الف عام . بل من المستحيل ان تخضع
الابدية لبضع ساعات زائلة . ونسبة القرن الى الابدية كنسبة
الساعة الى الالف عام . ففي المستقبل اذاً دول جديدة ورجال .
ومن خلال المستقبل ينظر الله بعين واحدة الى ذوي المحارث
وذوي التيجان .

اما الترقيات الحديثة التي يروم فؤاد باشا ادخالها الى الدولة
فانها في رأينا لا تكفي لتعزيزها واصلاح شؤونها . لان السكك
الحديدية والتلغرافات والتلفونات والقوات الكهربائية والبخارية
جميعها تريد الامة قوة ولكنها لا تريد ا عقلاً . تريد الملك مناعة
ولكنها لا تريد علماء . والامة اليوم الى نور العلم الصحيح افقر

منها الى نور الكهرباء . هي احوج الى التهذيب منها الى السلاح
 ولعمر الحق ان الامة المهذبة لامضى سلاحاً في يد الدولة . نحن
 الآن الى مدارس راقية وطنية افقر منا الى السكك الحديدية .
 واما اذا وضع حجر زاوية هذه المدرسة عند خطوط « السكة »
 فلا بأس بالاثنيين . واذا كان ذوو الامر يعاملوننا مثلما كان احد
 الامراء الاشحاء يعامل ذويه فيقول لهم : اليوم تأكلون اما لحمًا
 او عنباً . اختاروا احد الاثنيين . فجوابنا حاضر : امسكوا علينا
 البخار والكهرباء الان واسسوا لنا المدارس الوطنية . دعونا يسافر
 كما كان يسافر اجدادنا ولو فترة اخرى من الزمن . حكيم على حمار
 خير من حمار في السكة

لنعد الان الى الوصية فقد جاء فيها : « ولزيادة الايضاح
 اقول ان دولتكم العلية اذا لم يكن لها قوة انكلترا البحرية وقوة
 فرنسا العلمية وقوة روسيا العسكرية فلا يمكن سلامتها »
 فقوة فرنسا العلمية تكون لنا في مستقبل الزمن اذا
 تأسست في المملكة اليوم المدارس العمومية الوطنية المجانية
 الاجبارية وامتنع فيها تعليم الاديان لنتخلص رويداً رويداً من
 التعصب الديني الذميمة الذي لم يزل ينخر في عظام العظام والمستنيرين
 منا . وتأسس من الجامعات الدينية المتعددة جامعة وطنية عثمانية
 واحدة . عندئذ يصير لنا وطن ننتمي اليه . ونستمد من العلم
 قوة تساعدنا على ادخال الترقيات الحديثة الى بلادنا بواسطة

شركات وطنية لا شركات اجنبية . فتميز اذ ذاك الدولة مادياً
وادبياً وتتمكن قليلاً قليلاً من مساواة الروسية بجنديتها
وانكترا ببحريتها .

قلنا ان التعصب الديني الذميم لم يزل ينخر في عظام العظام
والمستبشرين من العثمانيين . واليك برهاناً على ذلك من نفس هذه
الوصية . فان صاحبها على ما هو من سعة الاختبار وغزارة العلم
ورجاحة العقل يظل متمسكاً بما يدعيه « اغلاط اجدادنا غير
المقصودة » وينسى مراراً تلك النفس الراقية فيه . فترينا نفسه
الفطرية ما يحاول ان يخفيه . فقد جاء في كلامه عن الدين الاسلامي
والدين المسيحي (وليته لم يطرق هذا الباب) ما يلي :

« ومهما بلغ عدد الزاعمين بان الدين الاسلامي هو الحاجز
دون ترقى هيئتنا الاجتماعية فانهم جميعهم في خطأ عظيم وضلال
مبين »

فالدين الاسلامي لتجرده عن قواعد سر الثالث والعصمة
قد رافق مجرى الترقيات الكونية »

ولسنا نحن من الزاعمين بان الدين الاسلامي هو الحاجز دون
ترقى الامة . ولكننا من الزاعمين بان السفسطة تستولي حتى على
عقول الوزراء . والشعوذة ابداً تستهويهم . فاذا كان سر الثالث
يؤخر في ترقى الامة ويضر في مصلحة الحكومة وجب ان تكون
حكومتنا العثمانية ارقى بدرجات من الحكومات المسيحية

لتجرد دينها الرسمي عن هذه الاشرار . واذا كان الدين الاسلامي قد رافق مجرى الترقيات الكونية كما يزعم صاحب الوصية فلم لا نرى لهذه الترقيات اثرًا في دولتنا العلية ؟ لا والله فاننا نحترم بعض السياسيين ولكننا لا نأمن احداً منهم . فانهم دائماً يوثرون الحقيقة الوقتية الزائلة على الحقيقة الدائمة الابدية . واذا كان الفرق بين الاثنتين غير باد للقارى اللبيب فكلمة ايسط نقول ان السياسي يستخرج دائماً من الحوادث والاحوال شيئاً من الحكمة السطحية ويدمغها بدمغة الحقيقة السامية . ولولا ذلك خلعت اقوال فؤاد باشا من التعصب والتناقض . وهل ممكن ان تتوحد كلمتنا وتتحد عناصر الدولة المختلفة اذا كان وزراؤنا يتعرضون لغير داع ويتعصبون ؟ خذ لك مثلاً آخر من هذا التعرض والتحامل . فان صاحب الوصية يشارك الفلاسفة في ذم الاكليروس ولكنه يبتعد عنهم منذداً حينما يتعرضون للدين الاسلامي .

أجل النظر فيما يلي :

« ويجب على الباب العالي ان لا يغمض الطرف عن المساعي التي ستبذل في سبيل اتحاد كنيسة الارمن والاروام وان يساعد جهده على انتشار المعتقدات الفلسفية بين التبعة المسيحية لانها ترفع عن عاتق بني البشر نفوذ الاكليروس . »

واما التبعة الاسلامية فهي بغنى عن مثل هذه المعتقدات ! نعوذ برب الناس من شر المنطق والقياس . فاذا كانت المعتقدات

الفلسفية تنفع البشر فلم يتمنى نشرها بين المسيحيين دون المسلمين؟ لا والله لا. اننا نذكر من المصلحين العثمانيين من كانت نيّاته انظف واثره من نيّات فؤاد باشا. فهو ضمناً يود لو ازالا الفلسفة الدين المسيحي. على ان الاعتقادات الفلسفية اما ان تكون مضرّة بالاديان واما ان تكون نافعة. فاذا كانت مضرّة فالدين المسيحي لا يستحقها وحده. واذا كانت نافعة فلا يجوز ان يحرم منها الدين الاسلامي. ارايت كيف ان الاقوال تسقط الرجال؟ هل اتضح لك ان بعض السياسيين لا يستحقون النعوت الشريفة التي ينعتهم بها الشعب الغافل. نحن نعلم وكل عاقل يعلم ما للاكليروس بل لرجال الدين على الاطلاق من النفوذ السيئ على الامة ولكننا لانقبل ان يقول لنا ذلك على سبيل التعصب سياسي يود اذلالنا. فاذا شار كنا اخواننا المسلمون في انتقاد الاكليروس فليذكروا دام فضلهم بان البطريرك والامام صنوان وان الشيخ والكاهن اخوان. والسلام



تركيما الجديدة وحقوق الانسان^(١)

الكتاب النفيس هو الذي تشعر وانت تطالع به بان نفس الكاتب تتنفس في سطوره وخلالها . هو الكتاب الذي لا تجد في صفحة من صفحاته شيئاً من جرائم القنوط . هو الكتاب الذي يجري دم الحياة الراقية في كلماته . ويشع نور الاخلاص من سطوره . وتتوفر فيه المادة التي تغذي النفس فتتعش فيها الامل وتحبي منها العزيمة والارادة . هو الكتاب الذي يولده العلم مقروناً بالاختبار . والحماسة مقرونة بالتفكر . والجرأة الادبية مقرونة بالحكمة . بل هو الكتاب الذي تتجلى فيه النفس البشرية والذكاء البشري والصناعة الكتابية في ارقى واجمل صفاتها . وان لم يكن كتاب صديقي جميل افندي معلوف من هذه الطبقة العليا فهو من اعلى طبقة دونها .

ولعمري ان الكتاب الذي ينجه العثمانيين في هذه الايام الى ان الامة العثمانية في بداية ثورة عظيمة . وان الثورة السلمية لا تغني عن الثورة العلمية شيئاً . وان التفرنج الحقيقي هو تمول لا تفرنج . وان التمدن كالهواء والنور مشاع لا حجة للفرنج فيه . وان مدارسنا الاكليريكية والسلطانية هي المستنقعات في ارض

(١) تركيما الجديدة وحقوق الانسان تأليف جميل بك معلوف - طبع

في مطبعة المناظر بسان باولو برازيل

الحرية العثمانية الجديدة . وان الحكومة الدستورية ومجلس الامة
 لا يسلمان من الخطر ان لم تصلح حالة العثمانيين الاجتماعية باصلاح
 العائلة وحالتهم الادبية باصلاح المدارس . وان من الخطأ ان تضع
 حجراً واحداً من البناء الجديد قبل ان يسقط البناء القديم
 باسره . وان استناد الشرقيين على الدين في احوالهم العالمية يقضي
 على مستقبلهم السياسي والاجتماعي والادبي . وان الحرية متى حلت
 ارضاً لا تسمح ببقاء نصف اهلها عبيداً بينما النصف الآخر احرار
 وان الحكومة التي تستعبد رعيتها يسلم الله عليها حكومة اقوى
 منها فتستعبدها (وما ظالم الا ويبلى باظلم) وان الثورة التي تنفع
 حقاً شعوب الارض هي التي يقوم بها المصلحون على المبادئ
 الفاسدة لا التي يقوم بها السياسيون على الحكومة - الكتاب
 الذي يصدر بمثل هذه الحقائق هو حري بالاعتبار . الكتاب الذي
 فيه مثل هذه المنبهات والمقويات لامة دوختها المظالم السياسية
 وخررتها الخرافات الدينية هو حقاً جدير بان يطالعه كل عثماني .
 على ان المؤلف حياً بوطنه يفادي في بعض المواطن
 بحكمته . فقد يطلق العنان لحماسته في مضمار ضيق فيضطر وقد
 بدت له الهاوية ان يقف غير موفق دفعة واحدة . وهذا هو السبب
 فيما جاء في بعض الفصول من ترزع الرأي والتضعع . فاننا
 لانستصوب البحث الآن فيما قد يعود على الامة وهي
 لم تكف تقف على رجليها بالنكسة والبلاء . اذما الفائدة

اليوم من البحث في استقلال الولايات مثلاً والحكومة الرئيسية لم تتخلص بعد من سيطرة دول أوروبا ومدخلاتها . وما الفائدة من البحث في اقفال المدارس الاجنبية وابطال الامتيازات الاوروبية ونحن لم نزل عاجزين . وان تحريض الشعب على مثل هذه الامور يحدث في البلاد من القلاقل والفتن ما قد يلحق طفل الحرية منها لطمه واحدة فتقتله وتقضي علينا بالخضوع لنير أوروبا . واما نشر ما يدعوه صديقي جميل افندي الديانة الوطنية اي ديانة حب الوطن فهذا وحده يخلصنا رويداً رويداً من النفوذ الاجنبي . من هذه المدارس الاكليريكية وهذه الامتيازات الاوروبية . فمدارس (آبائنا) اليسوعيين مثلاً تضطر ان تقفل ابوابها متى تأسست ازاها مدارس وطنية كاملة العدة . مستوفية الشروط .

والبوسطات الاوروبية تمنح مأموريها عطلة على الدوام متى رأت ان دخلها لا يقوم بنفقاتهم . والامتيازات الاجنبية تسقط دون ان نسقط او نقوم عليها متى نبغ فينا رجال يستطيعون ان يقوموا باعمال اصحاب هذه الامتيازات حق القيام . وكل ذلك ممكن يا اسيادي متى أصلحت داخلية الحكومة وظهرت فيها نتيجة اعمال الاختصاصيين الاوروبيين المشتغلين فيها الان . كل ذلك ممكن متى بدأت الحكومة تؤثر المقتدرين والمتمولين والنابعين من رعيته على امثالهم من الاجانب .

حينما تنمو في الامة عاطفة الوطنية يقوم الوطنيون اذا بما
تطلبه حياتنا الجديدة وامتنا الحرة من المشاريع الخطيرة . وبكامة
اخرى حينما تنشر فيها ديانة حب الوطن - الديانة الجامعة المقدسة -
يضعف نفوذ الاجانب ويتلاشى . وتسقط الامتيازات الاجنبية .
كما سقطت دولتنا الاستبدادية . بطريقة هادئة سليمة .
هذا ما احب ان الفت اليه نظر صديقي المؤلف لانني
رايته في مثل هذه المواقف يفادي بحكمته حبا بوطنه . ولعمري
هي ضحية ثمينة في كل زمان ومكان وفي اي سبيل كان .



فاتحة مباركة

جاء في النطق الشاهاني كما دعت الصحافة . او خطاب العرش
 كما يدعى عند الانكليز . او خطاب الحاكم والوزراء . كما هي الحقيقة .
 ان السبب في فض مجلس النواب الاول هو ان الامة العثمانية لم
 تكن اذ ذاك اهلاً لحكومة نيابية . وهو عذر سياسي لا عذر
 حقيقي . وان روح مجلسنا الاول لتتميز غيظاً لدى استماعها هذا
 الكلام . وكاننا بها تقول : الكذب محذور في الدين ولكنه مباح
 في السياسة . وكيف لا تكون الامة اهلاً لحكومة نيابية
 ومفاوضات المجلس في ذلك الحين ادهشت حتى الاوروبيين !
 فضلاً عن ان الحاكم بامرہ يستطيع ان يفسد ويستبد . بل الحاكم
 المطلق العادل . الحاكم المحب رعيته العامل خير امته . يستطيع
 ان يقلب حكومته الاستبدادية الى حكومة نيابية في ليلة واحدة
 اذا شاءت جلالته . ولا ينجم عن مثل هذا الانقلاب السريع ما
 يضر بالامة او يقلقها . لان من اطاع مليكه وهو ظالم يعبد
 لا شك وهو عادل . وما حدث في الامة اليابانية وحكومتها يوئيد
 من هذا القبيل حجتنا . وانا لنكتفي بهذه الاشارة الى ما جاء
 في الخطاب عن عدم اهلية الامة . لان ما مضى قد مضى ومجلس
 النواب قد عاد ليحيا ان شاء الله
 على ان في الخطاب مأخذاً آخر جديراً بالانتقاد . وعلى

النواب والصحافيين ان يتيقظوا لمثل هذه التمويهات السياسية .
وايذكروا دام فضلهم بان حكومتنا النيابية اليوم لم تزل مكنتفة
بظل حكومتنا بالامس المظلم الكثيف . والى ان تخرج من هذا
الظل وتنفض عنها غبار السياسة القديمة سيبقى التمويه سائداً
بين العرش والنواب او بين الحكومة والامة . وانها والله لفاتحة
غير حميدة ونحن في فجر حياة جديدة . لان الحكومة التي تخرج
من باب العسف والظلم فتدخل توأ باب التمويه والمواربة لا
تكون قد حققت آمال الامة والوطن . اذاً ماذا عسى ان يراد في
ما جاء في خطاب العرش من ان السبب في اعادة مجلس النواب
هو ان الامة والسعي في الثلاثين سنة الاخيرة لنشر المعارف كان
متواصلاً اصبحت الان اهلاً لان تحكيم نفسها بنفسها . فهل يراد
بكلام العرش ان الفضل للحكومة في نشر المعارف والعلوم في
الامة ؟ او ان بين الوزراء من يحسن المجون ويجد حتى في هذا
الوقت فرصة للمداعبة ؟

ومن يجهل ان الحكومة الماضية سعت سعياً جميلاً لنشر
العلوم والمعارف بواسطة المراقبة ؟ ومن ينكر ان يد الجاسوسية
ساعدت في زرع بذور الحرية ؟ ومن لا يعلم بان نور الحق
والمساواة كان ينبعث على المابين من قعر البوسفور . وان اشعة
الدستور كانت تنعكس على العرش من منفي الاحرار ومن
نجومهم الآفلة ؟ اجل ان حكومتنا في الامس كانت تروض الامة

وتوحيدها لتكون اهلاً لحكومة نيابية . فالمرقبة والجانوسية
استاذاً الامة الماهران . والبوسفور والمنق هما الفلق والقضيب .
والحمد لله قد تحررنا بعد ان تكسرت رؤوسنا وارجلنا .

ان حكومتنا النيابية اذاً لهي من مكارم حكومتنا
الاستبدادية . شيء والله جميل . فمن يقول الآن ان العوسج لا
يشمر ثمراً طيباً ؟ بل ان دستورنا هو من مكارم « مالك رقاب
العباد » لا نتيجة سعي الاحرار والجنود لرفع النير عن رقاب
العباد . فان كان كذلك فلم لم يتكرر موابه قبل ان جمع نيازي
جنوده واستل انور حسامه ؟

لا يا ايها الاخوان لا يحق ان يقال ذلك في هذا الزمان .
واعلموا اننا في زمن لا يرد فيه تيار العلم مهما اشتدت المراقبة
ولا يطفأ فيه مصباح الحرية مهما تعاظم الظلم والاستبداد . وان
ما جاءنا من امواج هذا التيار ومن نور هذا المصباح فمن روح
الزمان جاء لا من ارباب العرش والسيجان . وقد تحررت الامة
العثمانية الان وحبطت مساعي من حاول دفع هذا التيار العظيم
واطفاء هذا المصباح الكريم . ومن المغالطات ان ظلم الحكومة
الماضية واضطهادها الاحرار وضغطها على المطبوعات الخ تدعى
كلها في خطاب العرش « السعي لنشر المعارف » فاذا كانت الصحافة
لا تحتج على مثل هذا الادعاء والنواب لا يتحذرون من مثل
هذا التمويه فالتنا في نور الدستور والحرية لم تزل كما كانت في

ظلام الظلم والفساد .

اشرنا في بدء كلامنا الى ان النطق الشاهاني كتب بموازرة
 الوزراء او على الاقل بموازرة الصدر الاعظم وكل خبير في شؤون
 الحكومات الملكية يعلم بان خطاب الملك لا يكون من قلم
 واحد ورأي واحد بل هو غالباً نتيجة جلسات عديدة ومفاوضات
 طويلة بين الحاكم ووزرائه . واذا فرضنا ان الملك يستقل في عمله
 هذا كما يفعل امبراطور المانيا مثلاً فلا بد ان يطلع على كلامه
 الوزير الاكبر قبل ان يلفظه فيغير وينقح فيه ليوافق الاحوال .
 وخطاب العرش الى مجلس نواب الامة العثمانية لا يستثنى من هذه
 القاعدة . وفي الوزراء من هو من جمعية الاتحاد والترقي على ما
 نظن او فيهم على الاقل من اذا اصدر منشوراً باسم الجمعية يردفه
 بلفظة « المقدسة » فهل بدأت زعماء الاحزاب بالمجاملة والمخاتلة
 يا ترى . لا سمح الله . ولكن العبارة هذه اي « السعي في نشر
 المعارف » هي مقصودة لا شك والمقصود فيها ايها الاخوان
 التمويه والمواربة . وانصار جمعية الاتحاد والترقي في مجلس
 الوكلاء يعرفون ذلك ويغضون الطرف ساكتين . وما ضرهم لو
 اعطوا الان كل ذي فضل فضله . وتحروا الصدق في اول خطاب
 من خطب العرش لمجلس الامة . ما ضرهم لو اهلوا في الاقل
 ذكر امر لا يستطيع ان يوارب احد فيه دون ان يشعر بنفور في
 نفسه من نفسه اذا لم نقل باستياء الناس طراً .

ومجلس النواب لم يستحسن هذا التمويه على ما ظهر لنا .
وكنا نود لو عبر عن استيائه بطريقة ايجابية لاسلبية . فقد انبأنا
البرقيات انه عند الفراغ من تلاوة الخطاب لبث النواب صامتين
ولم يفه احد منهم بذلك الدعاء المعروف الذي طالما رددته الامة في
الزمن الماضي . وهذا على ما نظن هو جواب النواب على موارد
العرش وتمويهاته . على اننا كنا نود لو فاه احد الاعضاء على الأثر
بكلمة احتجاج وجيزة . ولكن اذا اظهر المجلس استيائه بطريقة
سلبية فعلى الصحافة وهي خير صلة بين المجلس والامة ان تظهر
ذلك بطريقة ايجابية . على الصحافة ان تبرهن الان على انها
متنبهة متيقظة . وان من حقوقها ان تطالب المجلس والعرش
بحقوق الامة . وان ترد الفضل في نشر المعارف والعلوم الى مكانه
وذويه .



العفو العالي

جاء في الارادة السنوية التي قرأها علي جواد باشكاتب المابين .
في مجلس النواب ان « قد صدر العفو العالي عن العساكر الذين
اجتمعوا في هذا النهار (يوم سقوط وزارة الاتحاديين) فلا
يسألون عما فعلوا » وقد علمت الامة جمعا ان من نتائج اجتماع
بل هياج العساكر المتمردة قتل ناظر العديلية وعضو من اعضاء
مجلس الامة . فما معنى العفو ياترى وماذا عسى ان يكون وراء
هذا التسامح الشاهاني الجميل .

ان الاعتداء على احد النواب فضلاً عن قتله . يعد اعتداء
على المجلس كله بل على الحرية والدستور بل على الامة بأسرها .
ولكن من يعفو عن انصار الجهل والتعصب اليوم وان عدوا
بالالوف يعفو غداً عن انصار النور والحرية . اليس كذلك ؟
وان مراحم « جلاله مولانا » لاوسع من السماء . فاصدقاء الدستور
واعداؤه - الاحرار والحنونة كلهم - يقيمون في ظلها الظليل
آمنين . اليس كذلك ؟

ولكن الريب خلة في بعض الناس . ولا غرو اذا وجد في
المجلس من ارتاب بحسن نيات جلاله مولاه فقام يعترض على ما
جاء في الارادة السنوية فيما يختص باجتماع العساكر . يوم قتل ناظم
باشا والامير محمد ارسلان . ولا فرق بين ان يصدر المرتابون

احتجاجهم من المجلس او من الممكن المختبئين فيه . فان مجلس النواب في مثل هذه الايام هو حيث يجتمع او بالحري حيث يختبيء النواب .

ومن جميل اخلاق الشرقيين وبالاخص الاتراك ان الشدة وان انستهم واجباتهم المهمة لا تنسيهم فروض اللياقة والمجاملة . فقد قرأنا في صحف الاخبار رسالة تعزية من الرئيس الجديد للمجلس الى والد فقيد الوطن والحرية . ورسالة اخرى على شكلها من الصدر الاعظم فقلت وهل هذا ياترى اهم ما توجهه عليهم الوطنية اليوم ؟ هل هذا ما يتطلبه منهم الدستور وتفرضه عليهم اليمين التي اقسموها ؟ انزال الى الابد عبيد المجاملة والمصانعة . أمثل هذه الدمعة الكاذبة تسر الامة ويتعزى آل الفقيد ؟ اما كان الاجدر بالنواب ان يبعثوا الى المايين كلمة احتجاج على ما جاء في الارادة السنية ؟ فالمثل - ان العفو من شيم الكرام - لا يصح دائماً غداً يهيج الجنود ثانية فيقتلون آخر من النواب فتصدر الارادة السنية بالعفو عن القاتلين . وكما قتل احد اعضاء المجلس يفر هارباً من يخاف على جلده ولا يخاف على شرفه ويمينه . فلا يمضي والحال هذه شهر واحد حتى تخلو كراسي النواب كلها فينعب فوقها ثانية غراب التهقير والظلم . ويقهقه تحتها شيطان المكر والخيانة . أمثل هؤلاء النواب تنتصر الحرية ويتعزز الدستور ؟ في عهد لويس السادس عشر قبل انفجار بركان الثورة بسنة

واحدة رفض البرلمان في باريس ان يصدق على قرض اقترحه ناظر
 المالية سداً لعوز الملك والحكومة . فجاء في اليوم التالي لويس
 بذاته وامر البرلمان ان يصدق على هذا القرض فأبى ثانية وقام
 دِسبرينيل فاغلاظ الكلام لجلالته وصرح بحقوق البرلمان على
 الحكومة . فخرج الملك ووزيره محتدمين غيظاً وبعد ايام جاء
 الضابط داغوست ومعه فريق من الجند وبيده امر بالقاء القبض
 على دِسبرينيل فدخل المجلس وقال : جنّت بامر الملك . فقابله
 الاعضاء ساكتين واجمين ثم قال : وبما اني لا اعرف احدكم
 دِسبرينيل اطلب اليه ان يقف لان بيدي امرآ . . . فقاطعه
 الاعضاء قائلين : كلنا هذا الرجل . ولم يقف منهم احد . فخرج
 داغوست وجنوده يومئذ مثلما خرج مولاه ووزير مولاه في
 اليوم السابق .

فان كانت هذه وطنيتهم بل هذه حماستهم وجرأتهم في امر
 يعد طفيفاً فاذا ياترى يفعلون لو قتل الجنود احد اخوانهم على باب
 المجلس ؟ ايسمعون العفو عن القاتلين ساكتين ؟ ايكثفون بتعزية
 اقاربه ويوئجلون البر بيمينهم الى ان يزول الخطر ؟ ائتمن حرمة
 الدستور وكرامة مجلس الامة . ايعتدى على الحرية وانصارها .
 ايهرق دم النواب على باب مجلس النواب ظلماً وعدواناً فيفر
 الجبناء من الاعضاء هاربين ويظل البااقون منهم ساكتين ؟ اليس
 الاعتداء على احدهم اعتداء عليهم اجمعين .

امر لويس السادس عشر بنفي دسبرينيل احد اعضاء البرلمان
فاجابه البرلمان بصوت حي : كلنا هذا الرجل . غمست حراب
فريق من العسكر بدم الامير محمد ارسلان فعفا السلطان عن
الجانين وسكت النواب عن عفو السلطان . وكانى بهم يشكرون
الله على سلامة دمائهم الكريمة ! وهذا ايها الاخوان الفرق بين
الشرقيين اليوم والغربيين في مجالسهم النيابية وتجاه ملوكهم .
ان الحراب التي صرعت الامير محمد ارسلان حاولت صرع
الحرية والدستور . بل هي حراب اشربت سم الخيانة من اعلى
مورد في الحكومة . فاذكروا هذا ايها الناس ولا تنسوه ايها
النواب .



الحرية وحدها لا توحدنا

اني ممن يقولون بالطريقة البطيئة الثابتة في اصلاح الاسم
والناس . اني ممن يرتأون ان لا خلاص للشعوب من الجهل
والجمود والحمول الا بالتهذيب والتربية . وما الثورة عندي
سوى امشولة صغيرة في تهذيب النفس وثقيف الاخلاق . لاننا
اذا تعلمنا ان نشور على المستبدين والظالمين من اسيادنا نتعلم ان
نشور حتى على انفسنا متى كنا من هؤلاء الظالمين والمستبدين .
وهذا لعمرى اهم من ذلك . ولكننا لا نحسن نحن السوريين لا
هذا ولا ذلك . نحن قوم تعددت في بلادنا المدارس الاجنبية
وكثر فينا التقليد والادعاء . كنا بالامس في مقدمة الشعوب
بالخنوع للضيم والاستسلام للهوان . وصرنا اليوم في مقدمة طائفة
من الناس لا يجر كون في سبيل الامة سوى القصبه واللسان .
ومتى كثر في الامة المرشدون والناصحون المتربعون بدست
السيادة فبشر تلك الامة بالهلاك . بدل ان تنصحنى ساعدني .
بدل ان ترشدني سر امامي . اذا ما الفرق ياترى بين منافق يناهض
حاكماً مستبداً وليس يندد باللصوص والقتلة ؟ ما الفرق ياترى
بين متعصب يقول ما اجملك وما اسمك ايها الحرية وشيطان
يتغنى بمدح الملائكة ؟ ان الاثنين عندي سواء .
على انني اجد بوناً شاسعاً بين عالم لا يعلم ان العلم انما وجد

لنفع الناس لا لاثارة الفتن في الناس . ورجل عاش جاهلاً ومات
جاهلاً وكان من آل الفضل في الناس . واني والله لافضل هذا
الجاهل الصادق على ذاك العالم المنافق . اني لأؤثر النفس الصافية
الساذجة على نفس متفقهة لا تعرف من سبيل الحياة الا تلك
الموحلة المظلمة ولا من امانى الحياة الا تلك التي يجبل بها دود
الارض وتتغذى بسم الافاعي . اجل ياخي ان جاهلاً صالحاً او
اسكافاً حراً صادقاً خيراً من الامراء والروساء والعلماء الذين لا
يعرفون من الحق والعدل ومن الخير والاحسان ومن الاخلاص
والفضل الا اسماءها .

اننا اليوم الى التهذيب لاجوج منا الى السكك الحديدية
والتلفونات . ان حاجتنا الى العلم الصحيح الذي يهذب الانفس
ويرقي العقول ويشقف الاخلاق لاشد منها الى العلوم اللغوية
والفقهية واللاهوتية والخنفشارية . والتهذيب الصحيح ينبغي
ان يعم عناصر الامة باسرها على السواء ليأتي بفائدة تذكر للامة .
وعندي ان اشد الويل والبلاء انما هو في بيت يعيش تحت سقفه
الجاهل والعالم معاً . ان هذا البيت وطننا ايها الاخوان . وعناصر
الامة فيه كفراد تنافرت اذواقهم واخلاقهم وتعددت صبغاتهم
القومية والدينية وتباينت فيهم درجات المدارك والعلوم . فاذا
ارتقى عنصر من عناصر الامة دون سواه يلتجئ غالباً الى المهاجرة
اذا ظلت العناصر المنحطة واقفة في طريق ترقيه كالسد في وجه

المياه . اما الاية . ورب فئة صغيرة غلبت فئة كبيرة . فالتاريخ لا يشهد على صحتها الا مرة في الالف . لان الطبيعة لا تسمح ان تكون المعجزات فيها مبدلة . والغالب المبتذل هو ان الاكثرية ان كانت في المجالس النيابية او في الطبيعة تتغلب على الاقلية . على حكومتنا الدستورية اذاً ان تنتبه الى هذا الامر الخطير ان كانت ترجو ان ترتقي الامة وتحيا . على حكومتنا ان تباشر تأسيس المدارس الوطنية العمومية الاجبارية المجانية المجردة عن كل صبغة دينية . وان كانت لا تباشر قريباً فلا ترجو يا اخا الحماسة كبير خير من هذا الانقلاب . ومن هذا الدستور . ومن هذا المجلس النيابي .

اظنك تعلم ايها القارىء العزيز ان لا غاية لي من الكتابة والخطابة والتأليف سوى نشر المبادئ الحرة والتعاليم السديدة في الامة . وان من تجرد عن المآرب السياسية وعن الاغراض الشخصية المادية يرسل كلمته في الناس دون ان يراعي خاطر احد من الناس . منذ خمس سنوات عدت الى وطني من العالم الجديد وحتى الآن ما عرفت من الروساء المدنيين والدينيين الا من احب ان يعرفني او من جمعني به التقادير . قضيت هذه المدة كلها بعيداً عن الرئاسة والسياسة فبان لي ان في طاقة الانسان ان يعيش سعيداً دون ان يتزلف من السياسيين والامراء او عمال الحكومة والروساء . نعم عشت محروماً هذا الشرف العظيم

فكانت همومي الادبية ومتاعبي السياسية اقل من هموم سواي
من الادباء .

عسى ان يعذر القراء مني هذه الكلمة الشخصية . فما قلتها
الا لابني عليها قاعدة عمومية هي جديرة باعتبار كل من زاول
صناعة الكتابة واحب ان ينفع الناس بعلمه وادبه . ان التقرب
من العظام وبالاخص اصحاب السيادة منهم يفقد الكاتب غالباً
مزية الحرية والاستقلال . هذه هي القاعدة العمومية التي قلت
من اجلها كلمتي الشخصية . تكلمت عن نفسي وما كنت لافعل
ذلك في غير هذه الاحوال لا وكد لكم ايها الاخوان ان الاراء
التي ابدتها والمبادئ التي اناادي بها انما هي ثمرة علم لا يعرف
التفرقة والتحزب ولا يفرق بين الجنسيات والاديان .

احب ان اردد بعد هذا التمهيد كلمتي السابقة عن المدارس
الوطنية واردفها بكلمة ليست باقل منها اهمية وهي « صبيحة في
واد ان ذهبت اليوم مع الريح تذهب غداً بالآوتاد » ان الامة
العثمانية لا تصير حقاً امة واحدة متحدة راقية الا اذا تأسست في
البلاد المدارس الوطنية العثمانية المجانية الاجبارية وتلقن فيها
العلوم ابناء المسلمين وابناء الدهريين وابناء المسيحيين وابناء
اليهود معاً . بقي علي ان اقول كلمتي الاخرى . اننا لا نصير امة
راقية حرة بكل معنى الكلمتين الامتي صار ادباء المسيحيين
وادباء المسلمين يتباحثون في اي موضوع دينياً كان او سياسياً

او اجتماعياً دون ان يشير ذلك في شعب الملتين غبار الجهل وسموم
 التعصب . بل اذا كان لا يحق للمسلم ان ينتقد المسيحيين في
 شؤنهم العمومية والاجتماعية ولا للمسيحي ان ينتقد المسلمين
 فلسنا والله بامة واحدة وليس وطننا بذاك الوطن المجيد الجامع
 الذي يعبد في هيكله كل ابنائه على اختلاف المذاهب والعناصر
 والجنسيات . بل اذا كنا لانتجرد عن صبغتنا الدينية في شؤننا
 الوطنية والاجتماعية فحريتنا ايها الناس كلمة مقولة . واخواننا
 لفظة غير معقولة . والمساواة عندنا قاعدة باطلة مرذولة .
 نعم يا سيدي . اذا كان اخواننا المسلمون لا يساعدوننا في
 نشر التعاليم الحرة في الامة . اذا كانوا لا يؤيدون قولاً وفعلاً
 اراء اباة الحرية والدستور . اذا كانوا لا يرددون صدى احرار
 المغرب وعلماؤه ومن ينحو اليوم في الشرق نحوهم من الاحرار
 الاصفياء والعلماء فعبثاً يحاول ابطال الدستور والحرية تجديد حياة
 الامة والمسلمون العنصر الاساسي في الامة . واما انتصار الجيش
 فلا مجد عظيم فيه ان لم يتبعه انتصار في العلم والتهذيب . لان
 الجيش وان دُمر معاقل الحكومة الاستبدادية فنصره لا يزيل
 الجهل الذي أسست عليه تلك الحكومة . وما دام الجهل سائداً
 في الامة . سيان عندي ان كانت الحكومة فردية استبدادية او
 حرة نيابية . ان لم تباشر الحكومة في تدمير حصون الجهل اذاً
 يعود الجهل فيدمر حصون الحكومة . ولا يتم لها ذلك الا في

تأسيس المدارس العمومية الوطنية مجردة عن كل صبغة دينية
 حيث اولاد المسلمين والمسيحيين واليهود والدهريين يتلقنون
 كلهم العلوم على استاذ مدني واحد وتحت سقف واحد ومن كتاب
 واحد وعلى طريقة وطنية واحدة . وما هذه ببدعة انادي بها .
 فان مكتب الصناعة في هذه المدينة أسس على هذه الطريقة
 الوطنية وحبذا لو احبته اليوم الحكومة فيكون مثالا للمدارس
 العثمانية العمومية الاجبارية . وعبثاً نحاول توحيد العناصر
 المتعددة في الامة اذا كان التعليم لا يوحد على هذه الطريقة
 الوطنية الجامعة الحرة .

جلست مرة في قهوة من البحر اتفرج على الناس يسبحون .
 تأملتهم في تلك الحالة الطبيعية وقد تجردوا عما يميز بعضهم عن
 بعض وقلت في نفسي : اين المسلم الآن واين اليهودي واين الكافر
 واين المسيحي ؟ رأيتهم يسبحون كلهم في بحر واحد تحت سماء
 واحدة وهم لا يستنكفون من امواج تلعب حول قلوبهم كأنها
 قلب واحد وتغسل اجسامهم كأنها كلها جسم واحد . فقلت في نفسي
 متى ياترى تصير عقولنا مرنة نشيطة قوية كاجسامنا ؟ متى تصير
 انفسنا كامواج هذا البحر فلا تخضع الا لناموس واحد هو ناموس
 الله ؟ او في الاقل متى تصير متساهلة كابداننا فتسبح في بحر
 الاداب الواحد وتحت سماء العلوم الواحدة دون تنافر ودون شقاق
 نظرت الى البحر وانا جالس في تلك القهوة فرأيت هنالك

المدرعات الحربية الاوروبية ومنها المدرعتان الافرنسيتان
« لافريته » و « فكتور هوغو » فكرهت الاقامة في بلاد لم تزل
تحتاج فيها الى مثل هذه المظاهر الكاذبة . وهل كنا نشاهد
المدرعات الاوروبية بصفة رسمية في بحرنا لو تأسست عندنا
المدارس العمومية الوطنية منذ ثلاثين سنة ؟ هل كانت تلتطخ
المذابح تاريخنا فتلحق بنا وبوطننا العار والشنار لو وجد منذ
ثلاثين سنة التعليم فنمت في قلوب العثمانيين عاطفة وطنية شاملة
وانتشر روح التساهل الديني في الامة ؟

لا يا اخوتي . انا لا احب ان ارى هذه المدرعات على شطوط
بلادنا . انا لا احب ان يلتجئ احد عناصر الامة الى دولة اوروبية
انا لا احب ان ارى « فكتور هوغو » في بحر بيروت بل احب
ان اشاهد روح فكتور هوغو متجلية في ارواح ابناء بيروت .
لا احب ان ارى « الحقيقة » على شواطئ سوريا بل احب ان
اراهها في قلوب ابناء سوريا . احب ان تحمينا المبادئ السديدة
لا المدافع والمدرعات . احب ان يحمينا العلم الخالص من الغش .
والوطنية المجردة من كل مصلحة دينية



رجل الشعب

قد مضت السنة الاولى من عهد الدستور وما ولدت حرية اللبنانيين الا الكلام . وماذا ياترى يلد الكلام وبالاخص ما كان كاذباً فاسداً مبرقشاً من الكلام ؟ قد انقضت السنة الاولى من عهدنا الجديد ولم يظهر فينا رجل جري ، حر صادق . رجل عزوم ثبتت سكوت يعمل من اجل هذا الوطن عملاً واحداً صغيراً دون ان يستشير فيه كئسه او منصبه السياسي . دون ان يلتجئ الى القناصل . دون ان يستعين ببكركي التي اصبح هيكلها في جمعية الاتحاد والترقي في بيروت . ببكركي وبطريد كما اليوم فيلسوف تركي يحسن العبادة والصلاة مثلما يحسن العدل في السياسة والاحكام . ولكن هؤلاء اللبنانيين الذين يسجدون لشفيعتهم وهي في زي تركي اوروبي جديد وينادون في الجبل بالمحافظة على امتيازات لبنان هؤلاء يمدفون في قلوبهم اذا صلوا ويموهون وينافقون حينما سقطوا وحلوا . هؤلاء لا يستحقون بركتك يا صديقي البطريك . هؤلاء قوم مدغلون . والمدغل والمؤمن لا يجتمعان .

وما قولك ايها الرفيق العزيز ! اتظننا نجد رجل الشعب بينهم ؟ اتظن البحث عنه في هذا المكان يجدينا نفعاً ؟ ألا تظننا نصرف زيتنا سدى في مثل هذه الظلمات ؟ احمل سراجك اذاً واتبعني .

من هيكل الحرية العثماني الى الهيكل اللبناني فرسخ او
 فرسخان. تعال اذاً علماً نفوزها بضالتنا المنشودة . ادخل وشرح
 نظرك في هذا المعبد الجليل الذي شيده قبل الدستور البناءون .
 وهؤلاء البناءون لا يتعشقون الا كليروس كما تعلم على انهم لا
 يكرهون الثوب الكهنوتي الذي يلبسونه في دور الرئاسة دائماً
 وفي دور السياسة عند مسيس الحاجة . هؤلاء الاحرار الكرام
 وفيهم من الشبان العالم والمصلح والحكيم وفيهم ايضاً من يحتاجون
 الى كثير من العلم والاصلاح والحكمة يعبدون الحرية فوق كل
 شيء ويفادون اليوم وغداً بكل لبنان من اجلها . فان كان فيهم
 من يستحق ان يكون زعيم الشعب الا تظنه يلبس الارجوان
 ويغطي اذنيه بقلنسوة من حرير اذا تبوأ غداً كرسي الزعامة . دعنا
 من المجاز . الا تظنه وان كان رجل الشعب اسماً يكون فعالاً
 رجل البنائين ؟ هل انت من رأينا . او لا تشق بهؤلاء الشبان
 المصلحين ؟ تعال اذاً نطلب رجل الشعب بين شيوخ لبنان واعيانه
 نحن الان في كنيسة الجامعة اللبنانية وفيها هيكل كبير في
 الصدر لشفيهم « مار نظام » له المجد . وهيكلان صغيران الى
 جانبيه للحرية والاخاء . وما قولك بهذا المجمع الجامع اللامع .
 هؤلاء هم اسيادنا اللبنانيون الصادقون . هؤلاء هم الوطنيون
 الطاهرون الذين يبيعون املاكهم كلها ليحافظوا ان اقتضى الامر
 على امتيازات لبنان . هؤلاء هم الابطال الذين يشترون النظام

الجليل الثمين بدمائهم ودماء اولادهم ونسائهم . ايريبك قولنا ؟
 الا ترى فيهم الامير والشيخ والوجيه والصحافي والكاهن
 و « الكرخنجي » ؟ ومن من هو لا ؟ لا يبذل النفس والنفيس
 من اجل « مار نظام » العزيز ؟ من منهم لا يحمل « المارتيني » اذا
 اقتضى الامر دفاعاً عن وطنه وحباً بامتيازات وطنه ؟ الا تظن
 هذا « الكرخنجي » يصلح ان يكون رجل الشعب وهو اقرب
 الناس الى الشعب واعرفهم به واكثرهم انصافاً له ؟ او لا تظن ان
 هذا الخبر المفضل وهو اشدهم شغفاً بحب الشعب الذي يظن الربة
 في رأسه طوقاً مقدساً من سيدة حريصة او هذا الامير
 ما بالك تضحك ؟ الا ترى رجل الشعب بين هؤلاء الاسياد
 الغطاريف ؟ اتظنهم كلهم مثل اخوانهم الذين يعبدون سيدة
 بكركي في هيكل الاتحاد والترقي ؟ - اتبعني اذا .
 هذي هي سراي الحكومة . تريد ان تدخل ؟ اتقول لا ؟
 وانا من رأيك . لماذا نضيع وقتنا وزيتنا سدى ؟ اشعل السراج
 اذا وتقدم .

أتخيفك هذه الظلمات . نحن الان في قرى لبنان وقد خيم
 الليل والسكوت . اما هذا النور الضئيل الذي تشاهده في كل
 قرية فهو نور الجمعيات التي تضم اليها اليوم كل من استفاق
 مؤخرآ من نومه وشففي قليلاً من مرضه . فهل تظننا نجد رجل
 الشعب فيها واعضاؤها على الحالة التي وصفناها ؟ امش اذا ولا

تأس . قد يكون رجل الشعب في حقوي هذا الفلاح صاحب
 العباة المرقعة . وقد يكون كامناً في احشاء تلك الفلاحة التي
 سلمت علينا . تباركت ثمرة بطنك ايها الاخت الفلاحة . وتبارك
 من يعرفها ويكرمها متى ظهرت في الناس لتقود وتهدي الناس .
 الوداع ايها الرفيق فقد صرفنا بعض الوقت والزيت في البحث
 عن رجل الشعب ولم نصرفه باطلاً .

اما الان فقد مضى العام على عهد الحرية عندنا واللبنانيون
 يجتمعون ويخطبون ويتباحثون ويتشاكون وينادون - بماذا ؟
 بلاشي . وينددون ويؤلفون الجمعيات والاحزاب والوفود .
 ويحلون العقد والمشكلات بالتمويه والمسايرة والوعود .

مضى عام على حريتنا ولم يمض معه شيء من خمولنا ومصانعنا
 ورخائنا . ومن شقاقنا وادعائنا وعبوديتنا . مضى العام الاول على
 الدستور واسبادنا الاحرار هم اسبادنا بالامس والشعب هو ذات
 الشعب المفلوج الضير الذي قضى حياته في ظلمات الجهل والعذاب .
 الشعب المفلوج الضير ماذا تنفعه الحرية والنفس فيه صماء .
 الشعب الضير المفلوج ماذا يفيدته قولك له « انا من الشعب انا
 رجل الشعب » . ان كنت من الشعب يا هذا فاسفي عليك . ان
 نفسك مفلوجة ضيرة . وان كنت رجل الشعب فبربك قل لنا
 كيف تعالج الفالج وكيف تداوي العماء . فان كان عندك دواء
 نافع فهاته . هاته باسم الله . داو هذا الشعب بل هذه الامة . داوها

شأت او لم تشاء . داوها وان اضطرك ذلك الى تقييدها ليلة
ونهاراً او سنة وسنتين لتشفى . داوها بالسيف ان كنت تتأكد
انها بالسيف تبرأ .

ان كنت رجل الشعب ايها الزعيم المحبوب . ان كنت واثقاً
ان العناية الالهية اختصتك لتكون طبيب هذه الامة فلا تنتظر
من الصحافة شهادتها ولا من الحكومة فرمانها . ولا تنتظر ريثما
الناس يسمونك ويرشحونك وينتخبونك - وبعد ذلك
يرذلونك ..

ولكن قبل ان تنادي : « دواء للفالج دواء للعين » أرني ان
شئت ما في خرجك . ما هذه المراهم والنباتات ؟ أليست التي
يتاجر بها « المغربي » ذاك الذي درس الطب ثلاثين سنة في مغارة
دانيال ؟

ألا تعرف « المغربي » ؟ أما رأيته في زمانك راكباً كديشه
وصيدليته في الخرج وراءه ؟ أما سمعته ينادي : دواء للراس دواء
للعين ! ان اعشابك من اعشابه ايها الزعيم العزيز ومرهمك هي
نفس مرهمه . فالأصلح لك وللامة اذاً ان تبيع كديشك وترجع
الى بيتك .

تبغ وملح للفالج واعماء ! سبحان الهادي . أتظن يا زعيمي
المحنك المبنك ان زرع التبغ واستخراج الملح يشفيان فالج
النفس وعماها ؟ أتظن ان التبغ والملح يستحيلان نوراً وهداية

في قلوب اللبنانيين؟ أتظن ان المال في صندوق الحكومة يصلح
 الشئون اذا لم يكن في الحكومة من يعرف كيف يستخدم
 المال لخير الامة الادبي الروحي قبل خيرها المادي؟ رح في سبيلك
 ايها المداوي اللاوي وقبل ان تكرر هنا او تنسانا اذكر منا هذه
 الكلمة: خير لك ان تكون حملاً او سكافاً من ان تكون
 مشعوذاً.

ان بلانا ايها الاخوان من (مغاربة) السياسة الذين درسوا
 المداواة ثلاثين سنة في مغارة دانيال وخانيال وناققيال وشركاؤهم .
 ان بلانا من المصلحين الذين لا يصلحون انفسهم . ان بلانا من
 المشعوذين المدغلين الذين يسجدون في الهيكل التركي لسيدة
 بكركي . بلاء الشعب من اسياده الذين لم يزالوا يسخرونه
 ويرهقونه . بلاء الشعب من الذين اورثوا الشعب الفالج والعمى
 وجاءوا اليوم يتحجبون اليه ليداووه : دواء للفالج دواء للعين !
 ورب السموات ان كنت لا تطرد « المغربي » من بيتك يا اخي
 وترمي باعشابه الى النار تموت ولا شك مفلوجاً ضريراً .

من المبكيات المضحكات ان تسمع اليوم من يتساءلون :
 ومن ياترى يستحق ان يخلف رجل الشعب؟ هنيئاً لك يا رجل
 الشعب . فقد ارتحت في الاقل من المناذاة : دواء للفالج دواء للعين !
 ومن دانيال وخانيال وناققيال الذين لا يريدون ان تدواوي شعبك
 بغير المراهم الفاسدة والاعشاب السامة .

لا يا اصحابي لا يا سيادي . ان رجل الشعب الحقيقي لا
ينتخب ولا يعزل ولا يقاوم ولا يموت . ان روحه تظل حية
وعاملة في الامة بعد ان يقف نبضان قلبه . ان اعماله لا تموت اذا
غرست في قلب شعب حي قوي . اعصابه سليمة ونظره سليم .
ان اعمال الرجل العظيم كنهز يتدفق من اعالي الجبال في اودية
الهيئة الاجتماعية وسهولها . ولا يكاد يخف ماؤه او ينضب بعد
سنتين او بعد عصور طوال حتى يبعث الله رجلاً اخر عظيماً
فيحيي فيه الارواح التي تلاشت على ضفتي النهر الابدي . اليس
من المضحكات اذاً ان نتساءل : ومن ياترى يخلف رجل الشعب
وهل تظن ان الزعيم الثابت الحر الصادق ككتابة اكتبها بساعة او
بيوم فتقرأها وتفهمها بخمس دقائق ؟ ألا يخطر في بالك ان لو كان
صنع الرجال العظام امراً سهلاً لكان يلد في العالم رجل عظيم كل
يوم ؟ أتظن ان ارادتي وارادتك وارادة من هم اكبر مني ومنك .
قناصل كانوا او بطاركة . بل ارادة الملوك والسلاطين تجعل
« المغربي » حكماً والمشعوذ زعيماً ؟ أتظن ان في امكان الاحزاب
ان تصنع الزعماء كما يصنع الخراف اناة ثميناً او الصيقل درعاً متينة
اذا كنت تعتقد هذا الاعتقاد ولا تنبذه سريعاً نبذ النواة فسيرك
ومسير اتباعك وعبيدك الى الهلاك . اذا كنت لاتصرع اعتقادك
الفاسد يا اخي فاعتقادك يصرعك . اذا كنت تظن يا صاحب
السعادة بل يا صاحب الدولة بل يا صاحب الجلالة ان زعيم الناس

كانا من الفخار تصنعه كالفخاري بساعة واحدة وتكسره ان
 شئت بضربة واحدة فانت اما مخطىء واهم واما جاهل مكابر .
 وفي كلا الحالين لا خير فيك لوطنك او لنفسك لا في اقوالك
 ولا في اعمالك . الزعيم الحقيقي يامولاي هو من السماء ونصره
 وكسره في يد الله . ينبغي لك اذا ان تصلح عقيدتك قبل ان
 ترفع في سبيل الاصلاح عقيرتك . ينبغي لك ان تبيع كديشك
 وترمي بخرجك وعقايرك الى النار وتقرأ في كتاب الحكمة والزعامة
 على عالميال وصادقيال لا على ما كريال وناققيال .

ان لبنان اليوم لفي حاجة الى بطل حقيقي لا الى رجل او
 نصف رجل او ربع رجل او لا رجل يدعى زعيماً . نحن في حاجة
 الى من يستطيع ان يجمع شتات هذا المليون من ضعفاء بل من
 بوساء البشر . نحن في حاجة الى بطل يحكم هذه الامة ويهديها سواء
 السبيل . وهل تظن ان الطبيعة في لبنان تضن على ابنائه بمثل
 واشنطون او ابي بكر او كرمول ولو في شكل صغير ؟ يشهد
 تاريخنا انها لم تضن علينا بالابطال في الماضي . وتشهد سماوتنا وتشهد
 شمسنا انها لا تضن بهم في المستقبل .

وعندنا ان مثل هذا الزعيم العظيم يباشر اصلاح الجيش
 فيضاعفه وينظمه قبل كل شيء . ثم ينظر الى الشعب المفلوج
 الضرير فيداويه بغير زرع التبغ واستخراج الملح وتآليف الجمعيات
 في القرى . لا ننكر ان هذه كلها لازمة مفيدة . ولكن الا لازم

اهم . وعلى الازم تتوقف اليوم حياتنا . ان ابا بكرنا ياسيدي
الامير لا يصبح كالمغاربة : دواء للفالج دواء للعين . لكنه يقبض
المبضع بيد من حديد ويشتغل باسم الله . ان واشنطوننا بعد ان
ينظم جيشه ينظر في البلاد الى من كثرت اموالهم وقلت اعمالهم
كالرهبان مثلاً فيحاسبهم بعدل وانصاف ويبيني بما يأخذ منهم
المدارس العمومية في كل القرى . والمدارس الزراعية الصناعية
في كل الاقضية . هذا هو دواء الطبيب الصادق الماهر لفالج
النفس وعمائها .

مثل هذا الرجل اذا دخل مجلس الادارة ورأى الاعضاء
يدخنون الار كيلة وينعسون يطردهم قائلاً : « الى بيوتكم . دخنوا
هناك وناموا الى الابد . واذا كان اللبنانيون لا ينتخبون من
لا يدخن ساعة العمل وينام فانا انتخبه انا اعينه . واذا رأيتنه
يدخن بعد ذلك في المجلس اكسر والله الار كيلة على رأسه »
بمثل هذه اللهجة كان كرمول يكلم مجلس نواب الانكليز .
ولما رأى ذات يوم ان قد استفحل امرهم معه اخرج ساعته من
جيبه ورمى بها الى الارض قائلاً : « ان لم تستقيموا احطمكم
مثل هذه الساعة » وبعدئذ طردهم وقال « اريد في المجلس اناساً
صادقين عادلين »

مثل هذا الزعيم اذا تصدى له اولئك الافاضل المحنكون
المبنكون الذين ترسلهم الدول الاوروبية ليتعلموا عندنا السياسة

الشرقية بل ليكذبوا عنها في الدوائر الرسمية يقول لهم : وبأي حق تتداخلون في الصغير والكبير من شؤوننا ؟ فاذا ابرز القناصل اوامر وزرائهم يقول لاولئك الذوات الكبار : « لما سالت دماونا في الماضي آستنا حكوماتكم وضعدت جروحنا بهذا الذي ندعوه نظام لبنان . حمتنا لتحمي نفسها من حرب اوروبية طاحنة . وفي كل حال نحن لها ولكم شاكرون . اما الان وقد برى الجرح فلم نعد في حاجة الى العصابة ولا الى عناية هؤلاء المرضين قناصلكم . بل قد صرنا رجالاً اصحاء نأبي الضيم والحيف مثلكم ونسألكم ان تعاملونا كما تريدون ان تعاملوا »

هذا هو رجل الشعب . هذا هو بطل الامة . ولا تظن ايها القارىء ان في امكان الصحافة ان توجد مثل هذا الرجل . لا . ولا الاحزاب ولا القناصل ولا البطارية ولا الشعب يوجد . البطل هو ابن السموات والارض ولا يوجد في الناس كما قلنا الا الله . فان كنت ياخي اللبناني تشعر ان في جلدك شيئاً من البطل ولا فرق عندي ان غطأت جلدك هذا بعباءة مرقعة او « بالفراك الاتوركا » او بالحرير والارجوان ان كنت واثقاً متأكداً ان في قلبك شيئاً من نور الله اظهر باسم الله واحكمني وسخرني في سبيل الحق والوطن . اظهر فلا تظل طويلاً مجهولاً . اذا كانت تلك الروح العظيمة داخل جلدك وذلك النور الالهي في قلبك يتبعك الناس ويطيعونك بل يوثقونك ويعبدونك .

نعم يا اخوتي نعم يا سيادي . اني اؤكد ان السماوات والارض
في لبنان لا تضن علينا ببطل لبناني في المستقبل . ولكن متى
يظهر واين ؟ ان نبوءتي لا تتجاوز هذا الحد .

والسلام عليك يا ابنة لبنان .

تباركت ثمرة بطنك ايتها الاخلة الفلاحية . تباركت في
احسانك جرثومة الابطال . وتبارك من يراها ويعرفها ويمجدها متى
ظهرت في الناس لتقود وتهدي الناس .



الشعر المنشود

يدعى هذا النوع من الشعر الجديد *Vers libres* بالفرنسية وبالانكليزية *Free verse* اي الشعر الحر او بالحري المطلق . وهو آخر ما اتصل اليه الارتقاء الشعري عند الافرنج وبالاخص عند الاميركيين والانكليز . فملن وشكسبير اطلقا الشعر الانكليزي من قيود القافية وولت وتمن *Walt Witman* الاميركي اطلقه من قيود العروض كالاوزان الاصطلاحية والابجدة العرفية . على ان لهذا الشعر المطلق وزناً جديداً مخصوصاً وقد تجي القصيدة فيه من اجز عديدة متنوعة .

وولت وتمن هو مخترع هذه الطريقة وحامل لوائها . وقد انضم تحت لوائه بعد موته كثير من شعراء اوروبا العصريين . وفي الولايات المتحدة اليوم جمعيات «وتمنية» ينضم اليها فريق كبير من الادباء المغالين بحاسن شعره الجليلية المتخلقين باخلاقه الديمقراطية المشيعين لفلسفته الاميركية . اذ ان شعره لاتنحصر مزاياه بقالبه الغريب الجديد فقط بل فيه من الفلسفة والتأور ما هو اغرب واجد

الثورة

ويومها القطوب العصيب . وليلها المنير العجيب
 ونجمها الافل يحدج بعينه الرقيب .
 وصوت فوضاها الرهيب . من هتاف ولب ونحيب . وزئير
 وعندلة ونعيب

• وطغاة الزمان يسامون نارا . واخياره يحملون الصليب .
 • ويل يومئذ للظالمين . للمستكبرين والمفسدين .
 • هو يوم من السنين . بل ساعة من يوم الدين
 • ويل يومئذ للظالمين .

* * *

• هي الثورة ويومها العبوس الرهيب .
 الوية كالشقيق تموج . تثير البعيد . تنير القريب
 • وطبول تردد صدى نشيد عجيب .
 • وابواق تنادي كل سميع بحيب .
 • وشرر عيون القوم يرمي باللهيب .
 • ونار تسأل هل من مزيد . وسيف يحيب . وهول يشيب .
 • ويل يومئذ للظالمين . ويل لهم من كل مرید مهين
 • طلاب للحق عنيد مدين . ويل للمستعزين والمستأمنين .
 • هي ساعة للظالمين .

هي الثورة وابناؤها الحفاة . وصبيانها المسترجلون العتاة .
 ورجالها الاشداء . الاباة . ونسائها المتنمرات .
 وخطباؤها وخطيباتها الفصيحات . وزعمائها وزعيماتها المتمردات
 ويل يومئذ للظالمين .

انذرهم باغلال وسعير . بقنابل تفجر ويوم عسير .
 يوم لا ينهون ولا يأملون . ولا يطلقون فيهربون
 ويل يومئذ للظالمين .

* * *

الم يأتيهم حديث الرومان .
 يوم شغف قيصر^(١) بالارجوان . ومد يده الى الصولجان .
 فاذا هو صريع احرار ذلك الزمان . قتيل مهان كثير الطعان .
 ويل يومئذ للظالمين .

* * *

الم نقم عليهم قصص باريس .
 يوم ذك البستيل وزفت المحابيس . يوم قطع رأس الملك لويس^(٢) .
 وحزت رقاب كبار الفرنسيين . وفر الطاغون من هول باريس .
 ويل يومئذ للظالمين .

* * *

(١) يريد يوليوس قيصر وروايته مشهورة (٢) لويس السادس عشر

ونبأ الانكليز .

يوم بايع القوم بياع الجمعة^(١) وقالوا هذا ولي عزيز .

يوم نادى الخمار بالناس والملك في حرز حر يز .

فاذا بالمتضعفين اشداء وشارل المليك ذليل نبينذ . بل على المشنقة يستعيد

ويل^١ يومئذ للظالمين . من كل متمرد متمرّد مدين .

ويل^٢ يومئذ للمفسدين . من نصر البنود الحمر المبين .

* * *

ونبأ العالم الجديد .

الم يروا لهيب الاتون في العالم الجديد . حيث يطرح كل جاز مر يد

حيث يحرق الارجوان وتذوب تيجان الحديد .

حيث تحرر العبيد . ويموت الناس من اجر هولاء السود المناكيد

حيث قام الاذل على الاعز . والوضيع على الجبار العنيد .

ويل^٣ يومئذ للظالمين . يوم يمتع الله المستعبدين .

ويطلق في الشعوب سلطان روح كمين . بل يضرم من ناره البراكين

بل يشير في الجموع روح الامين . روح كل زعيم صادق امين .

يوم ليرث المظلوم سيف الظالم الاثيم .

ويذيق المفسدين حرّ عذاب اليم . في هذه الارض لا في الجحيم .

ويل^٤ يومئذ للظالمين . من كل متمرد متمرّد مدين .

ويل^٥ يومئذ للمفسدين . من نصر البنود الحمر المبين .

(١) كرومويل وهو زعيم الثورة الانكليزية التي انتهت بمقتل شارل الاول

ريح سموم

ويربك القيوم . ما الذي تظنه يدوم ؟
صوت سمعته في الكروم . وقد مرت عليها ريح سموم . نجفت
الارض وعادت جزرة كثيرة الكلوم .
سقطت الجفان عن فسانلها وفزعت اوراقها الى الغيوم .
صوت صارخ في صفوف النجوم . ما الذي تظنه يدوم ؟

* * *

من صروح زاهية فخيمة . من رياض زاهرة كريمة . من بروج
شاهقة عظيمة . من معامل حديثة او قديمة . ما الذي
تظنه يدوم ؟

من انفاق منورة تحت الانهار . من ارتال فيها يدفعها الكهرباء .
او يجرها البخار . من بوارج ماخرات في البحار . من
اساطيل تنذر بالدمار . من معالم ومعاهد في الامصار .
ما الذي تظنه يدوم ؟

من انفاق تحت الاديم ملوؤها عجاجه . تنفثها وتشيرها القطر
الولاجه . من قباب بين السحاب وهاجه . ما الذي
تظنه يدوم ؟

من جسور فوق المياه جسيمة . من جزائر على المياه عظيمة . من

جبال تحت المياه قديمة . ما الذي تظنه يدوم ؟
 من سدود محكمة منيعة . من خليج كونتها الطبيعة . من ترع
 تولى بين البحار . وتجمع بين بعيد الاقطار والامصار .
 من خطوط حديدية تطوق الارض . من اسلاك برقية
 تطوي المسافات في الطول والعرض . ما الذي تظنه يدوم ؟
 من ابنية ذات الطبقات العشرين . من احياء في المدن الكبرى
 يأوي اليها جموع البائسين . من معابد وبيع لا اثر فيها
 للدين . من اصقاع لا صوت فيها للاحرار الصالحين .
 ما الذي تظنه يدوم ؟

من قصور مكتنفة برياض خضراء . من صروح الملوك والامراء .
 من دور الرؤساء والاغنياء . من اكواخ البوغاء
 والفقراء . ما الذي تظنه يدوم ؟

من شرائع وديساتير ونظامات . من تقاليد وعادات وخرافات .
 من اديان وعقائد وخزعبلات . من دول وممالك
 وحكومات . من احزاب وطوائف وجماعات . ما
 الذي تظنه يدوم ؟

صوت صارخ من وراء الغيوم . صوت ريح سموم . اي شي
 يدوم ؟

مهلاً مهلاً . انها كلها صالحة في ذاتها . انها كلها حسنة في وقتها .
 لكل شي . من العز والمجد اركان . لكل شي . من ابناء البطر

والاشرا اعوان . لكل شي . برهة من دهره الوستان
ساعة او عام او قرن من الزمان . الطويل من الدهر في عين الازل
والقصير سيان .
فلا تظنها الى الابد تدوم . لا وربك القيوم . مبدع الشمس
والنجوم .

الى حين يا اخي الى حين . كل ما في العالمين . اي ورب العالمين .
الى حين . وبعد فقل لي هل انت من الممتدين . هل
انت من القائلين السائلين . وبعد ذلك وبعد حين ؟
أما في زمانك تأملت المغاور في الصخور . فاذكر ان الامطار
والرياح تكونها . والامطار والرياح تهدمها .
ان كل ما هو محترم معبود . من اضاليل الزمان والجدود . يظل
في حرز حريز الى ان يظهر في الناس رجل عظيم عزيز .
بطل تجود به الايام . فيصرخ في وجه الائمة والحكام . صرخة ترددها
البحار والاكام . وهو قائم على المظالم البشرية . مناضل
عن الحقيقة والحرية . باذل مهجته في سبيل الانسانية .
اجل ان كل شي ، لحريز في موضعه حصين . الى ان يزلزله رجل
حصيف رشيد . او امرأة عظيمة ذات رأي سديد .
ومهما كانت حصونكم متينة منيعة . فساعة الزلزال والدمار شديدة
سريعة .

ساعتئذ يتحدث الر كبان في صنيع لأحد العظام جميل . او عمل
 لإحدى العظيما ت جليل .
 اجل ان كل شي . لحر يز في موضعه حصين الى ان يقف امام القوم رجل
 صالح ذو رأي سديد . حر فصيح عنيد . او امرأة
 صالحة ذات رأي سديد . حرة فصيحة لسانها من حديد .
 يومئذ يعلو صوت المطالب بحقوق المستضعفين المستذلين المستعبدين .
 صوت الامناء والامينات من زعماء وزعيمات على كل
 ظالم جبار مهين .

* * *

وبعد ان تلاشت رياح السموم . تلاها نسيم العليم الرحيم . فدخلت
 في اثره غابة من الصنوبر كثيفة الظلال . وسمعت من
 خلال الاغصان . صوت المحبة والمعروف والحنان .
 سمعت صوتاً يقول : ورب الاكوان . لا يدوم الا الاحسان
 والعرفان . لا يدوم الا السجايا الروحية الفريدة .
 سجايا النفس البشرية الخالدة .
 لا تدوم الا آثار النهضات الجليلة . وماثر الانفس السامية النبيلة .
 وما اسخف الجدل والمنطق والبرهان امام مشروع جليل . وما
 اوهن التعاليم الوضعية تجاه خطب جسيم . وما اوهى
 الاقوال والاراء اذا قوبلت بنظرة من رجل عظيم .
 او صادفت نفحة من نفحات حكيم .

عند ما يرفع مثل هذا البشر رأسه وصوته ولا فرق عندي رجلاً كان
 • او امرأة يقف دولاب الاعمال • ولا يبقى شي على حال •
 • عندئذ يبطل الجدال • وتنكسر شوكة المال • وتحشر الرجال •
 • وتكبر الآمال •

يومئذ تنقلب المجتمعات • وترتعد فرائص الطغاة الحفاة •
 يومئذ تنقلب العادات والعبادات • وتهب على الارض الذاريات
 • السافيات •

فيسأل السائل من وراء النجوم : اين مالكم ونفوذكم وشوكتكم •
 اين تقاليدكم وطرانقكم ولاهوتكم • اين شرانعكم وديانتكم •
 وديكوماتكم • اين حصونكم وصورحكم وسجونكم
 وجنودكم • اين مصانعكم ومعاهدكم • اين زخرفكم
 وسفاسفكم ؟

فقل ان هي الامدة من الدهر الوسنان • ساعة او عام او عصر
 • من الزمان •

قل ورب الاكوان • لا بقاء لما سوى الجد والعرفان • والمعروف
 • والحب والاحسان •

فهي هي الجبال الراسيات • وهي هي الحصون الواقيات • وهي
 • هي الباقيات الصالحات •

بلى ورب السماء والنجوم • لا يفلح المستكبر الظلوم • ولن تدوم الا
 • اثار النفوس الزكية السامية • ووجه ربك الحي القيوم •

تحت الرماد وفوق النجوم

- تحت الرماد وفوق النجوم . ما لا يرى من حياة تدوم -
رأيت فضيلة اليوم تجر اذيال الفجر والتبجح في شارع الرياء وفي
ازقة الورع والقداسة فكرهتها نفسي .
ورأيت ما يسميه الناس رذيلة تقضي حياتها في ظلمات السكون
والكتمان . وراء ستار الخمول والنسيان فحن اليها
فوأدي .
لم اذا نبغض الاشرار . ولم اذا نعبد الابرار .
لماذا نميل وجهنا عن الفقراء الاذلاء . ونعمره امام الاغنيا والامراء .
ان علية القوم اوطاهم ايها الاخوان فاحذروا من تكرهون ومن
تحبون . من تحتقرون ومن تجلون .
وغدا ينير الله قلوبكم فتعرفون الحق وتعبدون .
لا والله انالا اشمخ بانقي على الصعلوك ولا اعفر وجهي امام الملوك .

- ان تحت الرماد وفوق النجوم . ما لا يرى من حياة تدوم -
اعلموا ان الكمل في عيني سواء . من الوجهة التي انظر منها الى الناس
كيف لا وتحت رماد نفس هذا الشرير جذوة خير حية . وفي بستان
ذاك الصديق كثير من الجذور السامة والنباتات الكريهة
الرائحة .

كيف لا وفي الصعلوك نفس تكبر اذا انطلقت من القيود والاعلال
وفي الملك نفس تصغر اذا جردت من ترهات الابهة
واباطيل الاجلال .

لم اذا يحسد الانسان هولاء الاغنياء والاقوياء . واولئك الملوك
والامراء ؟ ان افقر البشر حالاً . واوضعهم شأناً واقلمهم
مالاً . لهو من اعظم الناس . اذا كان لا يحسد احداً من الناس

- ان تحت الرماد وفوق النجوم . ما لا يرى من حياة تدوم -
انا لا اغبط من ابناء آدم الا الرجل الحر حقاً . الحر ايماناً وعملاً .
الحر بداية ونهاية . واني اذا وجدت مثل هذا الرجل
لا أجله فوق كل اجلال .

اما الاغنياء والاقوياء . والملوك والامراء - تباركت اسماؤهم -
فعظمتهم اما مكتسبة اصطناعية . واما خلقية طبيعية
وجل ما في القوة المكتسبة مسروق منهوب . ومعظم
العظمة الاصطناعية مختلس مسلوب .

العظمة العرضية الاصطناعية • هي كالسوس في عظام القوة الحقيقية
ومن يجسد السوس في العظام • او الذباب فوق الطعام
او الجراد على الاكام •

واما العظمة الخلقية الطبيعية فهي وأيم الله من روح الله •
وانا اطأطي رأسي امام كل قوة بشرية فيها شيء من جوهر الذات
الالهية •

وان اسمى ما في قلب الانسان من العواطف الشريفة هي تلك
التي تتجلى في اتضاعه وخشوعه امام العظمة البشرية
الخلقية التي هي حقيقة الله في الناس •

- ان تحت الرماد وفوق النجوم • ما لا ترى من حياة تدوم -



داويني ربة الوادي

- داويني ربة الوادي داويني .
- ربة الغاب اذكريني . ربة المروج اشفيني .
- ربة الانشاد انصريني .

* *

الا تذكرين يوم رددت وحيك بين قوم لا يشركون مع البعل الها؟
 ويوم قدمت ذبيحة للزهرة من يد من لا يعرف من الالهة سواها .
 ويوم ناديت باسمك في هيكل ايزيس فطردني من الهيكل
 الكهان .

ويوم تصاعد دخان بخورك على (الاولب) فاكفهر منه جبين رب
 الاوثان .

- انا من وضع بخورك في مجامر الخدام في هياكل الرومان .
- انا من عقد اوتارك في قيثارة راقصات بابل وقين اليونان .
- أو نسيت ما زرعتة يدي حول هيكل تموز من الاشجار؟ .
- وما حاكته يدي لربة الفينيقيين من اكاليل الغار والازهار .
- وما خطته يدي في كتاب عبدة الشمس والنار .
- وما حطمته يدي من تماثيل الطغاة ودمى كبار الابرار .

داويني ربة الوادي داويني .
 ربة المروج اشفييني . ربة الانشاد انصرييني .
 انشدييني على قيشارك من الالخان التي تردد صداها اليوم طيور
 الغاب وشجارير البستان .
 انشدييني من الانعام . التي يطرف بها الرعاة الانعام .
 صوت نايك في الدجى . وصوت ارغناك في الضحى . اسمعيني .
 الى صوت عبادك على ضفات الانهار . وصوت اولادك في القفار .
 اهدييني .
 انشري الان حول سريري . ما كن في الحقول من عبيري .
 اسكي الان فوق راسي . ما تركته الاحقاب في كاسي .
 الحفييني بحبك . ضمخيني بطيبك . انعشيني بهمس شفقتيك .
 ويلمس اناملك .
 رددي على مسامعي الان . ما نسيته مما علمتني من الالخان .
 اسمعيني الان . ما زددته عنك في مجالس قين بابل واليونان .
 داويني ربة الوادي داويني .
 ربة الانشاد اصلحيني .

* * *

انا ناي الرعاة من عبادك . انا عود العشاق من عبادك .
 انا ارغن المتشرد من عبيدك . انا كناية الراقصات ليلة عيدك .
 انا النفس التي تتجلى فيها عرائس جمالك . وتنبعث منها اشعة

نورك . وتنطبع عليها اسفار حكمتك . وترف فوقها
بلابل سحرك .

انا صوتك حسدته الدهور . انا روحك انزلت في الفيدا وفي الزبور .
انا رسولك الى صفوة العباد . الى خير من زين الاحلام في المعاد .
بل الى اكل من هام في كل واد .
انا وحيك في نشيد الانشاد . انا نورك في نفس من سر بل التوبة
بالانشاد .

انا في قيشارك نعمة حبسها الجهل ضمن جدران الاهرام . بل انا
اغنية رددتها الليالي على الاعوام .
انا في قيشارك روح الفقنس تحت رماد المنون . بل روح ارفيوس
فوق امواج الفنون .
اجل انا قيشارك . وانا صوتك . وانا نشيدك .
ولكن يداً ائيمة خنقت البلابل في القيثار . وقطعت منه الاوتار .
جاءت اليوم بنات الهديل تداوي بسجها سجمي
العليل .

داويني ربة الوادي داويني .
ربة المروج اشفيني . ربة الانشاد انصريني .

* * *

المسيبي باناملك . تعيدي الي بها ملكي .
عوديني في الاسحار . تشتد من نسماك الاوتار .

- اغسلي جراحي بموجات من فيوضاتك الالهية •
- ضمدي اوتاري برقية من رقياتك الموسيقية •
- اعيدي اليّ ما سلبتني الآلام من مجد الحياة الشعرية •
- ضميني الى صدرك بنت الازل والخلود • فتزول عن جفني كآبة
الاجيال • ويشمر فيّ عقم الجدود •
- من يوم هجرت واياك الجفان في قديم الزمان • ما رأيت اجمل من
الحب فيك الا الحنان •
- ختام اليوم هذا الصد والجفاء وهذا الهجر والنسيان ؟
- اذكريني ولو مرة في ظلامي •
- عوديني ولو مرة في منامي •
- انصريني قبل ان تدبل ايامي •



غصن من الورد

- ر كبت في الامصار البعيدة هواي وأرحته من عنائه •
- غرست في بساتين الغرباء حي فنور قبيل اوانه •
- غرسته في ارض سمراء، جديدة فناحت عليه زهور زمانه •
- طرحت بذور حي جزافاً ذات اليمين وذات الشمال •
- طرحتها في سهول الحرية، فاحرقها قيظ الفوضى وداستها ارجل الهمجية
- طرحتها في انجاد العلم فاييس ما نبت منها الصر وحملت رياح النزاع
- البقية الى حيث لا ادري •
- طرحتها على شواطئ نهر الفلسفة الراكد فذوت في ظلاله الظليلة -
- ماتت لانها لم تر نور الشمس •
- غرست حي في غياض الحضارة الغيضا، فادمتها الاشواك • خنقه
- العليق • قتلته الجذور السامة •
- غرسته في ارض الاحياء والخللان فمات بالاستسقاء، في مستنقعات
- الكذب والرياء •
- غرسته في حقول التجارة • تجاه طواحين التمدن • بين بيت الصراف
- وبيت الكاهن • فتواطأ الاثنان عليه ومدأ في قلبه البلاط رصيفاً
- للصوص •

لا أولئك اللصوص الذين يوأكلون ويشاربون القضاة •
 ذهبت بجبي الى الفقراء والبؤساء فغرسته في ارضهم الجذباء فلم ينبت
 غرسه في دار ام الحي • فاقتلعتة ورمته قصياً وهي تقول: اذهب
 في طريقك • جاءنا قبلك معزّون فقتلوا - صلبوا -
 حرقوا • نطلب انصافاً وعدلاً • لا تعزيةً ورحمة •
 جزت حي البؤساء الى مغاور اللصوص والاشقياء • الى المنبوذين
 والممقوتين •
 وغرست بينهم غصناً نضيراً من حي فعاش قليلاً نجيلاً
 ومات •
 مات في ظلمات البؤساء والجاحدين • دخان تجديفهم اعماه • صراخ
 قنوطهم ارداه •
 مات في كهف المنبوذين • خنقته روائح البذائة في فم الجاني
 وفي فم البغي • فكفنه الفاجر بلعنته • وجلقت
 الفاجرة فاها فوق جثته •

* * *

هجرت المدن وتلك المدنية وركبت البحار •
 نثرت على المياه حي كما تنثر شمس تموز ماسها ولا ليها •
 نثرته صباحاً فتلونت الامواج من اهواءه • نثرته مساءً
 فتوهجت من نيرانه الافاق •

كلم حي السحاب فاجابه • دعا البحر قلباه •
لمس حي الافاق بانامله فارعدت وتموجت مبتهجة متوهجة •

* * *

في صبح يوم من ايام الربيع بعثت حي رائداً في صحراء جديدة
فمضى ولم يعد الي •
ناديته من قم لبنان فلم يجيني •
فتشت عليه في الافاق ووراءها • في مشرق الشمس ومغربها • فلم
اجده •

تركت حي يهيم ثانية على وجهه •
فركب هواه مرة اخرى وتركني الحسر واتأسف عليه • آه علي •
أواه عليه •

* * *

في وطني • في ارض اجدادي • في التربة التي ذقت قديماً حلاوة
ضربة المعول • في يد رجل قوي • غرست غصن ورد
طري •
غرسته والامال تدفني والعزم يعقد شفتي •
غرسته في مكان عزيز • جعلته في حرز حريز • بعيد من الحضارة
والناس •

ولا فرق عندي الآن ان صمت مسامعهم وان فتحت •
ولا يهمني اذا استجرت قلوبهم • او استجالت طيناً • او ذابت

ماء معيننا .

انت ايتها الارض امي وسأفرح يوم تضميني الى قلبك كما تضمين
الغصن الذي انا الان غارسه .

انت ايتها الارض حية ابدآ - ابدآ تجبلين وابدآ تلدين .
مهما كان ظاهر ك فالشعور فيك لا يموت . النار في قلبك لا تجبو .
الخريف يزيل الوقر من اذنك . والشتاء يحفظ بقلبك . والربيع
يجري على لسانك . والصيف يريك ثمرة احسانك .

ومن افصح منك في الربيع واكرم منك في الصيف ؟
من اشد عطفآ وتهيجآ منك في الشتاء . من اشد سمعآ في الخريف ؟
من ارحم منك ايتها الارض . من الطف واشفق واحلم ؟
تقبلين منا الاقدار وتعطينا عوضها الازهار .

تستنشقين نتانة امراضنا وروائحها وتعيدنها الينا شداء طيبآ .
تسكب لك السماء كأسآ من الماء الزلال فيعكره الانسان فتفيضين
عليه مكافآة خير اترك ومراحمك .

ارض اجدادي افتحي لي قلبك الان .
لا تجهمني . لا تعبثي برجائي وعملي . لا تجبسي حيي عني دهرآ .
ايتها الارض التي نحبها ابي . وصلت تحت اشجارها امي . لا
تودعي آمالي الصخور . لا تحمليها الى قمم الجبال فتقتلها هناك
الثلوج والرياح .

على كتف هذا الوادي الذي ردد صدى صراخي وغنائي صغيراً .
 في هذه الارض التي هجرتها قبل ان هجرتني الصبوة .
 غرست غصن ورد طري .

كلمت الارض بيدي لا بلساني . حصبتها ونقبتها بمعولي الصغير .
 أطعمتها من ذلك الاسود الذي تفرزه المواشي ومن
 ذلك الاصفر الذي يكاد يشتعل في الصحراء من قبلة
 الشمس ويكاد يذوب على السواحل من قبلة الامواج .
 سقيت غصني من ماء النوء اذ وحيبت عنه في الطفولة نور الشمس
 رفعت فوقه سرادق حي في الصيف ونثرت حوله اوراق حب
 الخريف في الشتاء .

ولبثت اذ ذاك انتظر جواب الارض وحكمها .
 كم مرة زرت غصني وهزته مستخبراً فلم تبد عليه من الموت
 اشارة ولا من الحياة .

كم مرة افتقدته وقلبت فيه الطرف مستقصياً اخباره .
 كم مرة وقفت امامه والفؤاد يتموج بين اليأس والرجاء .
 تباركت ارض اجدادي . فقد حسن في عينها اجتهادي .
 تباركت ارض امي . فستريني الورد على غصن تعبي وهمي .
 نعم ان الارض كلمتني . اجابت الارض سؤالي . رددت الارض
 صدى حي .

فها ان غصن الورد ينطق كالطفل .

قد بدت على شفثيه لفظة الحياة . واثرت في قلبه الكلمة التي

تساقطت عرقاً من اناملي ومن جبيني .

في فمه لؤلؤة صغيرة ملفوفة بلفافة ذهبية . وفي صباح الغد

تستحيل لفاقة لآزوردية . وتبدو اللؤلؤة زمردة

نخيفة زدية .

وبعد غدٍ او بعده ينشأ من الزمردة صدفة خضراء . في قلبها بحور

من الورد لا ترى واجيال من الحياة لا تعد .

في قلبها اوراق خضلة صغيرة ملتفة حول عرق نخيف طري لا

يعرف بعد اسم الشوك ولا معناه .

في قلبها اغصان . وفي قلب الاغصان ورد . وفي قلب الورد بذور .

وفي البذور الابدية والخلود .

* * *

كلمتني ارض اجدادي . احيت في الرجاء . ضمت الى صدرها

طفل حي وغذته فاحيته بجميل حبها .

نفخت فيه من روحها الازلي فتحرك لسانه .

هو ينطق بما تلقيه اليه من آيات الحب والجمال والحكمة والرجاء .

اين فصاحتي من فصاحتها ؟ .

لا تنطق الارض الا لتحيي . لا تتكلم الا لتزهر وتثمر .

ما قالت « لا » بزمانها قط . فان كان جوابها ايجاباً « فنعم » وان

سلباً فسكوت ابدى .

كل آياتها جميلة • كل اقوالها منعشة محيية •
 وليتها تعلم بنيتها القول المشر المنعش الجميل •
 او ليتها تعلم بنيتها السكوت •

* * *

كأني بالارض تقول : ليكن عندك ذرة من الايمان بي واعطني
 ساعة من العمل فاعطيك عوضها مئة بل الف ضعف
 من الحب والرجاء من السرور واللذة من العزم والنشاط
 من الحياة البسيطة النقية التي لاسعادة للانسان الابها

* * *

كل جرثومة على غصن الورد الذي غرسته هي لفظة من الفاظ
 الارض العذبة • هي رسالة حب من الام لبنيتها •
 كل برعم من هذه البراعم هو عقدة من عقد الكون • هو سر
 من اسرار الحياة • في اي عصر ولدت ايتها الوردة •
 اي ارض شاهدت اول زهرة من ازهارك واستنشقت
 اول نفحة من اريجك ؟

من زرع بذرتك الاولى • من غرس اول فرع من فروعك ؟
 اول غصن من اغصانك الاصلية الاولى - من نقله من الحقل الى
 البستان • من الوادي الى حديقة الانسان ؟
 ايتها الوردة البرية بل الوردة السرية من اي دغل نشأت وفي اي
 سلم من النباتات الشوكية رقيت ؟

لا تتكلم الارض رمزاً . الارض لا تأمن بنبيها على اسرارها .
 احترز من شرك العلة الاولى . لا تبحث في اصول الاشياء .
 متع نظرك ونفسك فيما تراه وتسمعه وان شئت الدخول الى هيكل
 سر الاسرار فتجرد عن الجسد قبل ان تطأ اسكفة الباب

* * *

اني لاجد لذة شهية غريبة في مشاهدة هذه البراعم الجديدة وفي
 مراقبة نشوها ونموها .
 عددتهم والله مراراً كما تعد الام اسنان طفلها .
 افتقدتهم مراراً كما تفتقد الطيور عشوشها .
 تلهفت، اي تلهف على برعم واحد نثرته الرياح منها .
 ولكن زمن السرور قصير . تكاد زبدة الاشياء تذوب قبل ان
 تجمد .

* * *

اواه صرت اخشى الاقتراب من وردتي . فقد اثت فروعها . والتفت
 اغصانها . وقسيت اشواكها .
 اواه صرت انظر اليها بغير العين التي شاهدت نشوء براعمها ونمو
 فروعها .
 لهفي على وردة الحياة . تريني الف شوكة قبل ان تفوح بنفحة
 واحدة من شذاها .
 تجرحني مئة مرة قبل ان تعطيني زراً واحداً من ازرارها .

فؤاد^(١)

١
عند مهر الربيع

عرفتك قبل ان اخضرت من نسמתك الاولى صدور الحقول
وجوانب الربى .

وقبل ان نور المهد من حر شفتيك .

وقبل ان بدد نور عينيك غيوم الشتاء فهدأ البحر وانجلمت السماء .

* * *

عرفتك قبل ان حاكت لقصورك الجبال طنافس من العصفر
والاقحوان .

وقبل ان اعدت لسريك النمارق من الرياحين وريش الصنوبر
وشقائق النعمان .

وقبل ان ملأوا كأسك من دهن اللوز وماء الورد وعصير الرمان

* * *

عرفتك قبل ان نصبت لك العاصفة الاخيرة قوس نصر من دمها
ودمعها وزفيرها .

(١) ابن اخته فؤاد يوسف صادر ولد في ٢٧ نيسان سنة ١٩٠٨ وتوفي

في ٢٠ ت ٢ سنة ١٩٠٩ فاستقبله بالقصيدة الاولى وودعه بالثانية

وقبل ان ولت من الغيوم الباكيات واقبلت الضاحكات تجر
ذيوها الفضية فوق صنين .

وقبل ان لحفتك شمس الضحى باشعة الحب والحنان .
وقبل ان رفعت فوق سريرك عند الغروب قبة من نورها الولهان .

* * *

عرفتك قبل ان سدلو ا على وجهك نقاباً من الغمام . ليحجبوا
هناك هنيهة رب الانام .

عرفتك قبل ان عرفت عينك معنى الدموع واسرارها .
وقبل ان ذابت عن اهدابك الثلجة الاخيرة وسقطت عليها
القطرة الاولى من ندى العشق والحياة .

عرفتك قبل ان نور في خديك الورد . وتلالات على شفتيك
الابتسامة .

وقبل ان غردت في الغابات اطيارك . وعطرت الافاق رياحينك
وازهارك .

عرفتك قبل ان سمعت اذانك هتاف الانهر وعويل الرياح .
عرفتك قبل ان عرفت من الحياة الغسق والليل والصباح .
هزرت سريرك بانفاس كانت لهيباً قبل ان صارت نسيماً .
واصبحت حياة بعد ان كانت سديماً .

وكان ربك بذلك عليماً .
هزرت سريرك باليد التي احترقت مرأفاستحالت مسكاً ومخوراً

حول السرير الكمين .

- باليد التي اكتسبت زغباً تحت رأس امير الرياحين .
 باليد التي نور في اناملها الجلمار وفي راحتها النرجس والياسمين .

* * *

- هزرت سريرك قبل ان نما الفؤاد مني آسأ وغاراً تحت قدميك .
 وقبل ان فاض ابتسامي نوراً فوق عرشك .
 وقبل ان هطل غيمي دمعاً حول سريرك .
 هزرت سرير طفل الربيع قبل ان سار كلي قسماً من سريره .
 هزرت في الاعماق . ففاح اريجيه في الافاق .
 هزرت في اعلى عليين . فغردت بلبله في الرياض والبساتين .

* *

- عرفتك قبل ان ودعتك السماء . وقبل ان عرفتك الغبراء .
 ولكنني استغربت صراخك يا ابن الربيع ويا ابن السماء .
 ان لفي بكائك سرّاً لا تذيبه الازهار .
 وان لفي سكوتك لغزاً حفظته النجوم والاقمار .
 وان لفي نظراتك المبهمة الندية شيئاً من غوامض البحار .

* * *

أجئتنا من الم الفراق باكياً . ام جئتنا الوحشة شاكياً ؟
 اين منك الروح التي تلقي في العيون سحراً حلالاً فيذوب حباً
 وجمالاً ؟

اين منك الادراك الذي يلتهب في العالم نجماً فيشع في الشاعر خيالاً ؟
 بل اين من نفسك الان ما حير البرية في الانسان ؟
 اين منك تلك القوة التي اغلت الصاعقة . وذلت البحار . واسترقت
 الرياح والكهرباء . والبخار ؟

* * *

اتحلم ملائكة السماء بفراش الارض وخنافسها ؟
 او تذكر الفراشة يوم سارت تحت جناحها الشمس ؟
 افي خطوط هذه اليد الصغيرة البضة آثار حبيك النجوم واسرارها ؟
 او تحت هذه الاهداب الناعمة قبس من نورها ونارها ؟
 اتذكر شفطاك الكاس التي سقتكها زنبقة الوادي ؟
 اتذكر الغدير الذي كان يغسل قدميك يوم كنت مضطجعاً مع الدفلة
 تحت ظل الدلب والصفصاف ؟
 اي ابن الوادي . ان فيك من بهاء الربيع ما فيك من مجد السماء .
 ان لفي هذه الوردة البشرية جذوع الماضي واربيع الحاضر وبذرة
 المستقبل .

اقبل رجلك لانني لا انكر الماضي ولا انبذه .
 واقبل عينيك لانني اراك شاخماً الى العلاء .
 واقبل سرتك لرمز فيها بليغ جميل .
 ففي السرة سلسلة الحياة التي لا تتم حلقاتها ان لم تقطع
 يقطعها الانسان فيعيد وصلها الله .

فاذكر قبلاتي الثلاث ان عدت في مستقبلك البعيد الى ماضيك
هذا القريب .

واذكر ايضاً ان في كل قبلة حسرة ما زادها العلم الا اشتعالاً .

* * *

عرفتك قبل ان ودعتك السماء وما عرفت من سر هذا الوجود
سوى الحياء والباء .

عرفتك قبل ان عرفت الربيع وقبل ان هزرت سريره الخفي .

عرفتك قبل ان اسرنا فصرنا بديع قواف لشعر الهبي .

نظمنا الاله واودعنا سرّاً من اسرار بيانه الازلي .

وقال عليكم بنجم سريع فهو فيكم ومنكم يضي .

بهاء الحياة ومجد الحياة اليكم بنوري اليكم يدي .

فجئنا نجوم النفوس عراة وفينا الخجول وفينا الخليع .

اشدنا هناك بسعد تساوى الملاك العصي به والمطيع .

شهدنا هناك ظلاماً تلاه بهاءٌ تلاه ظلام سريع .

وقفنا حيارى وفي الظلمتين ضياء الحياة يضي ويضييع .

شهدنا الدياجي وفيها الاحاجي فهذا الاله وهذا الربيع .

ذهلنا فقلنا : اربي لماذا ؟ فقال : اسقطوا من مقام رفيع .

وقفنا . دهشنا . سألنا . سقطنا . فجئنا وسر القريض نذيع .

فديوان ربك هذا الوجود وفيه السخيف وفيه البديع .

وانت ابن اختي بيت القصيد وخالك شاعر رب الربيع .

٢

عند لحد الربيع

- ومثل خيالي اشرفت يوماً وذبت قبيل الصباح فواد .
 ومثل خيالي انسيتني نعيم الحياة وبونس العباد .
 ومثل خيالي أسكرتني فقلت : « اليراع » فقلت : « الحداد » .
 ومثل خيالي حيرتني رحلت وسرك في ذا الجماد .
 بها . جمالك في تربة عجبت لترب جمالاً يعاد .
 ونور عيونك في ظلمة عجبت لنور شديد السواد .
 وبلبل نفسك في وحشة - بل بلبل نفسي في تي البلاد .
 وحلو ابتسامك تحت الازاهر ألبس روعي شوك القتاد .
 فراحت الهمة حيي تهيم وتبكي فوادي في كل واد .

* * *

- لله انت من وردة سرية ناطقة فرطها يد القضاء .
 لله انت من شعاع فهم عجيب زال كالظل في البيداء .
 لله انت من طير اسف فوق بحر الحياة فذاق ملحه وعاد الى الفضاء .
 لله انت من طفل سجدت له اطفال السماء .
 ايه اطفال السماء ! وهذا ربيعي اصبح ثلجاً فليت الربيع وليت
 المعاد .

- وليت النجوم تحدث عنه فهذه تجاليدته في جماد .
 وحلو ابتسامه تحت الازاهر ألبس روعي شوك القتاد .

بنات خيالي انيري حول خيال فوادي في كل واد .

* * *

كشفق من اشفاق الايام . كحلهم من جميل الاحلام . كوميض

برق لاح في الظلام - كذلك كان ابتسام الحبيب .

كنفحة من نفحات الجنان . مرت مع نسيم الفجر في البستان .

فرنحت الورد والبيلسان . وايقظت الشوك في القرقفان .

كذلك كانت حياة الحبيب .

كفراشة مختبئة بين الرياحين . امسكها عدو كين . فدفعها الى

جهلة ظالمين . سمعت ادواتهم الانين . فبكت حظ

مثل هؤلاء البنين - كذلك كان نصيب الحبيب .

ويلاه من طب اجهز على الحب .

ويلاه من طب هو الشوك في نبت غمنا . ومن طبيعة هي امنا .

ومن قبور هي لحمنا ودمنا .

بهاء جمالك في تربة عجبت لترب جمالاً يعاد .

ونور عيونك في ظلمة عجبت لنور شديد السواد .

* * *

ركضت حولي في الدار فعلمتني حب الصغار . حباً طاهر اصافياً

كله ازهار .

وقفت الى جانبي في عزاتي فكنت حبيبي وسيدي ومعلمي .

فتحت امامي ابواباً عجزت عن فتحها حكمة الحكماء . وسدتني

بما لا تضاهيه شوكة الملوك والامراء • وهديتني سبيلاً

ضلت في سبيله العلماء •

انكرت سلطة المسيطرين • فجئتني وسلطتك من اعلى عليين •

لله من اطفال هي ملوك في قلوب الرجال •

لله من ضعف صولجانه فوق صولجان ملوك الزمان •

كفرت بحب الاطفال فبعثك الله الي رسولا •

وصرت عندما اشاهد طفلاً احببه باسمك ساجداً • واقبله واجداً •

انما هو لا • رسل الله في الناس •

رسل هم الاطفال - رسل الحب والحنان والواجب والجمال •

رسل كلماتهم سلام • وسيوفهم ابتسام •

لله من رسول انت اخلصت لك الايمان • وكنت لك اطوع من

البتان •

ولكنك اليوم حيرتني رحلت وسرك في ذا الجهاد •

ومثل خيالي اشرفت يوماً وغبت قبيل الصباح فواد •

* * *

اقمت في وادينا صيفاً واحداً كنت فيه الصيف والربيع • وكتبت

في قلوبنا آيات هي خلاصة البيان والبديع •

نظرت الى السماء مساء فادهشك كوكب هناك •

مددت يدك الى القمر كأنه داحة في ذراك •

سمعت انغام الموسيقى فطربت لها كأنها بنات بديك وذاك •

عظفت على الازهار واحببت الرياحين كأنما صنعتها يداك .
 حسدك الحسون على زقزقتك . والحمام على حركاتك . والورد على
 شذاك .

حييت كل عابر طريق باسماء وفي كل امرىء حبيت اخاك .
 كدت تشعر بالخطوب قبل حدوثها فادمعك قبل ان يدمعنا بلاك .
 كللناك بالورد والغار . يا حبيب الرياحين والازهار .
 وفي ربيع السماء الخالد دموعنا طل في الجلتار .
 بل زهور في افلاك تدار .
 بها جمالك في تربة عجبت لترب جمالاً يعاد .
 ونور عيونك في ظلمة عجبت لنور شديد السواد .

* * *

من هضاب جللتها السماء . الى مدينة خيم فوقها البؤس والشقاء .
 حملناك والغم يحملنا الى منبت التمويه والتلبيس والادعاء . الى
 حمى الاطباء .

ضربت في موطن الفهم والنور . فكان داوئك ذكاك^(١) . دماغ
 هو النبراس . في غشاء هو القرطاس .
 ويلاه من هذا الشهاب . وهذا الالتهاب .

في فترة من الزمان سقيت من مر الحياة مما يغص به جبابرة الزمان .
 يوم اسففت وقعت فكنت احجية في دائك . كما كنت احجية

(١) اصيب بداء ال (مَشْنَجِيَّت) اي التهاب غشاء الدماغ .

في ذكائك .

قال المداون وقالوا . وضربوا في ميدان الحدس وجالوا . وانت
بعيد عن جهل هو عندهم اليقين .

مددوك على لوح التشريح وانت مسرع الى من لا يجردس في
شؤون العالمين .

اشموك المخدرات . وانت في غنى عن هاته الترهات . كيف لا
وقد اشلك الداء وخدرك الدواء .

جاء الجزار واعوانه بادواتهم وعقاقيرهم . واحاطوا بك ليبعدوك
عن ملائكة اسرعوا الى لقاك .

بضعوا الجلد . كسروا الجمجمة . اجالوا ادواتهم في الدماغ -
ويلاه من اطباء يخبطون . بل من جزارين يجرزون .
قطبوا الجرح . لفوا رأسك بالشاش . كفنوا وجهك الاصفر باوهمهم .
ضمخوك بروائح العذاب والموت . وتركوك على سريرك .
لامك . لا بيك . خالك . لربك .

كفناك باغشية قلوبنا وكللناك بالورد والرياحين . بكينناك باسم
كل ما احببته واحبك في وادي الامين .

بها . جمالك في تربة عجبت لترب جمالاً يعاد .

ونور عيونك في ظلمة عجبت لنور شديد السواد .

وحلو ابتسامك تحت الازهار البس روعي شوك القتاد .

فراحت آلهة حيي تهيم وتبكي فوادي في كل واد .

النفس الراحلة (*)

على ابواب الجنة تنتظر الارواح احبابها .
 بل تنتظر الاحباب ارواحها .
 آه على المحبين . المودعين والراجلين .

* * *

اقف عند جثماني . لا ودع اصحابي وخلاني .
 ومن فوق نعشي . احبي الاعزاء المودعين .
 اتخذت الموت منبراً . فرأيت من علاه ما لا ترون . وسمعت
 ما لا تسمعون .

جموع مثلكم يعولون في شمال الارض وجنوبها . وارواح مثلي
 ينتجبون .

في السفينة التي تعبر نهر الموت والحياة . من ابناء الارض عظام
 وعظيمات .

هم رفاقي الان الى الجنان .

فلا تياسوا . ولا تجزعوا .

الموت خرافة مرهبة . الموت صورة فانية . الموت منبر الخلود .
 الموت هو الدرجة الاخيرة من سلم العذاب . فلم

(*) تذكارة الراحيل دريان المتروفاة في ١٣ اذار سنة ١٩١٠

تنجبون . ايها الاحباب ؟

على ابواب الجنة تنتظر الارواح احبابها .

بل تنتظر الاحباب ارواحها .

آه على المحبين . المودعين والراحلين .

* * *

ما بالكم تنجبون . اواه ودمعة الفراق من يكفر بها ؟ دمعة

الوداع من يجهلها ؟

دموعكم كالوابل المتساقط على بحر هاجت امواجه .

دموعكم تسكن الرياح .

دموعكم تنور حول الراحلين زهراً . وتتكون في صدف الحب

لؤلؤاً ودرأاً .

دموعكم نور يضيء ساعة الفراق المظلمة الموحشة .

دموعكم نقط لكلمات سفر الحياة .

دموعكم ازهار على ضفتي نهر الاحزان . ودموع الراحلين طل في

كوؤوس هاته الازهار .

آه على المحبين المنتحبين . المودعين والراحلين .

* * *

ساعة ازمنت الفراق . بدت لي اشياء من هناك - من وراء

الكواكب والاقمار .

ساعة علت صيحة الاحباب . رفعت الي اعلام جميلة من خلال

الضباب .

على ضفاف انهر الابدية . في ظلال السدر الندية . رأيت الراحلين .
على فرش من السوسن متكئين . وسمعت اطيارا تغرد
حولهم : « الى حين ايها المنتظرون الى حين »

في تلك الظلال احبائي حيث الورد لا يذوي والربيع لا يزول .
حيث الحب يلعب متهيباً عن التنائي في جمع اصداق الحزن
ولولوا الرجاء .

هناك على احدى الروابي . انتظر احبائي .
وانسج لهم من ازهار الدموع والسرور . اكاليل مجدل لا تبور .
وادخل واياهم بيتاً جميلاً خالداً من الحب والحبور .

* * *

على ابواب الجنة تنتظر الارواح احبائها .
بل تنتظر الاحباب ارواحها .
آه على المحبين المنتحبين . المودعين والراحلين .



معبدي في الوادي

ايه ام الطبيعة بل امي . جئت اجدد معك آمال الحياة وسرورها .
 جئت اجدد عهدي وايماني مع كلا ، الحقول وزهورها .
 جئت اردد تحت هذه الافنان الخضراء . ابتهاج ابنائك الاتقياء .
 وقفت على ضريح الشتاء ليلاً . فشاهدت هناك مشهداً جليلاً .
 شاهدت ربة الربيع تقبل جبين ابوها . فينور الاقحوان تحت
 شفتيها .

رأيتها تكتب بدموعها سفر الخلود . فيرده العصفور في الجلمود .
 ورأيت الاولاد في الحقول حفاة . يقطفون الزهور خير من تالم
 في الحياة .

فقلت في نفسي ونعم الايمان . في قلوب الصبيان .

* * *

ان في قلبي اليوم شيئاً مما في قلب جاري . وفي قلب الغاب اثراً
 من اثاره .

ألا ان قلبي في عقل هذا القروي . وعقله في قلبي الخفي . والذي
 يراه تحت الكلا . اراه انا في السماء .

والذي يراه في الارض المنبثق منها نور العالمين . اراه في اكمام
 الورد او في براعم الياسمين .

فاذا كنت ارى ذلك في الحقل فلماذا ابرح الحقل ؟
 الأسمع في الكنيسة وعيد من لا يعرف من اسرار الحياة • سوى
 ما قرأه في كتب اللاهوت والصلاة •

ان في ورقة من اوراق التوت • سرّاً لا يكشفه اللاهوت •
 الى الوادي اذاً • هناك بين اشجار البطم والزمزريق وتحت ادواح
 الصنوبر والسنديان • اشيد هيكل الايمان •

اراني هناك في بيتي • بل في بيت الطبيعة • بل في بيت الله •
 ورفقائي هم حقاً احبائي • هم اخواني • حباً بحبي وايماني •
 ان هيكل لي قريب من سلسبيل فضي ذهبي يجمع بين الدم الجاري
 في العروق • والصيب المتصاعد في الاشجار • واللبن
 الذي يحدد في النبات حياتها • وفي الازهار اريجها
 والوانها •

وان منبر مرشدي هو مسرح الانشاد والتفريد • لا منصة
 التحذير والوعيد •

اسمع همس الافنان • وهي تسبح في قلبها الرحمن • وقد احياها
 النسيم العليل • الذي جاها اليوم من بلاد الجليل •

* * *

سماع ! قد بدأ الدوري بتلحينه والسنونو بانشاده •
 سماع ! ان من حلق الحسون الذهبي تتدفق الانعام الفضية •
 ان الاطيوار تدعوك الى تجديد ايمانك وامالك في الحياة •

هي تفتح لك ابواب السماء مغردة • ولا تبعدك عنها متهددة •
 هي تدعوك الى العمل • وتنفخ فيك روح الجد والامل •
 اي ربة الغاب ان رؤساء هيكلك يرددون صدى نشيد الربيع
 لا صدى منطق « الغوري » والمعضلات •
 وشتان بين « الغوري » والدوري • وبين الحسون والخوري •

* * *

في ظل القويسة والغار • وبين الصعتر والوزال والخنشار • وبالقرب
 من ضحضاح يشف عن نباتات حية تحت الماء • وفوق
 النهر الجاري تحت قدمي هذا الوادي الرهيب • ابني
 لك ايتها النفس هيكلًا من الايمان • يؤمه في
 المستقبل البعيد من اخواني والقريب •
 بل اقيم فيه تمثالاً للوداد والاخاء • وادعو اليه كل بشر تحت
 السماء •

فيه احى اليوم انفس المستقبل ومستقبل الانفس العظيمة •
 وحياتي لا تردي بحياة الخنافس والديابات • لان الناموس الذي
 يجر كها تحت ائكلا • يجر النجوم في حبكها
 والسيارات في بروجها •

* * *

ان الاربيج المنتشر من هذه الاذغال هو البخور الذي يجرقه
 الربيع على مذبح الحياة والايمان •

هو اريج الزعرور والقندول المختبئة اشوا كهما الآن تحت نقاب

جميل من الازاهر الصفراء والبيضاء .

بين هذه الادغال الشذية . وتحت شعاع ابتسامه الاشواك . يلذ

لي التأمل في من مات ليحيي الحب والوداعة في الناس .

بين هذه الاشواك يحملني الخيال الى حيث وضع الاكليل على

رأس الشهداء .

على ان الزمان لم يبق منه سوى الازهار التي تنور كل عام في

قلوب الاتقياء . مثلما ينور القندول والزعرور في

الغابات .

فباسمك ايتها النفس الالهية اصنع لايماني اكليلاً من زهر

الزعرور لا من اشواكه .

باسمك أشيد لحبي هيكلًا من خشب السنديان . وازينه

بالصنوبر والنيلوفر وبقار البيلسان .

والى اتباع الذي صلب وبني الذين صلبوا اقول : تعالوا نسبحه

اجمعين في وادي المسرة لا في وادي الدموع . تعالوا

نتصافح تحت السماء . حيث لا حاجز يحول دون

الحب . ولا ما يحول دون الاخاء .



انا غريبان ههنا

او

جمعة الآلام

كلمة همسها النسيم في اذن رعاة الجليل فسمعتها الدهور ورددتها
الاجيال .

كلمة من اغصان الزيتون في اورشليم زلزلت العروش واسمعت
ملوك الارض صوت ذي الجلال .

كلمة زرعها دموع المرأة تحت الصليب . فنورت في السماء وكان
فيها مسك ختام النجيب .

هي كلمة الربيع في كل عام . بل نشيد الاطيار على الدوام . بل
اغنية الازهار في الحقول والآكام .

وان انفس الناس النبيلة . لتتجسد في مظاهر الربيع الجميلة .

ان في كل نفحة من نفحات الربيع . روح بشر عظيم وديع .

ان العام في هذه الايام . يحتفل بفوز امراء الحب وملوك السلام .

وان اكليل الشوك لاعظام من تيجان القياصرة . وكأس المر

لاطيب من خمره الاكاسرة - وقد يدرك هذا الانسان .

فيظل من عبيد الزمان . بل من اسراء الغرور والبهتان

* * *

جئت الكنيسة لاردد اليوم مع الناس ذكر امير الناس • بل
ذكر الحقيقة التي يعز نصرها بالعذاب • وتحلو بهر

• الشراب

دخلت الكنيسة وفي نفسي من احد النخل والزيتون ما لا ينسيني

• اياه يوم الجمعة الاليم

بل في نفسي من السرور والابتهاج ما لا يضاهيه فرح الناس في

• العيد العظيم

ان في هذا اليوم يجتمع القمر والشمس • فيشرق الفد على

المستقبل ويشرق على الحاضر الامس •

في مثل هذا اليوم ولد على الصليب الكريم روح بشر صميم •

انه ليوم حبور ايها الاتقيا • لا يوم حزن وبكا • بل لبس وريا •

* * *

وانما نحن في جنازة المسيح • وهذا وربي تجديف قبيح •

ان ورا • ذلك الستار الاسود الصليب • وامامه الاباء • ووجه كل

قطوب كئيب •

هم يجتزون من لا يعرفون • بل يدمدمون وينعبون • والناس

اليهم شاخصون •

ويلاه انا الوحيد الذي لا يرى ما يراه الاباء • ولا يشعر بما يشعر

به هو • لا • الاتقيا •

ها قد مشى في الجنازة المدمدمون • وهم في الكنيسة يطوفون •

وهذا الصليب • وقد تصاعد وراؤه النحيب • وامامه البخور

والطيب •

وصل الموكب الي • فما جثوت على ركبتني •

سرحت في الناس نظري فرأيتهم كلهم ساجدين • ورأيت بمقرب

مني رجلاً اخر من الواقفين •

فرأيت في وجه هذا الغريب • ما خالج قلبي الكئيب • وصرخت

ساكتاً : الهنا • انا غريبان ههنا •

ثم كلمته فقلت : ولم الجناز • ومن صلب قد فاز ؟

ولم هذه الصنوات المبكية • وقد اشرفت على الارض ابتسامة

آهية ؟

مال الغريب بنظره الي • ولم يجبني بشي •

* *

ها قد دفنوا الصليب تحت الزهور • وانجلت غيوم البخور •

وظفت الشموع • وكفكف المدمدمون الدموع •

خرجنا من الكنيسة انا والغريب ونفسي تناجي ذاك الحبيب

فسرنا معاً الى بستان من الزيتون خارج المدينة •

وجلست تحت شجرة هناك فجلس الغريب الي جانبي •

نظرت اليه ونظر الي • وقد استولى علينا السكوت والعي •

فكاننا حبيبان • فرق بينهما العرفان • فجمعهما الحب والحنان •

وفي مثل هذه الساعة تفصح اللحاظ • عما تعجز دونه الالفاظ •

على انني حرت في امره العجيب وقلت في نفسي من ياترى الغريب .
 وما كاد يخطر ذلك في البال ، حتى وقف امامي كالخيال ،
 فعرفت الطيف في الحال . وقد انكرته في شكل الرجال .
 وناديته مدهوشاً : اخي - رفيقي - سيدي - هذا فؤادي
 ها يدي .

نفحة من جناتك . كلمة لاخوانك .

أسمعت خدامك ينعبون ؟

التمثالك الناس يسجدون . وهم عنك بعيدون ؟

سيدي دعني القي على كتفك راسي . فيذوب ثلج فتوري ويأسي .
 اقربني من فؤادك . لاترود من الحب الذي لا يعرفه احد من عبادك .
 سيدي اسقني من الحرية والحق والاخاء . ما لا يشوبه الخوف والرياء .

* * *

وبين انا اكلمه في البستان . طل البدر من شرفة لبنان .
 فتر كني ذو الجلال . مكانه كالخيال . وذاب في القمر فوق الجبال .



عشيرة راس السنة (*)

قم ايها الناعس المتقاعس . قم ايها اليانس من الحياة .
 قم ايها العالم الفاتر الشعور القليل الاكثراث .
 قم ايها البخيل النائم على الصكوك والاوراق .
 قم ايها المقامر العبوس المكتئب وقيامت ايها المسرور المحبور المبتهيج .
 قم ايها الساخر بافراح الشعب البسيط .
 انهضوا كلهم واخرجوا معي الى اسواق المدينة هذه الليلة .
 انهضوا من رقادكم . اخرجوا من سجونكم . اطلقوا النفس من
 قيودها .

أحيطوا بهذا الجسم النحيل . اعطوني ايديكم ولا تخافوا .
 تعالوا معي ولا تأسفوا على شي . فات او مضى .
 اسمعوا اسمعوا . ان الابواق تناديكم . والاجراس تستقبلكم .
 والليل يبتسم ابتساماً خروجهكم .

* * *

نعم نحن في منتصف الليل .
 ولكن شمس تموز في رائحة النهار لا تنير الارض كما انارت
 المدينة ليلة عيدها .

(*) كتبت في مدينة نيويورك . وفيها وصف احتفال الناس هناك باول
 ليلة من كل عام جديد .

ازاهر ايار لا تبهج النفس كازاهر هذه الانوار .
 كيف لا ومن اصوات السرود في الليل ينور الاثير في الفضاء .
 وترهر جنان الجوزاء .

تعالوا واياي الى اكبر شارع واجمل جادة اريكم هناك جمعاً عجبياً
 من البائسين والبائسات يموج كالبحر الهائج ويهتف
 هتافاً عظيماً جميلاً .

وما هذا الشعب بشعب تأثر . بل هو مجبور فاز بالحياة ساعة بعد
 ان عاش في حياض الموت خلال العام المنصرم .

الي نؤم احقر الاكواخ واطلم المضايق واقدر ازقة المدينة اريكم
 هناك اغنى الناس واكيسهم . ارفعهم واشرفهم .

قد جاءوا هذه الليلة ليؤاسوا الفقراء . جاءوا ليتفقدا شؤون
 البؤساء .

ولكنهم قصدوا الاكواخ والمضايق والازقة فوجدوها خالية
 خاوية .

في هذه الليلة يخرج الغني من قصره . والفقير من كوخه . والبائس
 من سجنه . والعبد من قيوده .

في هذه الليلة يتحرر الانسان .

* * *

اليكم ايها الساخرون بافراح الشعب البسيط .
 تعالوا معي الى الملاهي ترونها مهجورة . والى رداه الرقص

ترونها انها مظلمة . والى مجالس الانس ترونها فارغة .
والى بيوت الشعب فتشاهدوها مزينة باغصان النخل
والشربين وبالانوار الصينية المنوعة الالوان .

في هذه الليلة يتحرر الانسان .

يتحرر الانسان ولو ساعة واحدة في رأس كل عام .
ولو ساعة واحدة في السنة تتساوى افراد الامة وطبقاتها ويخرج
البشر من السجون التي بناها البشر .

تنطلق الرجال من القيود التي صنعتها الرجال .

في هذه الليلة لا يذكر الانسان شيئاً سوى انه حر سعيد مجبور .
ينسى الفقير كونه فقيراً . وينسى الغني كونه غنياً . وينسى
الشريف كونه شريفاً . وينسى البائس كونه بائساً .
وينسى الفاعل كونه عبداً .

ان فرح الناس في هذه الليلة لعظيم . فتكاد المدينة تضيق على ما
في قلوب اولادها من السرور والابتهاج .

نعم في مثل هذه الليلة يخرج الانسان من كل ما بناه الانسان
وشيده .

الملاهي والحانات والمعابر ورداه الرقص وبيوت اللذات كلها -
كلها لا تشفي له غليلاً . كلها ضيقة مظلمة . كلها صغيرة
واطئة .

لا شيء هذه الساعة في العالم يستحق ان يقف الانسان تحته متهلاً

مجداً • الا الفضاء غير المتناهي • الا السماء الشهباء
 المرصعة بالنجوم • المزينة بالكواكب والاقار •
 في هذه الليلة يخرج اولاد المدينة وبناتها ورجالها ونسائها
 ليودعوا العام المنقضي وليستقبلوا العام الجديد •
 يطوفون في الشوارع مهلين فرحين • نافخين في المزامير والابواق •
 هاتفين في الاسواق هتاف الصبيان •
 في هذه الليلة يتحرر الانسان •

* * *

هلموا الي ايها الساخرون بافراح الناس •
 تعالوا انظروا كيف الغني والفقير • والشريف والعامل • والصالح
 والاثيم • والصاحي والسكران • والكاهن والجاهل
 يسرون كلهم جنباً الى جنب •
 تعالوا انظروا كيف العاهرات يمسسن بمنكبهن مناكب العذارى
 والامهات •
 وكلهم رجالاً ونساء • صبياناً وبناتاً • يهتفون هتافاً واحداً
 ويسرون تحت سماء الله اول ساعة من العام الجديد •
 بين الحان الاجراس واصوات المزامير والابواق •
 بين صفوف طويلة من الابنية الشاهقة المنورة • المزينة بسعف
 النخل واغصان الصنوبر والشربين •
 يموج هذا الجمع موجاً في الشوارع والازقة •

يموج والكتف الى الكتف و كلهم في الانسانية اخوان واخوات
لا يعرف الواحد منهم الاخر .

بل كل يعرف الجمع باسره .

لا ضغينة هذه الساعة ولا حسد ولا اثم ولا شقاء .

لا حقد هذه الليلة يكدر في قلوب الناس الصفاء .

نعم يسير الشريف ازاء الفقير ولا يتقزز من رائحة ثيابه .

يسير الصاحي قبالة السكران ولا يشمئز من رائحة فمه .

يسير الجاحد والكاهن ولا صلاة ولا تجديف .

يسير الصالح والاثيم . عاً . وكل انيس اليه .

تسير العذراء قرب الزانية ضاحكة مستبشرة .

والكل يهتفون هتاف الصبيان .

في هذه الليلة يتحرر الانسان .

* * *

رحمكم ايها الساخرون بفرح الشعب العام .

عودوا واياي الى زمن الصبا .

ان بين هذا الشعب المزدحم ولداً سودياً غريب السحنة . نحيل

الجسم . اسمر اللون . مفلطح الرأس . طويل الارنبه .

غليظ الشفتين .

وهو يفتح بمنكبيه طريقاً ويتقدم مع رفاقه الاعاجم هاتفاً

هتافهم . نافخاً مثلهم في البوق . مردداً اغانيهم

ونكاتهم . مقسماً ايمانهم . لاعناً كذلك لعناتهم .

غريب في دار الغربية نسيب في دار الجبور .

ومن لا يأسف على زمان الفتوة وايام اللهو والسرور ؟

من لا يقول هذا القول ويردد في ايام الكهولة هذا الكلام

المبتذل ؟

ويلاه أمن اليوم نندب الصبوه ؟

اتخذعنا السنون نحن شبان هذا العصر فتسقيننا كاساً واحدة

وتتقاضانا ثمنها خمسين ومئة ؟

أتكسر الهمة الشباب الكأس بعد ان ترينا اياها ؟

اقسم بالله ايها القارىء ان الساعات التي قضيتها في تلك الليالي لالذ

واجمل ساعات الشباب .

بل هي ألد ساعات قضيتها حتى اليوم - ساعات سرور صاف

بسيط . سرور الصبيان . في بستان الزمان .

ولكن الساقى كسر الكاس وحطمها .

اواه أسحق الساقى الكأس وسقاني مسحوقها ؟

وان طعم هذا المر ليذكرني اليوم بملك الكاس الواحدة العذبة .

يذكرني اليوم بملك الليالي فاضحك عند ما أتأمل فيما كنا نقوله

ونفعله انا ورفاقي الاعاجم .

اي والله لم ازل اذكر اسماء بعضهم من صبيان وبنات .

واذكر لما كنا نخرج لنودع العام المنقضي ونستقبل العام الجديد .

ولما كنا نقف على منعطف الشارع كل مع حبيبه ونعد الوعود .
ونعقد العهود .

رحم الله الاحباء وودادهم . رحم الله الحبيبات وعهودهن .
لا سمير الآن للروح سوى الطبيعة . ولا رفيق غير الكتاب
وبعض الاحرار الصالحين البعيدين .
والمناجاة تغني عن المشاهدة في الاحايين
ونحن في عشق البعيد من القانعين الصابرين .

تم الجزء الثاني من الريحانيات

ويليه الجزء الثالث



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

وبعد فقد حضر في هذا المجلس

الذي أقيم في يوم

الخميس الموافق لـ ١٠ من شهر

ربيع الثانی سنة ١٣٥٠

هـ حضر الآتي

السيد محمد بن عبد الله بن محمد

السيد أحمد بن محمد بن عبد الله



بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله
والصلاة والسلام على من لا نبي بعده
وبعد فقد حضر في هذا المجلس
الذي أقيم في يوم
الخميس الموافق لـ ١٠ من شهر
ربيع الثانی سنة ١٣٥٠
هـ حضر الآتي
السيد محمد بن عبد الله بن محمد
السيد أحمد بن محمد بن عبد الله

فهرس الكتاب

صفحة		صفحة	
١٥١	تركيا الجديدة وحقوق الانسان	٣	في الباب
١٥٥	فاتحة مباركة		الخطب
١٦٠	العفو العالي	٧	في العزلة
١٦٤	الحرية وحدها لا توحدنا	٢٤	هنا وهناك وهناك
١٧١	رجل الشعب	٣٣	الحرية والتهذيب
	السعر المنصور	٤٣	الثورة الادبية
١٨٣	الثورة	٥٧	المدينة العظمى
١٨٦	ريح سموم	٦٧	قيمة الحياة
١٩١	تحت الرماد وفوق النجوم	٨٤	هملت وشكسبير
١٩٤	داويني ربة الوادي	٩٣	حول المساواة
١٩٨	غصن من الورد	٩٨	الشعب والسياسيون
٢٠٦	فواد	١٠٢	في وصف بيروت
٢١٦	النفس الراحلة	١٠٦	في لبنان
٢١٩	معبد في الوادي	١١٣	التساهل الديني
٢٢٣	انا غريبان ههنا		المقالات
٢٢٧	عشية راس السنة	١٤٣	وصية فواد باشا السياسية



سائنس کا راجحہ

صفحہ	موضوع	صفحہ	موضوع
151	سائنس اور طبیعت	151	سائنس اور طبیعت
152	سائنس اور زندگی	152	سائنس اور زندگی
153	سائنس اور معاشرہ	153	سائنس اور معاشرہ
154	سائنس اور اخلاق	154	سائنس اور اخلاق
155	سائنس اور فنون	155	سائنس اور فنون
156	سائنس اور فلسفہ	156	سائنس اور فلسفہ
157	سائنس اور تاریخ	157	سائنس اور تاریخ
158	سائنس اور جغرافیہ	158	سائنس اور جغرافیہ
159	سائنس اور موسیقی	159	سائنس اور موسیقی
160	سائنس اور فنونِ لطیفہ	160	سائنس اور فنونِ لطیفہ
161	سائنس اور کھیل	161	سائنس اور کھیل
162	سائنس اور ورزش	162	سائنس اور ورزش
163	سائنس اور سفر	163	سائنس اور سفر
164	سائنس اور شہر	164	سائنس اور شہر
165	سائنس اور ماحول	165	سائنس اور ماحول
166	سائنس اور آب و ہوا	166	سائنس اور آب و ہوا
167	سائنس اور زمین	167	سائنس اور زمین
168	سائنس اور آسمان	168	سائنس اور آسمان
169	سائنس اور خلا	169	سائنس اور خلا
170	سائنس اور کائنات	170	سائنس اور کائنات



LIBRARY OF THE UNIVERSITY OF PUNJAB

119

DATE DUE

PJ
7515
R5x
v.2

FEB 1972

CHICAGO UNIVERSITY LIBRARY

6.12331363
1.13660500

